الجزء الرابع — المجلد الثالث والاربعون

مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »

تشرين الأول « اكتوبر » سنة ١٩٦٨ م — رجب سنة ١٣٨٨ هـ

لغة الغناء

قد يكون هذا العنوان : لغة الغناء مباينا لموضوع المقال ، فلست أريد بلغة الغناء ما يُستعمل في هذا الباب من الألفاظ فإني غريب عن هذا الفن ، وإنما الذي أريده بلغة الغناء مايستعمله الأدباء في وصف محاسن الأصوات والألحان وتأثيرها في النفوس ، وقد رأيت أن كتاب الأغاني إنما هو أوسع مرجع إلى هذا الوصف .

اهتمّ أبو الفرج الأصبهاني في مقدمة كتاب الأغاني الاهتمام كلّه بالإشارة إلى الأغاني ، فلم يبال بشيء مبالاته بذكرها ، ويكاد ذكر الأغاني يستغرق المقدمة كلّها ، فقد أوتي من ذوق الغناء والمعرفة بأصوله وبالأصوات والألحان الشيء الكثير ، فإنّ له في هذا الميدان الباع الطويل ، وهذا أمر يؤيّده تأليفه في الغناء ، من ذلك رسالته إلى بعض إخوانه في علل النغم ، وقد جاء ذكرها في كتاب الأغاني ، فضلاً عن دخوله في المناظرات والمجادلات

والمراسلات والمشاهات التي كانت تجري بين أئمة المغنّين ، وآراؤه في هذا المعنى مبثوثة في أضعاف كتاب الأغاني .

فكما كان أبو الفرج إماماً في الأدب فكذلك كان إماماً في الغناء ، ولقد نشأ في بيت يذوق أهله الغناء ، فقد طلب أبوه هـذا الفن وواظب عليه ، وسمع مرّة لحناً لجيلة في منزل يونس بن محمد الكاتب فانصرف وهو كئيب ، حزين ، مغموم ، وكما كان لأبيه ذوق في الغناء فكذلك كان لمعته مثل هذا الذوق .

وقبل الشروع في موضوعنا وهو الإتيان بنماذج من وصف الغناء وتأثيره في النفوس ، لابأس بذكر ماجاء في أخبار جميلة على لسان شيخ ذي سنٍّ وعلمٍ وفقهٍ وتجربة من وصف الغناء نفسه ، فالغناء في رأي ذلك الشيخ من أكبر اللذّات ، وأسرّ للنفوس من جميع الشهوات ، يحيي القلب ويزيد في العقل ، ويسرّ النفس ويفسح في الرأي ، ويتيسّر به العسير ، وتفتح به الجيوش ، ويذلّل به الجبّارون ، حتى يمتهنوا أنفسهم عند استماعه ، ويبري المرضى ومن مات قلبه وعقله وبصره ، ويزيد أهـل الثروة غنى ، وأهل الفقر قناعة ورضا باستماعه ، فيعزفون عن طلب الأموال ، من تمسّك به كان عالماً ، ومن فارقه كان جاهلاً ، لأنه لامنزلة أرفع ولا شيء أحسن منه ، فكيف يستصوب تركه ؟ ولا يستعان به على النشاط في عبادة ربّنا عزّ وجلّ ...

فاذا كان للغناء هذه المنزلة في النفوس فلا عجب إذا خاض أبو الفرج في أمور كثيرة تتعلّق بهذا الفن ، فقد جاءت في كتاب الأغاني إشارة إلى ضروب الغناء ، منهـا الضرب المطرب المحرّك ، ومنها الضرب ذو الشجا والرّقة ، ومنها الضرب ذو الحكمة وإتقان الصنعة .

لقد تتبّع أبو الفرج أخبار الغناء فذكر أصله ونشأته ، وذكر الذين تعلّموا ألحان الفرس وغناءهم ، والذين تعلّموا ألحان الروم وغناءهم ، وألمع إلى البلاد التي ضعف فيها الغناء ، مثل الشام ، فلم يغفل عن أمور كثيرة تتصل بالغناء ، ولا سيّما بالخلفاء الذين حذقوا الغناء وتندوه ، فميّزوا بين متانته وبين انحنائه ولينه ، أو الخلفاء الذين كانوا يؤثرون الطرب على كل شيء .

والخلاصة لم يغفل أبو الفرج عن شيء يتصل بالغناء ، مثل انتشاره والاستماع إليه ، وتعليمه في قصور الخلفاء ، واللجوء إليه في الأعراس وغير ذلك ممّا قد يفوتني ذكره .

نريد أن نعرف بعد هذه المقدمة الوجيزة كيف كان وصف الغناء في بعض كتاب الأغاني ، كيف كان التعبير عن تأثير الأصوات والألحان في النفوس ، على أنه لا سبيل إلى استيعاب هذا الوصف في مقال مثل هذا المقال ، وإنما نجتزىء بالإتيان بأنماط منه حتى نحيط ببعض الإحاطة به .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لقد استفاضت في كتاب الأغاني أساليب مختلفة في وصف الغناء وتأثيره في النفوس ، مرّة كانوا يمدون في وصف الغناء نفسه للتشبيه ، فقد كان الواثق يقول : غناء علوية مثل نقر الطست ، يبقى ساعة في السمع بعد سكوته ، ومن هذا النحو وصف الوليد بن يزيد ، فقد غنّى ابن عائشة يوماً فطرح الوليد في مثل الطناجير من حرارة غنائه ، فالطست والطناجير كانت أدوات يلجأ إليها في التشبيه في وصف الغناء .

وقد يكون الطير في بعض الأحيان مادّة لهذا التشبيه ، ففي موضع من الأغاني نجد أن أشعب كان يغنّي وكأنّ صوته صوت بلبل .

ومرّة كانوا يستغنون عن التشبيه في وصف الغنـــاء ، فيصفون فنّ الغناء نفسه من حيث أصوله ، فقد غنّى اسحق لحناً صنعه في شعر ابن ياسين ، فجاء في وصف هذا الغناء ما يلي : فقد غنّى إسحق استهلالاً

وبسيطاً وصاح وسجح ورجّع النغمة واستوفى ذلك كلّه في أربع كلمات .
وهذا هو شعر ابن ياسين :

الطـــلول الدوارس فارقتهـــا الأوانـــس
أوحشت بعـــد أهلها فهي قفـــر بسابس

وقد تكرّر هـــذا الوصف في مقام آخر من كتاب الأغاني على لسان الواثق الذي قال : أوّل بيت في هذا الصوت أربع كلمات ، الطلول كلمة والدوارس كلمة ، وفارقتها كلمة والأوانس كلمة ، فانظر هل ترك اسحق شيئاً من الصنعة يتصرف فيه المغنّي لم يدخله في هذه الكلمات الأربع ، بدأ بها نشيداً وتلاه بالبسيط ، وجعل فيه صياحاً واسجاحاً وترجيعاً للنغم واختلاساً فيها ، وعمل هذا كله في أربع كلمات فبل سمعت أحداً تقدم أو تأخر فعل مثل هذا أو قدر عليه ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومن هذا النوع وصف غناء إبراهيم بن المهدي ، فقد غنّى إبراهيم يوماً فوفّى الصوت نغمه وشذوره ، وكانت كتفاه تهتزان وبدنه أجمع يتحرك ، وكان إذا غنّى :

هل تطمسون من السماء نجومها بأكفّكم أو تسترون هلالها

فبلغ إلى قوله : جبريل بلّغهـــا النبيّ فقالها ، هزّ حلقه فيه ورجّعه ترجيعاً تتزلزل منه الأرض ، لقد كان إبراهيم بن المهدي أحسن الناس كلّهم غناء في رأي محمد بن موسى المنجّم ، وذلك أنه كان يراه بمجالس الخلفاء مثل المأمون والمعتصم يغنّي ، فإذا ابتدأ الصوت لم يبق من الغلمان والمتصرفين في الخدمة وأصحاب الصناعات والمهن ، الصغار والكبار ، أحد إلاّ ترك ما في يده وقرب من أقرب موضع يمكنه أن يسمعه فلا يزال مصغياً إليه ، لاهياً عمّا كان فيه ما دام يغنّي ، حتى إذا أمسك وتغنّى غيره رجعوا

إلى التشاغل بما كانوا فيه ، ولم يلتفتوا إلى ما يسمعون ... ونظن أن هذا الإصغاء إلى إبراهيم بن المهدي إنما هو أبلغ إفصاح عن تأثير غنائه .

وإذا فرغنا من وصف الغناء فلا بأس بوصف تأثيره في نفوس السامعين ، كيف كان وصف هذا التأثير .

لقد بلغ من تأثير الغناء في النفوس أنهم إذا وصفوا هذا التأثير حملوا النبات والجماد على مشاركتهم في الطرب ، فقد نجد خبراً يتعلق بتشديد والي مكة نافع بن علقمة الكناني في الغنـــاء والمغنّين والنبيذ ، وفي خلال هذا الخبر نرى أنّ ابن سريج قد غنّى في ظلال شجرة بشعر العرجي مرتجلاً ، فخيّل إلى الذي يسمعه أن الشجرة تنطق معه .

وغنّى ابن عائشة يوماً فخيّل إلى الذي سمعه أن الأودية تنطق معه حسناً .

ومثل هذا الأسلوب من الوصف قد نراه في مقام آخر من كتاب الأغاني ، نراه في نسب إبراهيم الموصلي وأخباره ، ولا حاجة بنا إلى ذكر الخبر بأجمعه على طرافته ، فقد خلا إبراهيم الموصلي في يوم من الأيام بجواريه وإخوانه ، وإذا هو بشيخ ذي هيبة وجمال ، عليه خفّان قصيران وقميصان ناعمان ، وعلى رأسه قلنسوة لاطية ، وبيده عكّازة مقمّعة بفضة ، وروائح المسك تفوح منه ، حتى ملأ البيت والدار .. إني أجاوز ما جاء في هذا الخبر من غيظ إبراهيم بسبب دخول هذا الشيخ وأقف على غناء الشيخ الذي أخذ العود من إبراهيم وجسّه حتى خاله إبراهيم ينطق بلسان عربي لحسن ما سمعه من صوته ، ثم تغنّى الشيخ فقال إبراهيم : فوالله لقد ظننت الحيطان والأبواب وكل ما في البيت يجيبه ويغنّي معه من حسن غنائه ، حتى خلت والله أني وعظامي وثيابي تجاوبه ، وبقيت مبهوتاً لا أستطيع الكلام ولا الجواب ولا الحركة لما خالط قلبي .

وتبيّن بعد ذلك لإبراهيم أن هذا الشيخ إنما هو إبليس نفسه ، فقد كان جليسه ونديمه ذلك اليوم .

الخبر غاية في الطرافة ، ويستحسن الرجوع إليه لطرافته ، ولكن المهمّ فيه إنما هو الوصف ، فقد جاء هذا الوصف على لسان إمام من أئمة الغناء ، عرف أسرار الغناء ووقف على البراعة فيه ، فكان الوصف مشتملاً على أبلغ ما يكون من الإفصاح عن التأثير ، وأيُّ وصف أبلغ من أن تكون عظام إبراهيم وثيابه تجاوب الشيخ في غنائه .

وقد يخلو وصف تأثير الغناء في بعض الأحيان من التشبيه ولغة الشعر ، فيستعملون ألفاظاً مجرّدة تكاد تنطق بنفسها ، من ذلك ما وجدته في دفتري في وصف غناء لا أذكر صاحبه فان الذي سمع هذا الغناء طرب ونعر ونخر .

ويجدر بنا بعد هذا كله أن نشير إلى وصف حركات السامعين الذين كان يهزّهم حسن الغناء والصوت ، فقد كان الهادي يشتهي من الغنـــاء ما توسّط وقلّ ترجيعه فغنّاه يوماً حكم الوادي بشعر النابغة الجعدي فوثب عن فراشه طرباً .

وسمع عمر الوادي يوماً إنساناً يغنّي غناء لم يسمع قط أحسن منه ، فكاد يسقط عن راحلته طرباً .

وغنّت جميلة يوماً فسمع للبيت زلزلة وللدار همهمة ، ثم غنّت فاستخفّ عناؤها القوم أجمعين ، وصفّقوا بأيديهم ، وفحصوا بأرجلهم ، وحرّكوا رؤوسهم ، وقالوا لها : نحن فداؤك من السوء ووقاؤك من المكروه ، وأنشدت قصيدة في عمر بن الخطّاب وعملت فيها لحناً لا يسمعه أحد إلاّ بكى ، حتّى قال الذي سمعه : والله ما سمعته قط إلاّ أبكاني لأني أجد حين أسمعه شيئاً يضغط قلبي ويحرقه فلا أملك عيني .

وقريب من هذا الوصف ما جاء في أخبار عبد الله بن جعفر ، فقد أمر جارية له أن تغنّي ، فغنّت ، فجعل شيخ من الحضور يصفّق ويرقص ويحرّك رأسه ويدور ، حتّى وقع مغشياً عليه .

ومنهم من كان يسمع حسن الصوت فيطرب طرباً يهمّ معه أن ينطح برأسه الحائط .

ولم يقتصروا على وصف تأثير الغناء في الناس ، فقد وصفوا تأثيره في الوحش . غنّى إبراهيم بن المهدي يوماً على أشدّ طبقة يتناهى إليها في العود ، وقد وصف صوته من كان يسمعه فقال : كان إذا ابتدأ يغنّي أصغت الوحش إليه ومدّت أعناقها ، ولم تزل تدنو من الحضور حتى تكاد أن تضع رؤوسها على الدكّات التي كانوا عليه ، فاذا سكت نفرت وبعدت من القوم حتّى تنتهي إلى أبعد غاية يمكنها التباعد فيها عنهم .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

★ ★ ★

في هذا القدر من الاستشهاد مقنع ، فانّ كتاب الأغاني لا تكاد ورقة من أوراقه تخلو من وصف محاسن الأصوات والألحان وتأثيرها في النفوس ، والذي تبيّن لنا من الاستشهاد بما استشهدنا به أن لغة الغناء ، أي لغة وصف الغناء وتأثيره كانت تعبّر عن هذا الوصف تعبيراً واقعاً ، فان حركات السامعين التي تقدمت الإشارة إليها ، نكاد نشهد أمثالها يومنا هـــذا ، فالتصفيق باليد والفحص بالرجل وهزّ الرأس ، كل هذا من حركات الاستحسان ، وقد يبالغون في بعض الأحيان فيُنطقون الأودية والجبـال والبيوت والحيطان والأبواب في هذا الاستحسان ، أو يفصحون عن النطح

بالرأس أو السقوط عن الراحلة من الطرب ، أو عن زلزلة البيت وهمهمة الدار من حسن الغناء ، أمّا وصف الغناء نفسه فلا شك في أن ألفاظ النغم والترجيع والصياح والأسجاح والترجيح للأنغام والاختلاس فيها ، كل هذا داخل في لغة الغناء ، فالبلاغة كل البلاغة في الوصف أن يلجأ الواصفون إلى الألفاظ التي يستلزمها هذا الوصف ، ولوصف كل أمر من الأمور لغة خاصة ، فالألفاظ التي تستعمل في وصف الغناء تختلف عن الألفاظ التي تستعمل مثلاً في وصف الطبيعة .

شفيق جبري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاصطلاحات الفلسفية

- ٣٢ -

العائق

في الفرنسية	Obstacle
في الانكليزية	Obstacle
في اللاتينيــة	Obstaculum

عاقه عن الشيء منعه منه وشغله عنه . وعوائق الدهر شواغله وأحداثه . والعائق في اصطلاحنا ما يعوق الفكر أو الإرادة من شواغل داخلية أو خارجية . وعوائق النمو هي الأسباب التي تمنع الكائن الحي من بلوغ الكمال الخاص بنوعه . من هذه العوائق ما هو طبيعي كالنقص الجسمي أو المرضي ، ومنهـا ما هو اقتصادي كالفقر ، ومنها ما هو اجتماعي كالاستعدادات الفاسدة والتقاليد البالية ، ومنها ما هو سياسي كالاستبداد والظلم ، ومنها ما هو نفسي كالخوف والقلق والشذوذ . وكثيراً ما تكون التربية الفاسدة عائقاً عن النمو الاجتماعي والاقتصادي ، أو تكون المفاهيم الثابتة القديمة عائقاً عن التقدم العلمي والحضاري . ومع ذلك فإن شعور المرء بالعوائق قد يدفعه في كثير من الأحيان إلى التغلب عليها ، هذا إذا كان شعوره مصحوباً بالعزم والإقدام والثقة والإيمان . وكلما كان طموحه إلى الكمال أشد كان ميله إلى مجـاوزة شروط الواقع أقوى .

ويطلق اصطلاح الطفل المعوق (Enfant Handicapé) على الطفل المتخلف عن مسايرة أقرانه لنقص جسمي أو عقلي أو سلوكي موروث أو مكتسب .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

العادة

في الفرنسية Habitude

في الانكليزية Habit

في اللاتينية Habitus, habitudo

١ — العادة كيفية راسخة في النفس، أو هيئة مكتسبة، تمكن صاحبها من إنجاز بعض الأفعال أو تحمل بعض المؤثرات في سهولة. فإذا كانت سريعة الزوال سميت حالة، وإذا كانت متعسّرة الزوال سميت ملكة يقال: لايكون الفاسق شريراً بقوة الشر بل بعادة الشر، ويقال أيضاً: الفضيلة عادة، وهي التوسط بين الإفراط والتفريط.

٢ — والعلماء المحدثون يعرفون العادة بقولهم: إنها استعداد مكتسب يحصل للنفس بتكرار الفعل، أو استمرار التغير. فالعادة الفاعلة كعادة الكتابة تتكون بتكرار الفعل، والعادة المنفعلة كتعود الجسم تحمل بعض المؤثرات، تتكون باستمرار التغير. ومع أن لكل فعل أو تغير أثراً في النفس فإن هذا الأثر لايصبح كيفية راسخة إلاّ بالتكرار والتمرين.

٣ — ويطلق الفلاسفة الكشطلطيون (Gestalt) اسم العادة على كل صورة للفعل تصبح بحكم تفردها واستقرار الأحوال الملابسة لها شائقة وثابتة إلاّ أن المألوف عند جمهرة العلماء إطلاق اسم العادة على الظواهر التالية.

آ — العادة هي التكيف العام حيوياً كان أو مادياً. وتحقيق ذلك أن الموجود إذا تأثر بالفعل مرة واحدة أحدث هـذا الفعل فيه تغيراً يجعل تأثره بتكرار ذلك الفعل أو استمراره أقلّ من تأثره بالأول. مثال ذلك أن تسخين اليد يحول دون إحساسها بحرارة الماء، وإن إدمان شُرْب الأدوية يخفف من تأثيرها في الجسم.

ب — العادة ظاهرة حيوية خاصة، غير مصحوبة بالوعي تتميز بتكرار بعض الحركات الناشئة عن الأسباب الخارجية تكراراً عفوياً . كحركات النبات الناشئة عن تأثير النور في النهار أو الظلمة في الليل، أو كبعض الحركات الآلية التي لايحتاج المرء في القيام بها إلى إعمال الروية والفكر .

ج — العادة كيفية نفسانية ، تحصل بتكرار فعل مصحوب بالشعور يولد في المرء بالدربة والممارسة قدرة على إنجاز ماكان في بداية الأمر عاجزاً عن فعله . وقد يؤدي اكتساب المرء لهذه العادات النفسية إلى استغنائه عن الشعور والإرادة في إنجاز ما يفعله كعادة المشي أو الكتابة أو ركوب الدراجة ، فهي مصحوبة بتضاؤل الإحساس بالحركات الجزئية الداخلة في تركيبها، أو يؤدي في بعض الأحيان إلى عكس ذلك كعادة إتقان العمل، أو عادة امتلاك النفس، أو عادة التفكير قبل الكلام، فهي عادات مصحوبة بالشعور والانتباه والإرادة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٤ — والعادات في نظر مين دوبيران (Maine de Biran) فاعلة (Actives) ومنفعلة (Passives) . فالعادات المنفعلة ، كتعود الكائن الحي تحمل بعض المؤثرات، تتميز بتضاؤل الإحساس وضعف الشعور ، والعادات الفاعلة كعادة المشي والكتابة والمروءة والشجاعة والعفة ، تتميز بوضوح الإدراك وسهولة الفعل ودقته . إلاّ أن القول بانقسام العادات إلى فاعلة ومنفعلة لايخلو من الالتباس ، لأن العادات المسماة بالفاعلة لاتخلو من الإنفعال ولأن العادات المساة بالمنفعلة لاتخلو من الفعل . لذلك رأى الفيلسوف اغجر (Egger) أن يستبدل بهذا التقسيم تقسيماً آخر ، وهو القول : إن العادات سلبية وإيجابية . فالسلبية هي العادات المصحوبة بتضاؤل الشعور والإرادة ، والإيجابية هي العادات المصحوبة بزيادة الشعور والانتباه والجهد .

٥ — وللعادات في نظر (اغجر) أيضاً قسمان : العادات الخاصة ، والعادات العامة . أما الخاصة فهي التي يقتصر فيها على تكرار الفعل على نمط واحد ، كتعود المرء عزف لحن معين على إحدى الآلات الموسيقية ، وأما العامة فهي العادات المشتملة على أفعال مختلفة من جنس واحد كتعود الموسيقار عزف كل لحن جديد على جميع الآلات الموسيقية ، بسبب ملكة حصلت له .

(راجع لفظ : كشطلت « Gestalt ») .

العادل والمعدل

في الفرنسية Juste

في الانكليزية Just , Right

في اللاتينية Justus

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العادل أو المعدل هو المرضي الحكم أو الشهادة ، وهو مشتق من عدل تقول : عدل في أمره عدلاً ، استقام . وعدل في حكمه ، حكم بالعدل ، وعدّل الشيء قومه . وعدّل فلاناً بفلان سوّى بينهما .

فإذا كان العادل أو المعدل نعتاً للشيء دلّ على المثل والنظير والمساوي ، أو على المطابق للحق الوضعي أو الحق الطبيعي ، كالجزاء فانّ وصفه بالعدل يدل على مطابقته للحق ، تقول : جزاء عادل ، وثمن عادل ، وميزان عادل .

وإذا كان العادل أو المعدل نعتاً للعاقل دلّ على اتصافه بالإنصاف ، أي على إعطاء المرء ماله وأخذ ما عليه . تقول : شاهد عدل أي صادق ، وحاكم عادل أي منصف .

فالعادل بالجملة هو الذي « من شأنه أن يساوي بين الأشياء غير المتساوية » (مسكويه ، تهذيب الأخلاق ، ص ١١٥) ، ويحكم على نفسه

بما يحكم به على غيره ، ويجعل حكمه مجرّداً من العواطف ، خالياً من الغرض والعبث والأنانية . فكل من كان صادق الحكم ، مريداً للخير منزهاً عن فعل القبيح ، وعن الإخلال بالواجب كان عادلاً ، وكذلك كل من كان متمسكاً بالشريعة ، معترفاً بحقوق الناس وحريتهم . فالعادل إذن هو المنصف الذي يعامل غيره بما يعامل به نفسه . ويجعل إرادته مطابقة للقانون الأخلاقي .

والعادل عند علماء اللاهوت صفة الإنسان الخاضع لأوامر الله ونواهيه وهو ضد الظالم والفاسق والجائر . أو هو صفة لله تعالى لامتناع الجور عنه . ولأنه سبحانه لايأمر عباده إلاّ تخييراً ، ولا يكلفهم إلاّ يسيراً . ومعنى ذلك أن القول بالعدل الإلهي يوجب القول بالحرية الإنسانية ، لأنه لايعقل أن تكون المعاصي بتقدير الله (١) ، ولو كانت كذلك لما كان الله عادلاً .

العاطفة

في الفرنسية Sentiment

في الانكليزية Sentiment

عطف عليه أشفق ، وعطفت الناقة على ولدها حنّت عليه ودرّ لبنها ، والعاطفة الميل ، والشفقة ، والرأفة وجمعها عواطف .

والعاطفة عند المحدثين عدة معان :

١ - فمنهم من يطلقها على الانفعالات الناشئة عن أسباب معنوية لا عن أسباب عضوية .

٢ - ومنهم من يطلقها على اللذات والآلام وغريزة حفظ البقـــاء ، والمشاركة الوجدانية ، والحب ، والكبرياء ، والتواضع ، والغريزة الجنسية ، والنازع الخلقية والاجتماعية والدينية والجمالية والعقلية .

---

(١) أي لا بحبه ولا برضاه .

٣ — ومنهم من يطلقها على الميول الغيرية دون الميول الأنانية والنفعية . فالعطوف من الرجال هو الذي يحمي الضعفاء ، والعطوف من النساء هي المحبة لزوجها .

٤ — والعاطفة في اصطلاحنا استعداد نفسي ينزع بصاحبه إلى الشعور بانفعالات معينة ، والقيام بسلوك خاص حيال فكرة معينة . ففيها إذن انفعال وتصور وفعل ، كالعواطف الدينية أو الخلقية أو الاجتماعية فهي لا تخلو من تصور واضح أو غامض مصحوب بفعل محدد أو غير محدد .

٥ — ومذهب العاطفة (Morale du Sentiment) في الأخلاق مذهب (روسو) و (آدم سميث) و (جاكوبي) ، وقوامه الشعور بالغيرية أي بحب الآخرين ، وطريقته المعرفة الحدسية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٦ — وكما ينزع المرء بعاطفته إلى الشعور بالانفعال ، فكذلك ينزع بها إلى الكشف عن الحقيقة ، ولكن الحقائق التي نكشف عنها بعواطفنا لا تصبح حجة عند غيرنا إلاّ إذا حصل لهم من الكشف ما حصل لنا .

٧ — والعاطفي (Sentimental) هو المنسوب إلى العاطفة ، ولا سيما عاطفة الحب . تقول التربية العاطفية (Education Sentimentale) والسياسة العاطفيـــة (Politique du Sentiment) وهي ضد السياسة الواقعية (Politique réaliste) .

والعاطفي من الرجال هو الذي يتغذى بالعواطف أو يتبع عواطفه في علاقاته الإنسانية ، أو يفضل إظهار عواطفه على سترها . والمقصود بالعواطف هنا العواطف العذبة ، والذكريات الطيبة ، والأحلام الجميلة .

العالم

في الفرنسية	Univers, monde
في الانكليزية	Universe, World
في اللاتينية	Universum, mundus

١ — العالم بالمعنى العام مجموع ما هو موجود في الزمان والمكان، وهو واحد، قال (ليبنيز): «إذا كنت أطلق لفظ العالم .. على مجموع الأشياء الموجودة فمرد ذلك إلى رغبتي في اجتناب القول إنه يمكن أن يوجد في الأزمنة والأمكنة المختلفة عدة عوالم، لأن هذه العوالم لو وجدت لوجب عدّها كلها عالماً واحداً» (Leibniz, Théodicée, 1. 8). وفي كتاب النجاة لابن سينا (ص ٢٣٢) فصل عنوانه: «إن العالم واحد وإنه لا يمكن التعدد».

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والعالم بالمعنى العام أيضاً كل ما سوى الله من الموجودات قديمة كانت أو حادثة. وقد يطلق على المخلوقات كلها، أي على كل ما وجوده ليس من ذاته من حيث هو كل. وينقسم إلى قسمين أحدهما روحاني وهو عالم الأرواح والعقول، والآخر جسماني وهو مجموع الموجودات المادية.

٢ — والعالم بالمعنى الخاص هو مجموع الأجسام الطبيعية البسيطة كلها (ابن سينا رسالة الحدود) أو مجموع الأجسام السماوية، أو العالم المرئي، أو الأرض من جهة ما هي مركز ما تحت القمر، أو مجموع الحقائق الواقعية الموجودة في المكان والزمان، وهذه الحقائق الواقعية إما خارجية وإما داخلية، فالخارجية هي الأعيان المدركة بالحس، والداخلية هي الأحوال النفسية المدركة بالشعور.

ويطلق العالم بالمعنى الخاص أيضاً على جملة موجودات من جنس واحد، كقول ابن سينا : « ويقال عالم لكل جملة موجودات متجانسة كقولهم عالم الطبيعة وعالم النفس وعالم العقل » (رسالة الحدود) . وقد عم استعمال هذا الاصطلاح في أيامنا هذه حتى أطلق على كل جملة من الأشياء المتجانسة، كقولنا عالم القيم وعالم السياسة ، وعالم الأدب ، وعالم الألفاظ .. الخ .

والعالم بالمعنى الخاص لا يمتنع التعدد . قال الغزالي : « والعوالم كثيرة لا يحصيها إلا الله تعالى » ، كما قال : « وما يعلم جنود ربك إلاّ هو » ، وإنما خبره من العوالم بواسطة الإدراك ، وكل إدراك من الإدراكات خلق ليطلع الإنسان به على عالم من الموجودات ، ونعني بالعوالم أجناس الموجودات ، (المنقذ من الضلال ، فصل في حقيقة النبوة ، ص ١١٠ من طبعتنا السابعة ، بيروت ١٩٦٧) فعالم الحس مجموع الأشياء المدركة بالحواس ، وعالم الإدراك مجموع الصور النفسية المطابقة للأمور الحسية ، وعالم المعقولات مجموع الحقائق العقلية المفارقة الخ .

٣ - والقدماء يفرقون بين العالم السفلي أي عالم الكون والفساد ، والعالم العلوي أي عالم الأفلاك وما فيه من الأجرام السماوية .

وعالم الأمر عندهم ضد عالم الخلق . (الأول) عالم الملكوت والغيب ، ويطلق عند المتصوفة على عالم وجد بلا مدة ولا مادة كالعقول والنفوس ، والثاني عالم الملك والشهادة ، ويطلق على عالم وجد بمادة كالأفلاك والعناصر والمواليد الثلاثة .

وهم يفرقون أيضاً بين العالم الكبير (Macrocosme) والعالم الصغير (Microcosme) فيطلقون الأول على ما فوق السماوات أو على السموات والأرض وما بينها ، ويطلقون الثاني على ماتحت السموات أو على الأرض أو الإنسان ، ومنهم من يقول العالم الكبير هو القلب ، والعالم الصغير هو

النفس ، والذين يسمون الإنسان عالماً صغيراً يقولون إن صورة هيكله مماثلة لصورة العالم الكبير ، وإن فيه قوى متضادة الأفعال ، متباينة الأعمال ، كالقوى التي يتألف منها العالم الكبير . (رسائل إخوان الصفا ، الرسالة الثانية عشرة ، الرسالة الجامعة ، جزء ١ ص ٥٦٥) ، وعالم القدس عندهم عالم المعاني الإلهية المقدمة على الأحكام الخلقية والنقائص الكونية .

٤ — والعالم (في العهد الجديد) مجموع الأشياء والأفعال المضادة للحياة الروحية ، مثال ذلك قوله : « ثم أخذه إبليس إلى جبل عال جداً وأراه مجموع ممالك العالم ومجدها » (متّى ، الأصحاح الرابع ، ٨) وقوله : « لأنه ماذا ينفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه » (متّى ، الأصحاح السادس عشر ٢٦) وقوله : « لايقدر العالم أن يبغضكم ، ولكنه يبغضني أنا ، لأني أشهد عليه أن أعماله شريرة » (يوحنا ، الأصحاح السابع ، ٧) .

٥ — والعالمي هو المنسوب إلى العالم ، تقول المواطن العالمي . والعالمية هم القائلون بتقديم حب الإنسانية على حب الوطن ، كالرواقيين فهم يسمون أنفسهم مواطنين عالميين (Citoyens du monde) .

٦ — راجع الألفاظ التالية : الكون (Cosmos) ، والكوني (Cosmologique) ، وعلم العالم (Cosmologie) وعلم نشأة العالم (Cosmogonie) .

العالي والأعلى

في الفرنسية	Supérieur
في الانكليزية	Superior , higher
في اللاتينية	Superior

إذا كانت الأشياء مختلفة المراتب أطلق لفظ العالي على الشيء الذي تكون مرتبته متقدمة على مرتبة الآخر . مثال ذلك مراتب المعاني ، ومراتب

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

العلوم وغيرها . فإنه إذا كان أحدها متقدماً على الآخر مباشرة كان الأول عالياً ، والثاني سافلاً ، كالجنس بالنسبة إلى النوع ، وكعلم الرياضيات بالنسبة إلى علم الفلك ، تقول الحيوانات العالية ، والأفعال العقلية العالية ، والقيم العالية ، والوظائف الاجتماعية العالية .

وإذا كانت مرتبة أحد الحدود متقدمة على مراتب جميع الحدود الأخرى سمي ذلك الحد بالحد الأعلى أو بجنس الأجناس ، مثل الوجود المطلق بالنسبة إلى سائر الموجودات .

والعلو قد يكون في المكان أو في الرتبة ، وهو عند المحدثين قسمان : علو مطلق ، وعلو نسبي ، ويقابله النزول .

والعلو والسفل مفهومان متضايفان .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العام

في الفرنسية	Général
في الانكليزية	General
في اللاتينية	Generalis

العامّ الشامل ، وهو خلاف الخاصّ . يقال مطر عام أي شامل ، ويقال أيضاً المصلحة العامة ، والرأي العام . وكل ما يتناول أفراداً متفقة الحدود على سبيل الشمول فهو عامّ .

وللعام باعتبار شموله حالتان :

فإذا كان شموله محدّداً دلّ على أكثرية الأفراد الداخلين في الحكم كقولنا : الإضراب عام ، والتعبئة عامة ، فان إطلاق الحكم في هذين القولين لا يمنع الاستثناء .

وإذا كان شموله غير محدد دل على مجموع أفراد الجنس لاشتراكهم جميعاً في طبيعة واحدة بلا استثناء ، ويرادفه الكلي (Universel) وهو خلاف الخاص (Spécial) والفردي (Individuel) والجزئي (Particulier) . تقول : إن الاستقراء هو انتقال من الجزئي إلى الكلي ، لأنه حكم على كلي لوجود ذلك الحكم في جزئيات ذلك الكلي ، إما كلها وهو الاستقراء التام ، وإما أكثرها وهو الاستقراء المشهور .

وتختلف درجة شمول المعاني أي درجة عمومها (Généralité) باختلاف مرتبتها في التسلسل ، فاذا كانت أعلى كانت أعم ، وإذا كانت أدنى كانت أخص . كقولنا : إن وظيفة التغذي في الكائنات الحية أعم من وظيفة الحركة ، وإن معنى المثلث أعم من معنى متساوي الساقين .

والفلاسفة القدماء يطلقون لفظ العام على الخاصة المشتركة بين جميع الأجزاء ، كقول ابن سينا : إن الأمور العامة لجميع الطبيعيات هي المادة والصورة والحركة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والعرض العام عندهم كل كلي مفرد عرضي أي غير ذاتي يشترك في معناه أنواع كثيرون . والقضايا الكلية هي القضايا التي يكون الحكم فيها إيجاباً أو سلباً على كل واحد من الموضوع ، كقولنا كل إنسان فان . ومعنى ذلك أن الكلي يشمل جميع أفراد النوع بلا استثناء ، على حين أن العام قد يشمل جميع الأفراد أو لا يشمل إلاّ معظمهم ، كالقواعد العامة في المسائل الإنسانية فهي لا تمنع الاستثناء .

والعامي هو المنسوب إلى العام كقول ابن سينا : « فلا كلي عامي في الوجود » (النجاة ص ٣٦٠) .

والعامي أيضاً هو المنسوب إلى العامة كقولنا : المفهوم بحسب التعارف العامي ، أو قولنا المعرفة العامية (Connaissance vulgaire) وهي خلاف المعرفة العلمية والمعرفة الفلسفية .

والعامية لغة العامة من الناس وهي خلاف الفصحى .

(راجع الألفاظ التالية: العموم (Généralité) والتعميم (Généralisation) والكلي (Universel) .

العامل

في الفرنسية	Facteur
في الانكليزية	Factor
في اللاتينية	Factor

العامل عند النحاة ما يقتضي أثراً إعرابياً في الكلم ، وهو قسمان : لفظي وهو ما يتلفظ حقيقة أو حكماً ، ومعنوي وهو ما لا يكون له أثر في اللفظ أصلاً لا حقيقة ولا حكماً .

والعامل عند الفلاسفة ما يؤثر في الشيء ويرادفه السبب والشرط والباعث ، يقال : كثرة الإنتاج من عوامل الرخاء .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

والعامل في علم الحساب هو العدد الصحيح الذي يقسم عدداً صحيحاً آخر بلا باق .

والعامل عند المؤرخين ما يؤثر في تعاقب الأحداث التاريخية .

والعامل في علم النفس هو العنصر المؤثر في الحالات العقلية التي تؤدي مجتمعة أو مفترقة إلى نتيجة معينة .

والعامل في علم الإحصاء هو الخاصة أو المتغير الذي يؤخذ بعين الاعتبار في بحث من الأبحاث ، أو هو السبب الخاص بمتغير واحد ، أو السبب المشترك بين عدد من المتغيرات يتخذ أساساً لتقرير العلاقة بينها .

وتحليل العوامل (Analyse des facteurs) أو (Analyse factorielle) هو الطريقة المتبعة في تحليل العلاقات الموجودة بين عدد من المقادير المختلفة ،

أو هو الطريقة المتبعة في تحليل الروائز (Tests) لردّ مختلف العوامل إلى عدد من العوامل الأولية البسيطة ، أو للكشف عن طبيعة العمليات التي تتطلبها الاستجابة لبنود الروائز .

والعامل العام (Facteur général) في نظرية سبرمان (Spearman) هو العنصر المشترك بين جميع قابليات الشخص تمييزاً له من العوامل الخاصة المختلفة باختلاف القابليات .

العبادة

في الفرنسية	Adoration
في الانكليزية	Adoration
في اللاتينية	Adoratio

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

العبادة هي خضوع الإنسان لربه على سبيل التعظيم ، أو هي فعل المكلّف على خلاف هوى نفسه تعظيماً لربه (تعريفات الجرجاني) . والعبادات هي الشعائر الدينية .

ويطلق لفظ العبادة مجازاً على الخضوع للآلهة الكاذبة ، كعبادة الكواكب ، وعبادة الأرواح ، أو يطلق على الأشياء التي ترمز إلى الآلهة كعبادة الأصنام (Idolâtrie) ، أو على الميل الشديد إلى أحد الأشخاص والتذلل له كعبادة المعشوق .

والفرق بين عبادة الأصنام وعبادة الأشياء المادية (Fétichisme) أن الأولى تقوم على اتخاذ الصنم وسيلة للتقرب إلى الله ، على حين أن الثانية تقوم على عبادة الأشياء المادية لذاتها . ومعنى ذلك أن الصنم ليس [إلهاً ، وإنما هو صورة ترمز إلى الإله .

ومن ظواهر عبادة الأشياء المادية في علم الأمراض العقلية حالة الانحراف الجنسي التي تجعل العاشق يستبدل بعشق الشخص المعشوق عشق بعض أعضائه أو بعض ملابسه .

وعبادة المجتمع (Sociolâtrie) اصطلاح وَضَعه (اوغوست كومت) للتعبير عن ميل الأفراد إلى تقديس الروابط الاجتماعية .

(راجع الورع « Piété » والتقوى « Dévotion ») .

العبـد

في الفرنسية	Esclave
في الانكليزية	Slave
في اللاتينية	Servus , slavus

العبد في الأصل هو الإنسان حراً كان أو رقيقاً لأنه مربوب لله . ويطلق أيضاً على إنسان يملكه غيره ويسمى بالرقيق ، ويجمع على عباد وعبيد . (فالعباد) لا يضاف إلا إلى الله ، أما (العبيد) فيضاف إلى الله وإلى غيره ، وهو أعم من العباد .

ويطلق لفظ العبد مجازاً على الرجل الذي يتقيد بقواعد السلوك تقيداً شديداً . تقول هذا الرجل عبد الواجب أو عبد الوفاء بالعهد . ويطلق أيضاً على الرجل الذي ينقاد لإحدى قواه الطبيعية أو المكتسبة انقياداً تاماً . تقول هذا الرجل عبد الغريزة أو عبد العادة .

والعبودية (Esclavage) صفة العبد ، وهي ضد الحرية .

وقد قيل إن عبودية النبيّ لله تعالى أشرف من رسالته ، لأنه بالعبودية ينتقل من الخلق إلى الحق ، وبالرسالة ينتقل من الحق إلى الخلق . وقيل أيضاً : العبودية هي الوفاء بالعهود ، وحفظ الحدود ، والرضا بالموجود ، والصبر على المفقود (تعريفات الجرجاني) .

العتبة

في الفرنسية	Seuil
في الانكليزية	Threshold
في اللاتينية	Solium, limen, liminis

العتبة في اللغة خشبة الباب التي يوطأ عليها لدخول الدار . وتطلق مجازاً على بداية كل شيء ، تقول عتبة الحياة ، وعتبة الامتحان .

والعتبة في علم النفس هي الحد الأدنى الذي يجب أن يكون عليه المؤثر حتى يكون مصحوباً بالاستجابة ، لأن المؤثر لا يحدث إحساساً إلا إذا بلغ درجة معينة من الشدة .

والعتبة قسمان : عتبة مطلقة (Seuil absolu) وعتبة فاصلة (Seuil différentiel) . أما العتبة المطلقة فهي الحد النهائي لكمية المؤثر التي يزول الإدراك الحسي دونها أو بعدها ، أو هي أصغر كمية المؤثر تستطيع أن تولد إحساساً . وأما العتبة الفاصلة فهي أصغر كمية تضاف على المؤثر لتوليد إحساس مختلف عن الإحساس السابق .

وليست العتبة في كلا الحالين ثابتة ، وإنما هي مترجحة حول حد متوسط خاص بكل نوع من الإحساس ، فتتغير بتغير الأفراد ، وتتبدل بتبدل الحالة النفسية التي يمر بها كل فرد .

وقد انتشر لفظ العتبة في علم النفس الحديث حتى عم جميع مسائله تقول : عتبة المؤثر ، وعتبة الإحساس ، وعتبة الشعور ، وعتبة الانتباه .. الخ .

العَتَه

في الفرنسية	Idiotie
في الانكليزية	Idiocy

العته في اللغة نقص في العقل من غير جنون . والمعتوه (Idiot) اسم مفعول منه ، وهو الشخص المختلط العقل الذي يشبه بعض كلامه كلام العقلاء ، وبعضه كلام المجانين .

والعته في علم النفس مختلف عن البلاهة .

فالمعتوه شخص ضعيف القوى العقلية منذ ولادته . وهو يتميز على العموم ببطء حركاته ، وبلادته ، وغلاظة إحساسه ، وعدم انتباهه ، وشدة خجله وعجزه عن التخيل والمبادرة ، وميله إلى القعود ، كأن به داءً يقعده عن العمل . وهو وإن كان قليل التأثر بالإيحاء إلاّ أنه مطيع للأوامر والنواهي متقيد بالنظام ، قادر على الشعور بالحب ، والاعتراف بالجميل ، يسهل عليك أخذه باللطف أكثر مما يسهل عليك أخذه بالخوف .

أما الأبله (Imbécile) فيتميز بالفوضى في تخيله ، وبالسرعة في تداعي أفكاره تداعياً غير متماسك . وهو وإن كان يقظ الانتباه ، إلا أنه قليل الاستمرار عليه ، ومع أنه عاجز عن إتمام كل عمل أو إتقانه فإنه شديد الاغترار بنفسه ، يلحف في المطالبة بحقوقه ، ويسوف في القيام بواجبه ، شديد التحمس للأشياء الباطلة أو المضرة ، كثير الاندفاع ، قليل النظام ، شارد الفكر ، يفخر بقلة إحسانه ومعروفه وخشونة أفعاله ، شديد الميل إلى تلقي الإيحاء ببعض الأشياء دون بعض ، قليل التأثر بحسن المعاملة ، كثير التأثر بالتهديد والتملق .

ومما يتميز به المتوه عن الأبله أن الأول يتصف ببعض العاهات الجسمانية كالعمى والصمم والحول والتأتأة والفالج النصفي والتشنج على حين أن الثاني قلما اتصف بشيء من ذلك . إلا أن الاثنين يشتركان في صغر حجم دماغيهما .

ويمكن القول في ذلك قولاً عاماً وهو أن المتوه يتميز بنقص نموه أو توقفه على حين أن الأبله وإن كان متصفاً بالنمو إلا أن نموه غير سوي ، وغير متجه إلى الخير .

والعته الأخلاقي (Idiotisme moral) مختلف عن الجنون الأخلاقي (Folie morale) ، فالأول يتميز بضمور الدوافع الغيرية والاجتماعية والجمالية على حين أن الثاني يتميز ببعض الدوافع الشاذة كجنون السرقة (Kleptomanie) وجنون إدمان الشراب (Dipsomanie) .

(راجع لفظ : الجنون)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العُجب

في الفرنسية	Orgueil
في الانكليزية	Pride

العجب هو أن يتصور المرء استحقاق رتبة لايكون مستحقاً لها ، أو هو كما قال مسكويه : « ظن كاذب بالنفس في استحقاق مرتبة غير مستحقة لها » (تهذيب الأخلاق ص ٩٦ ، طبعة قسطنطين زريق ، بيروت ١٩٦٦) ويرادفه الزهو والكبرياء ، والصلف ، والتمدح ، والافتخار ، والتيه والغرور . ولهذه الألفاظ معان متقاربة : فالصلف تكبر مع ثقل الروح ، والتمدح افتخار المرء بما ليس عنده ، والافتخار هو « المباهاة بالأشياء الخارجة عنا » (مسكويه : تهذيب الأخلاق ص ١٩٦) والتيه قريب من العجب . « والفرق

بينها أن المعجب بنفسه يكذب نفسه فيا يظن بهـا ، والتياه يتيه على غيره ولا يكذب نفسه ، (مسكويه ، المصدر نفسه ، ص ١٩٨) . وأما الغرور (Vanité) فهو قريب من التيه ، والفـرق بينه وبين العجب أن المعجب بنفسه يفرح بما يظنه بنفسه من الفضائل ، ولا يبالي بآراء الآخرين فيه على حين أن المغرور يتصف بحب الظهور وبالميل إلى إشهار ماعنده من الفضائل حتى يكون إعجاب الناس به سبيـلاً إلى فرحه بنفسه . ولا تبال بقول (اوغوست كومت) إن العجب مصحوب بحب السيطرة ، والغرور بحب المديح ، لأن المعجب بنفسه قد يعيش في عزلة تامة عن الناس مكتفياً بشعوره الذاتي بتفوقه على غيره ، أما المغرور بنفسه فإنه وإن كان يحب المديح إلاّ أنه لايكتفي بحسن ثنائك عليه ، بل يريد أن تبالغ في ذلك ، وان تكرر ما تقوله فيه أمام الناس ، حتى يعترفوا جميعاً بفضله . ومعنى ذلك كله أن الغرور هو الطمع بالباطل ، على حين أن العجب هو الزهو والكبرياء .

(راجع كتاب السياسة الوضعية لاوغوست كومت A. Comte, politique positive I. 698) .

العجز عن الكتابة

في الفرنسية Agraphie

في الانكليزية Agraphia

يطلق هـذا الاصطلاح على فقدان المرء قدرته على الكتابة وإن كان غير مصاب بالشلل . وقد سماه شاركو (Charcot) حبسة اليد (Aphasie de la main) . وإذا لحق هذا العجز قدرة الموسيقار على التعبير عن عواطفه بالإشارات الموسيقية سمي بالحبسة الموسيقية .

(راجع لفظ الحبسة « Aphasie ») .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

العجز عن الفعل

في الفرنسية Apraxie

في الانكليزية Apraxia

يطلق هذا الاصطلاح على عجز المرء عن تنفيذ بعض الحركات القصدية بإرادته وإن كان غير مصاب بالشلل أو الخلل العصبي، كعجزه عن مخط أنفه، أو عن استعمال أدوات الطعام، أو عن رسم إشارة الصليب. ولهذا العجز عن الفعل صور مختلفة منها العجز عن تنفيذ الحركات، والعجز عن التصور والتنفيذ، والعجز عن النطق أي الحبسة (Aphasie)، والعجز عن الكتابة (Agraphie).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العدالة

في الفرنسية Justice

في الانكليزية Justice

في اللاتينية Justicia

العدالة في اللغة الاستقامة، وفي الشريعة الاستقامة على طريق الحق والبعد عما هو محظور، ورجحان العقل على الهوى. وفي اصطلاح الفقهاء اجتناب الكبائر، وعدم الإصرار على الصغائر، واستعمال الصدق واجتناب الكذب، وملازمة التقوى، والبعد عن الأفعال الخسيسة. وهي مرادفة للعدل باعتباره مصدراً، وهو الاعتدال والاستقامة وملازمة الحق.

والعدالة عند الفلاسفة، هي المبدأ المثالي، أو الطبيعي، أو الوضعي الذي يحدّد معنى الحق، ويوجب احترامه وتطبيقه.

فاذا كانت نعتاً للأشياء المطابقة للحق دلت على المساواة والاستقامة، وإذا كانت نعتاً للفاعل دلت على إحدى الفضائل الأصلية. وهي الحكمة

والشجاعة والعفة والعدالة . » وليست العدالة جزءاً من الفضيلة ، وإنما هي الفضيلة كلها » . (مسكويه ، تهذيب الأخلاق ، ص ١١٧) .

وللعدالة باعتبارها فضيلة جانبان : أحدهما فردي ، والآخر اجتماعي . فاذا نظرت إليها من جانبها الفردي دلت على هيئة راسخة في النفس تصدر عنها الأفعال المطابقة للحق . وجوهرها الاعتدال والتوازن والامتناع عن القبيح ، والبعد عن الإخلال بالواجب . وإذا نظرت إليها من جانبهـــا الاجتماعي دلت على تقديس حقوق الآخرين وعلى إعطاء كل ذي حق حقه .

وقد بين الفلاسفة أن أساس العدالة المساواة ، وان مبدأها التوسط بين الإفراط والتفريط .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والعدالة عندهم عدالتان : عدالة المعاوضة (Justice commutative) وعدالة التوزيع أو القسمة (Justice distributive) ، الأولى تتعلق بتبادل المنافع بين الأفراد على أساس المساواة كما في عقود البيع والشراء وسائر المعاملات ، والثانية تتعلق بقسمة الأموال والكرامات على الأفراد بحسب ما يستحقه كل واحد منهم ، بحيث يمكن القول إن نسبة هذا الإنسان إلى هذا المال كنسبة كل من كان في مثل مرتبته إلى قسطه . ومعنى ذلك أن عدالة المعاوضة تنظم علاقات الأفراد بعضهم ببعض على حين ان عدالة التوزيع تنظم علاقات الأفراد بالدولة ، وفي كلا هذين النوعين من التنظيم نسبة ، إلا أن نسبة عدالة المعاوضة عددية ، ونسبة عدالة التوزيع هندسية .

والفرق بين العدالة والمحبة ان العدالة توجب على المرء التقيد بالحق أي أخذ ماله وإعطاء ما لغيره ، على حين أن المحبة توجب عليه أن يريد لغيره أكثر مما يريده لنفسه . والإنسان لا يحتاج إلى العدالة إلا إذا فاته شرف المحبة : « ولو كان الناس جميعاً متحابين لتناصفوا ولم يقع بينهم خلاف » (مسكويه ، تهذيب الأخلاق ، ص ١٣٣) .

لذلك قيل إن واجبات العدالة أضيق من واجبات المحبة ، لأن الأولى توجب على المرء الامتناع عن الشر واجتناب الاعتداء على حقوق الآخرين ، على حين ان الثانية توجب عليه الجود بنفسه في سبيل غيره . وإذا اعتبرنا المحبة مبدأً خلقياً عاماً ملازماً للذات الإنسانية ، والعدالة قاعدة عملية موضوعية ضرورية لضبط علاقات الناس ، لم يكن بين هاتين الفضيلتين تعارض ، لأن مبدأ المحبة يصبح في هذه الحالة أساس الأفعال العادلة ، ولأن قاعدة العدالة يمكن أن تمتد إلى جميع الواجبات حتى تشمل تحديد علاقات المحبة وتحديد صورها القابلة للتنفيذ . ولا معنى لقول بعضهم إن فضيلة العدالة سلبية وفضيلة المحبة إيجابية ، لأن من شرط كل فضيلة أن تكون موجبة ، وقديماً قيل : إن الكف عن الفعل فعل . ونحن نعتقد أن العدالة المثالية والمحبة المعقولة لا تؤلفان في حقيقة الأمر إلا شيئاً واحداً .

والعدالة الاجتماعية (Justice sociale) هي احترام حقوق المجتمع والتقيد بالصالح العام ، أو هي احترام الحقوق الطبيعية والوضعية التي يعترف بها المجتمع لجميع أفراده ، كتنظيم الأجور والتأمينات الاجتماعية ، والخدمات الصحية .. الخ . التي يحق للأفراد أن يحصلوا عليها في سبيل إدامة حياتهم وحفظ بقائهم . (راجع الألفاظ التالية : الفضيلة ، المحبة ، الرحمة) .

العدد

في الفرنسية Nombre

في الانكليزية Number

في اللاتينية Numerus

١ — العدد هو الكمية المؤتلفة من الوحدات ، أو الكمية المؤلفة من نسبة الكثرة إلى الواحد . ويسمى بالكم المنفصل ، لأن كل واحد من

أجزائه منفصل عن الآخر دون اشتراك بينها ، بخلاف الكمّ المتصل وهو ما كان بين أجزائه حد مشترك .

وعلم العدد هو العلم الرياضي المحض ، وينقسم إلى علم الكم المنفصل كعلم الحساب وعلم الجبر . وعلم الكم المتصل كعلم الهندسة وحساب اللانهايات .

٢ — وللعدد عند بعض الفلاسفة قيمة مطلقة من جهة دلالته على طبائع الأشياء . فالفيثاغوريون يزعمون أن الأعداد المجردة مطابقة لصور الموجودات . و (مالبرانش) يقول : إن صور الأعداد قائمة بالذات الإلهية ، وهو يسميها بالأعداد العادة (Nombres nombrants) .

٣ — أما الرياضيون فانهم يفرقون بين العدد المجرد ، والعدد العيني ، والعدد الصحيح ، والكسر ، والعدد الربح ، والعدد النطق ، والعدد الأصمّ ، والعدد الأولي ، والعدد المركب ، والعدد التام ، والعدد الخيالي .

آ — فالعدد المجرد (Nombre abstrait) هو المنى الدال بذاته على الكثرة دون النظر إلى ما يعده ، بخلاف العدد العيني (Nombre concret) الذي يضاف إلى مايعدّه كقولنا : ثلاثة كتب وعشرة دنانير .

ب — والعدد الصحيح (Nombre entier) هو الذي يتألف من إضافة الواحد إلى نفسه . وتسمى الأعداد الصحيحة بالأعداد الطبيعية (Nombres naturels) وهي تتألف من الحدود التالية :

١ ، ١ + ١ ، ١ + ١ + ١ .. الخ . (أي ١ ، ٢ ، ٣ ... الخ)

وتنقسم هذه الأعداد إلى أصلية (Cardinal) وترتيبية (Ordinal) أما الأصلية فهي التي تستعمل في عد المجموع دون النظر إلى ترتيب أجزائه وأما الترتيبية فهي التي تشير إلى مرتبة كل جزء من المجموع كمرتبة الآحاد ومرتبة العشرات ، ومرتبة المئات ... الخ .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ج — أما الكسر (Nombre fractionnaire) فيتألف من عددين صحيحين أحدهما صورة والآخر مخرج ، وهو أعم من العدد الصحيح لأن هذا الأخير ليس سوى كسر مخرجه واحد ؛ ويسمى الكسر الذي مخرجه عشرة أو إحدى قوى العشرة بالكسر العشري .

د — وأما العدد المربع (Nombre carré) فهو المضروب في نفسه بخلاف العدد المسطح المضروب في غيره . ومضروب المربع في جذره يسمّى مكعباً ، ومضروب المسطح في أحد جزئيه يسمى مجسّماً .

هـ — وإذا كان للعدد الصحيح جذر سمي بالمنطق (Rationnel) وإذا لم يكن له جذر سمّي بالأصمّ (Irrationnel) . وكل عدد ليس بينه وبين الواحد اشتراك في القياس فهو عدد أصم .

و — وأما العدد الأولي (Nombre premier) فهو العدد الذي لا ينقسم إلاّ على نفسه وعلى الواحد .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ز — وأما العدد المركب (Nombre complexe) فهو المؤلف من عدة أعداد لا تدخل في التعداد العشري كقولنا ثلاث ساعات وعشرين دقيقة وخمس عشرة ثانية (١٥ً ، ٢٠ْ ، ٣) أو هو المؤلف من جزئين أحدهما حقيقي والآخر خيالي .

ح — وأما العدد التام (Nombre parfait) فهو العدد المساوي لمجموع أجزائه المفردة ، مثال ذلك : (٦ = ١ + ٢ + ٣) و (٢٨ = ١ + ٢ + ٤ + ٧ + ١٤) . فاذا نقص مجموع أجزائه عنه سمي ناقصاً كالأربعة فان مجموع أجزائها المفردة ثلاثة ، وإذا زاد مجموع أجزائه المفردة عليه سمي زائداً كالإثنى عشر فان مجموع أجزائه ١٦ .

ط — وأما العدد الخيالي (Imaginaire) فهو القيمة التي تعطى لـ(م)

في الجملة (ب + جـ هـ) عندما يكون هـ٢ = — ١ . وهـذا يجعل للجملة هـ = √ — ١ معنى خاصاً يسوقنا إلى قضايا جديدة ومعادلات جديدة ، تصبح الأعداد الحقيقية معها حالات خاصة من الأعداد الخيالية . وذلك لأن الجملة (ب + جـ هـ) تكون مساوية لـ (ب) عندما يكون (جـ) مساوياً لصفر .

٤ — والعدد إما سالب (Négatif) مثل (— ق) أو موجب (positif) مثل (+ ق) ، ويسمَّى مجموع الأعداد السالبة والموجبة بالأعداد الجبرية (Nombres algébriques) .

٥ — والعددان المتحابان (Nombres amiables) هما العددان اللذان يكون كل منهما مساوياً لمجموع أجزاء الآخر مثل (٢٢٠) و (٢٨٠) .

٦ — ونظرية الأعداد (Théorie des Nombres) فرع من العلم الرياضي ، وهي تبحث في اختلاف الخواص العددية باختلاف الأعداد ، خلافاً للخواص المشتركة المسماة بالخواص الجبرية .

٧ — وقانون الأعداد الكبرى (Loi des grands nombres) الذي أشار إليه الرياضي بواسون (Poisson) هو القول ان تكرار أكبر عدد من الحالات المتشابهة الطبائع الخاضعة لأسباب متغيرة يكشف لنا عن وجود علاقات ثابتة بينها ، بحيث يمكن القول إن هذه الحالات المتكررة كلما كانت أكثر كان الفرق النسبي بين أفرادها أقل ، والتنبؤ بنتائجها أدقّ . وقانون العدد الأكبر أساس حساب الاحتمالات (Calcul des probabilités) .

العدم

في الفرنسية	Néant
في الانكليزية	Non being
في اللاتينية	Non ens

١ — العدم ضد الوجود ، وهو مطلق أو إضافي . فالعدم المطلق هو

الذي لا يضاف إلى شيء . والعدم الإضافي أو المقيد هو المضاف إلى شيء ، كقولنا : عدم الأمن ، وعدم الاستقرار ، وعدم التأثر .. الخ .

قال ابن سينا : « البالغ في النقص غايته فهو المنتهي إلى مطلق العدم فبالحري أن يطلق عليه معنى العدم المطلق » (الإشارات ١ ، ص : ٦٩ – ٧٠) وقال أيضاً : « وأما العدم فليس هو بذات موجودة على الإطلاق ولا معدومة على الإطلاق ، بل هو ارتفاع الذات الوجودية بالقوة » (النجاة ص : ١٦٤) . والأولى أن يسمى العدم المضاف إلى الشيء بفقد الشيء أو غياب الشيء ، أو نقص الشيء .

٢ – والعدم إما أن يكون سابقاً وهو المتقدم على وجود الممكن ، وإما أن يكون لاحقاً وهو الذي يكون بعد وجوده . قال ابن سينا : « واعلم أن الفاعل الذي يفيد الشيء وجوداً بعد عدمه يكون لمفعوله أمران : عدم قد سبق ، ووجود في الحال » (النجاة ، ص : ٣٤٧) .

٣ – ولكن العدم المحض لا يوصف بكونه قديماً ولا حادثاً ولا شاهداً ولا غائباً (كليات أبي البقاء) .

٤ – قال (هنري برغسون) في كتاب التطور المبدع (Evolution créatrice, 307) : ان معنى العدم المطلق معنى متهافت وهو يهدم نفسه بنفسه ، لأنه إذا كان حذف الشيء يوجب الاستعاضة عنه بغيره ، وكان لا يمكن تصور غياب الشيء إلاّ إذا أمكن تصور حضور شيء آخر في مكانه ، وكان معنى الحذف في النهاية هو الإبدال ، فانّ فكرة حذف كل شيء ليست سوى فكرة متناقضة كفكرة الدائرة المربعة . إن تصور عدم الشيء أغنى من تصور وجوده ، لأنه يتضمن فكرة الوجود ، وفكرة ارتفاع الوجود معاً .

٥ – ومعنى العدم عند (هيجل) مساو لمعنى الوجود ، أما عند الفلاسفة الوجوديين فان العلاقة بين هذين المعنيين مختلفة . مثال ذلك قول (ياسبرز) :

إن العدم عنوان الوجود ، وقول (هيدجر) : إن العدم يتجلى على هيئة شهود تارة ، وعلى هيئة غياب أخرى . وقول (سارتر) إن العدم متأخر عن الوجود وهو يتبعه دائماً .

٦ — وقد بين (كانت) أن العدم عدة معان .

أ — فهو يطلق على كل مفهوم أجوف ليس له موضوع حقيقي كمفهوم الشيء بذاته .

ب — وهو يطلق على غياب إحـــدى الكيفيات المحددة كالظل والبرودة وغيرها .

ج — وهو يدل على كل صورة حدسية ليس لها جوهر كالمكان والزمان .

د — وهو يطلق أخيراً على كل مفهوم متناقض كالمضلع المؤلف من ضلعين .

٧ — وبين (سارتر) أخيراً في كتاب الوجود والعدم (L'être et le néant,58) أن لمفهوم العدم صفة مصطنعة لأنه لا معنى له إلا من جهة ما هو نفي شيء أو فقدان شيء ، ولأنه لا يمكن إقراره إلا بالفكر . ومعنى ذلك أنه لا وجود للعدم بذاته . إنما الوجود للكائن الذي يتصور عدم الأشياء لا للأشياء المعدومة فكأن العدم لا يجيء إلى العالم إلا بواسطة الإنسان .

٨ — والعدمي هو المنسوب إلى العدم . وكل شيء مصيره إلى الزوال كالسماء المظلة والأرض ، والمال ، والجاه ، والملك فهو عدمي .

العدمية

في الفرنسية	Nihilisme
في الانكليزية	Nihilism

وهو مشتق من اللفظ اللاتيني (Nibil) ومعناه لا شيء .

العدمية ثلاثة أقسام : فلسفية وأخلاقية وسياسية .

١ — أما العدمية الفلسفية (Nihilisme philosophique) فهي مطلقة أو انتقادية الأولى تتميز بانكار وجود كل شيء والثانية تتميز بانكار قدرة العقل على الوصول إلى الحقيقة . وهي في كلا الحالين مرادفة للريبية (Scepticisme) .

٢ — وأما العدمية الأخلاقية (Nihilisme moral) فهي مذهب نظري أو حالة فكرية . فاذا كانت مذهباً نظرياً دلت على إنكار وجود القيم الأخلاقية وإبطال مراتبها ، وإذا كانت حالة فكرية دلت على عجز العقل عن تصور هذه القيم .

٣ — وأما العدمية السياسية (Nihilisme politique) فهي اصطلاح سياسي استعمله للمرة الأولى (تورجنيف) في روايته المسماة : « الآباء والأبناء » سنة ١٨٦٢ ويطلق على المذهب السياسي والاجتماعي الذي اعتنقه عدد كبير من الثوريين الروس قبل سقوط الحكومة القيصرية سنة ١٩١٧ ، وقوام هذا المذهب انتقاد الأوضاع السياسية والاجتماعية ، والامتناع عن الاعتراف بشرعية القيود القانونية المفروضة على الأفراد . إلا أن أنصار هذا المذهب أخذوا بعد عام ١٨٧٥ يحبذون الإرهاب والاغتيال السياسي ، ويعملون على هدم الأوضاع السياسية والاجتماعية الفاسدة ، دون التفكير في الأنظمة التي يجب أن تحل محلها .

والعدمية السياسية مرادفة للفوضوية (Anarchisme) .

راجع لفظ الفوضى .

العدوى

في الفرنسية Contagion

في الانكليزية Contagion

العدوى في الأصل انتقال الداء من المريض إلى الصحيح وهي إما جسمية ، وإما عقلية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويطلق اصطلاح العدوى العقلية (Contagion mentale) على انتقال الأحوال النفسية من شخص إلى آخر من غير أن يكون أحدهما مريداً لهذا الانتقال . ويمكن تفسير هذا الاشتراك في الأحوال النفسية بإرجاعه إلى ظاهرة التقليد العامة .

ويطلق اصطلاح العدوى العقلية أيضاً على انتقال الداء النفسي من المريض إلى الصحيح ، والفرق بين المعنيين أن الأول عام يشمل انتقال الأحوال النفسية جميعاً من شخص إلى آخر مَرَضية كانت أو غير مرضية ، على حين أن الثاني خاص بانتقال الاعتلال النفسي من المريض إلى الصحيح .

العدوان

في الفرنسية Agression

في الانكليزية Agression

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العدوان ، الظلم ومجاوز الحد ، وهو صفة من يعدو على غيره . وغريزة العدوان أو العدوانية (Agréssivité) نمط من السلوك يتميز بروح الاعتداء والإقدام على المخاطر بدلاً من اجتنابها .

ويطلق لفظ العدوانية أيضاً على ميل الإنسان إلى الأعمال العنيفة أو إلى الدفاع عن النفس أو على انتهازه كل فرصة لإثبات ذاته أو على تعصبه للمبادئ والعقائد التي يؤمن بها تعصباً شديداً .

والعدوانية أخيراً هي الطموح ، وحب السيطرة ، وميل المرء إلى تسخير كل شيء لأهدافه الخاصة .

لقد زعم (فرويد) أن هذه العدوانية غريزة تخريب وتهديم ، إلا أن معظم علماء التحليل النفسي المعاصرين يجعلون العدوانية مظهراً من مظاهر إثبات الذات .

العرض

في الفرنسية	Accident
في الانكليزية	Accident
في اللاتينية	Accidens

١ — عرض الشيء ظهر وبدا ولم يدم . والعرب يطلقون لفظ العرض على عدة معان . فهو يدل عندهم :

آ — على الأمر الذي يعرض للمرء من حيث لم يحتسبه .

ب — أو على ما يثبت ولا يدوم .

ج — أو على ما يتصل بغيره ويقوم به .

د — أو على ما يكثر ويقل من متاع الدنيا .

فكأن المتكلمين والفلاسفة استنبطوا معنى العرض من أحد هذه المعاني ، فدلوا به على ما لا يقوم بذاته وهو الحال في الموضوع .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢ — قال ابن سينا : « يقال عرض لكل موجود في موضـــوع » (رسالة الحدود) . وقال أيضاً : كل ذات لم يكن في موضوع فهو جوهر ، وكل ذات قوامها في موضوع فهي عرض (النجاة ص ٣٢٥) ، وقال الغزالي : « العرض اسم مشترك :

آ — فيقال عرض لكل موجود في محل .

ب — ويقال عرض لكل موجود في موضوع .

ج — ويقال عرض للمعنى الكلي المفرد المحمول على كثيرين حملاً غير مقوم .

د — ويقال عرض لكل معنى موجود للشيء خارج عن طبعه .

هـ — ويقال عرض لكل معنى يحمل على الشيء لأجل وجوده في آخر يقارنه .

و — ويقال عرض لكل معنى وجوده في الأول لا يفارقه .

(راجع معيار العلم ، طبعة مصر ١٣٢٩ ، ص : ١٧١) .

وقال الخوارزمي : « العرض هو ما يتميز به الشيء عن الشيء لا في ذاته كالبياض والسواد والحرارة والبرودة وغير ذلك » . (مفاتيح العلوم ، طبعة مصر ١٣٤٢ ص ٨٦) .

٣ - وفي وسعنا أن نرجع هذه المعاني كلها إلى المعنيين التاليين :

آ — العرض ضد الجوهر ، لأن الجوهر هو ما يقوم بذاته ولا يفتقر إلى غيره ليقوم به ، على حين أن العرض هو الذي يفتقر إلى غيره ليقوم به . فالجسم جوهر يقوم بذاته ، أما اللون فهو عرض لأنه لا قيام له إلا بالجسم . وكل ما يعرض في الجوهر من لون وطعم وذوق ولمس وغيره فهو عرض لاستحالة بقائه بذاته .

ب — العرض ضد الماهية ، وهو ما لا يدخل في تقويم ماهية الشيء ، كالقيام والقعود للإنسان فهما لا يدخلان في تقويم ماهيته .

٤ — على أن الفلاسفة يقسمون العرض إلى لازم ومفارق . فالعرض اللازم هو ما يمتنع انفكاكه عن الشيء ، كمساواة زوايا المثلث لقائمتين ، فهي بمعنى ما عرض لعدم دخولها في تقويم ماهية المثلث ، ولكنها مع ذلك لا تفارقه . أما العرض المفارق فهو ما لا يمتنع انفكاكه عن الشيء كالنوم للانسان . وهو إما سريع الزوال كحمرة الخجل وصفرة الوجل ، وإما بطيء الزوال كالشباب والكهولة .

٥ — والعرضي (Accidentel) هو المنسوب إلى العرض ، وهو ضد الجوهري ، (Substantiel) والذاتي (Essentiel) والضروري (Nécessaire) قال ابن سينا : « وأما العرضي فربما كان خاصاً بطبيعة المحمول عليه لا يعرض

لغيره ، كالضحاك والكاتب للإنسان ، ويسمى خاصة ، وربما كان عارضاً له ولغيره كالأبيض للإنسان وغيره ويسمى عرضاً عاماً ، (الشفاء ، المنطق) .

٦ — فالعرض العام (Accident commun) هو كل كلي مفرد عرضي أي غير ذاتي يشترك في معناه أنواع كثيرون كالبياض للثلج والعاج .

٧ — وأقسام العرض عند الحكماء المشائين تسعة وهي : الكم (Quantité) والكيف (Qualité) والاين (Lien) والوضع (Position) والملك (Possession) والإضافة (Relation) ومتى (Temps) والفعل (Action) والانفعال (Passion) وتسمّى هذه الأعراض مقولات .

٨ — ويطلق العرض في علم الطب على ما يحسّه المريض من الظواهر الدالة على المرض وجمعه أعراض .

٩ — فائدة : من الفلاسفة من يشكك وجود الأعراض ويزعم أن العالم كله جواهر كابن كيسان ، ومنهم من يثبت وجود العرض ويزعم أنه لا يقوم بنفسه ، إلا العلاف ، فإنه جوّز وجود إرادة عرضية تحدث لا في محل . ومنهم من يجوز قيام العرض بالعرض ومنهم من لا يجوزه ، ومنهم من يقول إن العرض لا يبقى زمانين ، ومنهم من يجوز بقاءه .

١٠ — راجع الألفاظ التالية : الجوهر ، الماهية ، الذات ، المقولات .

جميل صليبا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أدب الفقهاء

-١٥-

كلمة ختامية

الآن وقد أثبتنا بما لامزيد عليه من البيان والتبيين، والأمثلة والشواهد أن أدب الفقهاء أدب حيّ معبّر، لايقصر عن أدب غيرهم ممن ليسوا بفقهاء وان التهمة التي توجّه إليه بالضعف والتخلف حتى جعلته مثلاً مضروباً لكل أدب بارد سخيف، هي تهمة باطلة فيها كثير من التجني والظلم لهذا الأدب والمنتجين له، نريد أن نقول في كلمة ختامية لهذا البحث، أننا لاننفي أن بعض الفقهاء ليس لهم من الأدب حظ ولا نصيب، وأنهم حين يتعاطون النظم يتكلفون ماليس من سجيتهم، فيأتي نظمهم فجاً ركيكاً .. ولكن يجب أن لاننسى أن في أدب غيرهم من الفسولة والرداءة مايغطي على أدب الفقهاء الذين يقرّون بأنهم متطفلون على موائد الأدباء، بخلاف من يقول أنا به زعيم. وكلنا نعلم أن شواهد علماء البلاغة التي يوردونها مثالاً للتنافر والغرابة ومخالفة القياس وضعف التأليف والتعقيد وغير ذلك من عيوب اللفظ والمعنى، هي من كلام كبار الشعراء المعترف لهم بالسبق في مضمار صناعة النظم، وليست من كلام الفقهاء، وكذلك شواهد علمَي العروض والقافية على مايعتري النظم من اختلال وعدم انسجام بما يدخله من زحافات قبيحة وعلل مستكرهة، هي من كلام أعلام الشعر وفحول العرب جاهليين وإسلاميين، فالفقهاء ونعني بهم العلماء على العموم، إذا لم ينظموا

على الطبع والسجية ، يقعون في مثل ماوقع فيه أئمة الصناعة وأمراء الكلام ، وهم بحكم علمهم بما يُتَرخّص فيه من مخالفة القواعد ومجاوزة القيود يكثر منهم التساهل ولا سيما عندما يعتمدون التقطيع ويتحاكمون إلى أجزاء التفعيلة فيجيء نظمهم قلقاً مضطرباً ، ولكنهم لايرون بذلك بأساً ، لأنه جار على المسطرة كما يقولون . وقد لاحظتُ غير ما مرة على بعض النظّامين ما في كلامهم من الكسر والسقوط ، فكانوا يلجأون إلى التقطيع ويحتجون بأنهم على سَوِيّة العروض .

وهذا فيما يكون من الشكل غيرَ مُخِل بالمحتوى ، أما ما اشتمل على الخلّتين واعتورته العلة من الناحيتين ، فهو مما لا كلام عليه ، وصاحبُه حريّ بأن لايعد في الفقهاء ولا في الأدباء ، ومع ذلك ففي كلام فحول الشعراء مايذهب بعضُه بكل مافي كلام هؤلاء من مآخذ ومعايب . ولو ذهبنا نضرب الأمثال ونتخيّر « النماذج » مما انتُقِد على متقدمي الشعراء فأحرى متأخريهم لضاق بنا المجال عن استيعاب ذلك . ويكفينا أن نعطي مثالاً واحداً ، وهو هذان البيتان من قول بشار بن بُرد زعيم الشعراء المولدين :

إنما عَظْمُ سُلَيْمى قصَبٌ قصَبُ السكّر لا عظمُ الجمل

وإذا أُدنيتَ منهـــا بصَلا غلب المسكُ على ريح البصل

فأي شعر لفقيه انحطّ إلى هذا الدرك من السخف والغثاثة حتى تُضرب الأمثال بشعر الفقهاء ويُنْسى هذا « النموذج » من شعر الأدباء ؟ فاذا قيل إن هذا وشبهه قليل في كلام الشعراء المطبوعين ، قلنا إنه كذلك قليل في كلام الفقهاء أو طبقة قليلة منهم على الأصح ، مع العلم بأن الشعر عندهم إنما هو هواية ، وليس حرفة ، وهذا القليل من المحترفين المختصين لايقال له قليل ، فكان الأولى أن « يُنوَّه » به كما « يُنوَّه » بقليل القليل من الفقهاء الذي جاء على مثاله أو قريباً منه ان تسامحنا في المقارنة .

ويَسْتَطُّ القضية بمزيد من الوضوح أن أدب الفقهاء الحقيقي هو ما عرضناه وتعرّضنا له بالنقد والتحليل في الأبواب المتقدمة والتراجم السابقة ، وما لم يكن على غراره فهو من عمل ضعاف الفقهاء ، وشيء قليل بالنسبة إلى الكثير الطيب الذي أوردنا منه ما أوردنا ، فإطلاقُ الكلام إلى حدّ إرسال المثل بضعف أدب الفقهاء لا يُوافق الحقيقة ، وفيه تحامل كبير على هذه الطبقة من رجال الفكر وحملة القلم ، ويُنتِج عنه صرفُ النظر عن كثير من الروائع التي تفيد أدبنا غنىً وثروة كما بيّنّاه فيما سلف ، ولو كان هناك حق وإنصاف لما 'حمِل الإحسانُ الكثير في إنتاج هذه الطبقة الشِّعْري على الإساءة القليلة التي وقعت منهم فيه ، مثلما عليه الحال مع الأدباء والشعراء الكبار على الأقل ، وهم الذين كان الواجب أن لا تُغتفر زلّتهم ، لأنهم بمحل القدوة في هذا الشأن .

وجانب آخر من القضية هو أن بعض الفقهاء كثيراً ما يتساهلون في أنظامهم العلمية لقصدهم إلى عموم الفائدة وتقريب المعنى إلى الطلاب ، وهذا ليس من الحق أن تُؤخذ به جميع أفراد هذه الطبقة وَيعمَّها حكمُه ، خصوصاً وان الكثير منهم كان على خلاف ذلك ؛ ينظم الفوائد العلمية ويحصّل قواعد الفنون في شعر بليغ مُحكَم على نحو ما مثّلنا في باب النظم التعليمي حتى قيل في منظومات بعضهم في الكيمياء القديمة إنهـا إن لم تفدك العلم أفادتك الأدب .

وقد نبه على هذه الظاهرة العلامة الأديب أبو العباس أحمد المقري صاحب نفح الطيب ، في كتابه فتح المتعال في مدح النعال ، لمّا أورد أبياتاً من ألفية الحافظ زين الدين العراقي في السيرة النبوية ، تتعلق بوصف النعل الشريفة ، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، ولاحَظ ما فيها من دَرَك عليه صناعةً ، وبعد أن التمس المخرج لذلك ، قال معتذراً عنه : « على أن نظمه رحمه الله نظم فقيه . والمقصود الإفادة ، وهي حاصلة على كل حال ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد سلك هذه الطريقة جماعة من العلماء الصلحاء أعني عدم تحسين النظم إذ قصدهم الجميل إيصال المعاني إلى السامع ولم يشتغلوا بحوك الكلام على طريقة الأدباء كابن الوردي وأنظاره ، فجزى الله الجميع عن الدين خيراً . ولقد كان شيخنا مفتي مدينة فاس العلامة سيدي الشيخ محمد القصار القيسي الفاسي الغرناطي الأصل ، كثير الإصلاح لأبيات العراقي (ألفية في علوم الحديث) وكنتُ لا أحبُ ذلك منه ، مع أن مقصده رحمه الله حسن والتسليم أسلم والله سبحانه وتعالى أعلم .

هذا كلام المقري . ونحن نسجل الفكرة الأساسية فيه ، وهي أن مايقع في نظم بعض العلماء من مآخذ ، منشأه هو التساهل الذي يحملهم عليه قصد النفع والتفهيم بأقرب الطرق وأسهل العبارات ، وليس ذلك من عجز ولا قصور والدليل على ذلك أن قائلَ هذا الكلام والملاحظَ على النظم المعنيّ بالأمر ، أي ألفية العراقي ، هو نفسه من أكبر الفقهاء وأعلم الأدباء ، وهو الذي ألّف لنا أعظم موسوعة عن الأندلس ، وأدبها وعلمائها وشعرائها أعني كتاب نفح الطيب ، وشعرُه ونثرُه من الطبقة الممتازة ، وله نظم تعليمي مشهور في غاية الجودة ، ومنه أرجوزته المعروفة في علم الكلام المسماة بإضاءة الدُجُنّة في عقيدة أهل السنّة . ولا نطيل في التعريف به فالمقري قد طبقت شهرته المغرب والمشرق عالماً وأديباً ومؤرخاً للأدب العربي معتمَداً عند جميع الباحثين . ومع هذه المكانة الأدبية التي له فهو يتسامح مع الحافظ العراقي ويرى عدم التعلق بما في نظمه من لين ، لأن قصد النفع سوّغ له ذلك ، وإن كان هو لايرتكبه ، وهذا ما يجعلنا نتحفّظ بإزاء قوله في العراقي ، على أن نظمه رحمه الله نظم فقيه ، إذ هو يتناقض مع الفكرة الأساسية التي سجلناها عليه ، وأول ما يتقيضُ بنظمه هو ؛ الذي لا تتنزّل عليه تلك الكلمة ولا يقبل هو أن تقال فيه مع أنه من جملة الفقهاء .

ARCHIVE

ودليل آخر يُؤْخَذ من كلام المقري ، وهو عناية شيخه الإمام القصار بإصلاح الأبيات الضعيفة في ألفية الاصطلاح للعراقي . فهذا فقيه كبير وعالم شهير لا تخفى عليه علل النظم التي دخلت بعض أبيات الألفية الشهيرة ويحاولُ إصلاحها ، وما ذلك إلا لتمكنه من صناعة الشعر واختلاف نظره عن نظر العراقي في مسألة التساهل في قواعد النظم ، وإن كان نظماً تعليمياً فليس الفقهاء بإطلاق ممن يُفرِّون هذا النظر ويأخذون به ، فالحكم عليهم بعين الجمْع هو من الخطأ الذي قصدنا إلى تلافيه في هذا البحث .

وإذا كان المقري معروفاً لدى عامة المشتغلين بالبحوث العلمية والأدبية فإن القصار هو شيخه وشيخ العلماء المغاربة في عصره ، بل إن مترجميه يحلِّثونه بشيخ الأعصار والأمصار ، وقد تجاوزت شهرته في زمنه حدود بلاده ، فيُحكى أن الشيخ عبد الواحد ابن عاشر لما حج ومر في طريقه بمصر سأله الشيخ عبد الله الدنوشري من علماء مصر ، عن شيوخه فسمَّى له منهم الإمام القصار فقال الدنوشري في مدحه :

قد حاك شقَّاتِ العلوم أيمةٌ وكسوا بها بالفضل من هو عار
رقَّت حواشيها ، ورقَّ طرازُها لكنها تحتاج للقصـــار

وهذا شعر جيد يشتمل على تورية مليحة ، وهو مما يقوله فقيـــه في فقيه ، ويُحسِّن موقعَ هذه التورية ، العِلمُ بأن أسانيد المغاربة في العلوم كلها تدور على القصار ، فهو من المجـــددين لشباب العلم والمطرزين لحلته الناصعة البياض .

وعلى مقامه العلمي هـذا كان له باع في الأدب وشعر حسن جميل ، ومنه الأبيات التي يقولها في الحض على زيارة الوالدين بعد موتها ، وهي الأبيات التي ادعاها كثير من الشعراء ونصها :

زُرْ والديْك وقف على قبرْيها فكأنني بك قد نقلتَ اليها

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لو كنت حيث هما وكانا بالبقا | زاراك حبواً لا على قدميهما
أنسيت عهدهما عشية أسكنا | دار البلى وسكنت في داريهما
ما كان ذنبهما إليك وإنما | منحاك محض الود من نفسيهما
كانا إذا ما أبصرا بك علة | جزعا لما تشكو وشق عليهما
كانا إذا سمعا أنينك أسبلا | دمعيهما أسفاً على خديهما
وتمنيا لو صادفا لك راحة | بجميع ما يحويه ملك يديهما
فلتلحقنهما غداً أو بعده | حتماً كما لحقا هما أبويهما
ولتندمن على فعالك مثلما | ندما هما أيضاً على فعليهما
بشراك ان قدمت فعلاً صالحا | وقضيت بعض الحق من حقيهما
وقرأت من آي الكتاب بقدر ما | تسطيعه وبثثت ذاك اليهما
فاحفظ بني وصيتي واعمل بها | فعسى تنال الفوز من بريهما

ولا أحتاج أن أنبه على ما في هذه الأبيات من عاطفة شريفة وشعور نبيل زيادة على متانة حوكها وحسن صياغتها. ومن قوله محذراً من بعض المهام ذات المسؤولية الثقيلة وإن كانت في ظاهرها مما يرغب فيه:

ست أبى منها أولو | الأحلام والهمم السنية
إلا بحال ضرورة | تدعو لها مع حسن نية
وهي الشهادة والوسا | طة والحكومة في القضية
وكذا الإمامة والوديـ | ـعة والتعرض للوصية
ثم الاجابة لاطعا | م وللولائم والهدية
فسد الزمان وأهله | إلا القليل من البرية

وهو شعر تظهر عليه مسحة العلم مما يتضمنه من الورع وعلو الهمة والتحري في الحكم ووزن الكلام، فإن الاستثناء في البيت الثاني والشطر الأخير إنما هو من نفثات العلماء.

ومن نظمه التعليمي هذا البيت السائر :

الإستِوا والوجهُ والعينُ ويدٌ صفاتٌ أو فوِّضْ أو اوِّلْ ماوَرَدْ

جمع في بيت مفرد أمثلةَ المُتشابه ومذاهبَ المسلمين بإزائه من السلف والخلف وقولِ الأشعري إنه صفة. وهذا أمر يدل على مقدرة تامة وملكة راسخة ، ومَن كان بهذه المثابة ويصحح الخطأ في نظم العراقي لايُقال في شعره أنه نظم فقيه . .

فهؤلاء ثلاثة فقهاء ، اثنان منهم كما رأينا فوقَ النقد ، وواحد محمول على التساهل لمقصد شريف ، فكيف يُحكم بالثلث على الثلثين حتى مع التسليم بِمَحْجُوجِيَّة هذا الثلث ، وما رأيناه في باب النظم التعليمي يدفعُ ذلك .

هذا ومن اللطائف التي يحسُن إيرادُها هنا أن الصلاح الصَّفَدي أنشد في شرحه اللامية العجم ، وهو يمثل للتشبيه الذي أتى على أسلوب الفقهاء هذه الأبيات لأبي نواس :

فاخرَتْ كلَّ شراب فسمتْ رتبةً ليس يضاهيها شراب

لا تُماريك على تحريمها الانقلْ "ماحرُمتْ" طال الخطاب

حُرِّمتْ، ماحرِّمتْ، بل حرمتْ جاء في التنزيل نهيٌ واجتناب

قال هل أنتم ؟ فقلنا نحن لا ! وسكتنا كلُّنا واستَدَّ باب

ثم عقب عليها بقوله : « كان يقال : أبو نواس فقيه غلب عليه الشعر ، والشافعي شاعر غلب عليه الفقه . . والشافعي والخليل بن أحمد وأبو بكر ابن دُريد معدودون من العلماء الشعراء » .

ولا أدري مدى صحة هذه المقالة بالنسبة إلى فقه أبي نواس بالخصوص ، ولكني أفهمُ منها الإعجاب ببراعة أبي نواس في استخدامه لجدل الفقهاء في أبياته الرائية ، وأعجبُ بحسن رأي الصفدي ، وهو الأديب الضليع في عدم مجافاة الفقه للأدب ، وأن الفقهاء والعلماء يكونون شعراء بلغاء ، ولا يُخِلُّ

فقهم وعلمهم بقيمة أدبهم .. ويحملني هذا أيضاً على إيراد تعليقه على أبيات للعلامة الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد مما مثّل به في هذا الصدد وهي :

كم ليلة فيك وصلنا السُّرى — لا نعرف الغُمْض ولا نستريحْ
واختلف الأصحابُ ماذا الذي — يُزيل من شكواهم أو يُريحْ
فقيل لي تَعريسُهم ساعةً — وقلتُ بل ذكرُكَ وهو الصحيحْ

وهذا نص التعليق : « قلت انظر إلى هذا النظم ما ألطف تركيب ألفاظه وأحلاه، وكونه استعمل طريق الفقهاء في البحث في ذكر اختلاف الأصحاب، وانه قيل كذا وقيل كذا ، وقلت كذا وهو الصحيح ، وكأنه إمامُ الحرَميْن ، وقد ألقى درساً في مسألة فيها خلاف بين الأصحاب ، وقد رجّح ما رآه هو عنده من الدليل ، وما رأيتُ أحسن من هذا بيتاً هو يصف أحوالهم في السرى ومَشاقّهم في التعب وتشاورهم فيما بينهم ، وما اشار به كل منهم في إزالة ما حصل لهم من العَناء ، إذا به قد برز من بينهم برأي أدخل فيه ذكر الممدوح ونص على تصحيحه فكأنه في حلقة الدرس وقد شرع في مسألة خلافية . ويحرُمُ هذا النظم على غير الشيخ تقي الدين .

فلم تكُ تصلــحُ إلاّ له — ولم يكُ يصلح إلاّ لهــا

وما أحقه لو أنشد قول الأرجاني :

أنا أشعرُ الفقهاء غيرَ مُدافَعٍ — في العصر ، لا بل أفقه الشعراء ...».

وبعدَ هذا وذاك يُجمِلُ الصفدي الكلام في الموضوع فيقول : « وكل من عاني النظم وغلب عليه فن من الفنون مال به إلى ذلك الفن ، وغلبت عليه قواعده واستعملها في مقاصده الشعرية وتخيلات معانيه ، وظهر على ما يَرومُه اصطلاحُ ذلك الفن وأحكامُه ، ألا ترى إلى أبي الفتح البستي ومقاطيعه المشهورة في الأدب والحكم ، كيف يغلب عليها ألفاظ المنجمين » .

وهذا هو الرأي والإنصاف في المسألة . لا ما نقل ابن خلدون عن الشاعر أبي العباس الجزنائي الذي بَنَيْنا عليه هذا البحث ، وفتح الباب

للماس على أدب الفقهاء ، حتى أصبحت كلمة نظم فقيه تُقال لكل شعر نازل ، وتُنُوسِيَ كلُّ ما للفقهاء من أدب رفيع وإنتاج شعري عال ، أوردنا بعضه في الفصول المتقدمة ، وما بقي منه أكثر وأطيب . وقد سُررنا بما لقينا في كلام الأديب الصفدي من موافقة لرأينا وتأييد له ، ولذلك ختمنا به كلمتنا هذه والله الموفق .

عبد الله كنون

تصويبات لأخطاء

وقعت في المقالين اللذين يحملان رقمي ١٣ و ١٤ من هذا البحث

في الجزء الأول من المجلد الثالث والأربعين :

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٣٩	٤	الرعاة	الدعاة
	١٧	آية	آلة
	٢٢	ومع	مع
٤٣	٧	ساحبها	صاحبها
	١١	أن يبقي	إلا أن يبقي
	١٦	عدو	عدوه
٤٦	٦	انصفا	اتّصفا
٥٠	٢٢	ويقدر	ويقدره

في الجزء الثاني من المجلد الثالث والأربعين :

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٢٦٦	٤	بقهر	يقهر
	١٩	سال	ساه
٢٧٠	١٢	وللشعر	للشعر (بحذف الواو ، وذلك هو الحرم الذي أشير له في المقال)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فوات الوفيات في طبعته الجديدة

(الجزء الثاني)

حقّقه وضبطه وعلّق حواشيه الشيخ الفاضل محمد محيي الدين عبد الحميد ، وطبع بمطبعة السعادة بمصر سنة ١٩٥١ . وقد كنت نشرت ملاحظاتي على طبعة الجزء الأول ووعدت بإتباعها ملاحظاتي على هذا الجزء ومن الله تعالى التسديد للقول السديد والتيسير لكل أمر عسير فأقول :

١ — ورد في الصفحة الرابعة من هذا الجزء في ترجمة الشيخ الزاهد الكبير عبد القادر الجيلي أو الجيلاني ما هذا نصه : « وسمع من أبي بكر المظفر أحمد بن سوس ومن غيره » . والذي علمناه وحفظناه أنه « ابن سوسن » بالنون ، قال أبو الفرج ابن الجوزي في وفيات سنة ٥٠٣ : « أحمد ابن المظفر بن الحسن بن عبد الله بن سوسن أبو بكر التمّار ، ولد سنة إحدى عشرة وأربعمائة ، روى عنه جماعة وحدثنا عنه أشياخنا ، قال شجاع ابن فارس الذهلي : كان ضعيفاً جداً ... وتوفي في صفر هذه السنة ودفن بباب حرب »(١) .

ولضعفه تناوله لسان الميزان فقد جاء فيه : قال ابن السمعاني : كان يلحق اسمه في الأجزاء »(٢) . وله ترجمة في الشذرات « ٤ : ٧ » وغير أولئك من كتب رجال الحديث .

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم « ٩ : ١٦٤ » .
(٢) لسان الميزان « ١ : ٣١١ » .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢ — ووردت في الصفحة ١٥ ترجمة : أبي القاسم عبد اللطيف بن محمد ابن عبد اللطيف بن ثابت الخجندي الملقب بصدر الدين ، ولم يعرف الشيخ الفاضل لترجمته مصدراً آخر ، مع أن عز الدين ابن الأثير ترجم له في وفيات سنة (٥٨٠) من كامله في التاريخ وذكره فيه غير مرة ، وأن جمال الدين ابن الدبيثي ترجمه في تاريخه (١) ، وله ترجمة في تاريخ الصفدي للأشخاص (٢) وفي طبقات السبكي الكبرى « ٤ : ٢٦١ » من الطبقة الأولى . وهذا مثال لمن يستطيع العثور على مراجع أخرى لتراجمهم ؛ وسكت عن ذلك ولم يصرّح به ، والمثل كثيرة فلن نذكرها إلا إذا صرّح بعدم الاستطاعة ، خشية الإطالة والإملال .

٣ — وجاءت في الصفحة ١٦ ترجمة العلامة موفق الدين عبد اللطيف ابن يوسف البغدادي وجاء فيها « وسمع هو وأبوه من ابن أبي البطي » ، قلت : هو « ابن البَطّي » . قال شمس الدين الذهـــبي في البطي من المشتبه - ص ٤٩ - : « قرية بط على طريق دقوقا فأبو الفتح محمد بن عبد الباقي نسيب إنسان من القرية فعُرف به » أي ابن البطّي ، وقال أبو الفرج ابن الجوزي في وفيات سنة ٥٦٤ : « محمد بن عبد الباقي بن أحمد بن سلمان المعروف بابن البطي . ولد سنـة سبع وسبعين [وأربعمائة] وسمع مالك بن علي البانياسي ، وحمد بن أحمد الحداد وابن البطر (٣) والتميمي وغيرهم وكان سماعه صحيحاً . سمعنا منه الكثير . كان يحب أهل الخير ويشتهي أن يُقرأ عليه

(١) ذيل تاريخ بغداد « نسخة دار الكتب الوطنية باريس ٥٩٢٢ الورقة ١٦٠ » .
(٢) الوافي بالوفيات « نسخة دار الكتب المذكورة ٢٠٦٦ الورقة ٢٥٣ » .
(٣) في المنتظم الذي هو مرجع هذ النقل ١٠ : ٢٢٩ « وابن النظر » وهو تصحيف ابن البطر المحدث المشهور عند العارفين .

الحديث . وتوفي يوم الخميس سابع عشري (١) جمادى الأولى من هذه السنة ودفن بمقبرة باب أبرز » (٢) . وله ترجمة في كتاب الشذرات « ٤ : ٢١٣ » وغيره . والمراد إثبات أنه ابن البطيّ لاغير .

٤ — وجاء في ترجمة أبي الفضل عبد المنعم بن عبد العزيز القرشي العبدري المعروف بابن النطروني الاسكندري الأديب الشاعر الصوفي المشهور عند المختصين بالتاريخ والأدب : « ثم أنفذ رسولاً من الديوان إلى يحيى بن عافية الميورقي » . قلت : « ابن غانية » بالغين المعجمة ، قال عبد الواحد بن علي المراكشي : « وفي هذه السنة — أعني سنة ٥٨٠ خرج الميرقيون بنو ابن غانية من جزيرة ميرقة قاصدين مدينة بجاية فملكوها وأخرجوا من بها من الموحدين وذلك لست خلون من شعبان من السنة المذكورة ... وتلخيص خبر هؤلاء القوم — أعني بني ابن غانية — أن أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين وجّه إلى الأندلس برجلين أحدهما يحيى والآخر محمد ابنا علي من قبيلة مسوفة يعرفان بابني غانية وهي أمهما (٣) ... » .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وذكر ابن الأثير في الكامل « بني غانية » مرّات فذكر في حوادث سنة ٥٥٣ انقراض دولة الملثمين وقال : « ولم يبق لهم إلا جزيرة ميورقة مع حمو بن غانية » ثم قال في حوادث سنة ٥٩١ : « في هذه في شعبان خرج علي بن إسحاق المعروف بابن غانية وهو من أعيان الملثّمين الذين كانوا ملوك المغرب وهو حينئذ صاحب جزيرة ميورقة إلى بجاية فملكها ... » . ثم قال في حوادث سنة ٥٨١ : « قد ذكرنا سنة ثمانين ملك علي بن اسحاق

(١) السابع والعشرين من جمادى الأولى وهو من اصطلاح المؤرخين العراقيين المتأخرين ولكن ناشر المنتظم أبقى على النون .

(٢) المنتظم « ١٠ : ٢٢٩ » .

(٣) المعجب في تلخيص أخبار المغرب « ص ١٧٦ » طبعة مطبعة السعادة .

اللثم بجانة » . ثم ترجم في وفيات سنة ٦٠٣ للشيخ عبد المنعم النطروني هذا وقال فيما قال : « وكان قد مضى إلى المايورقي في رسالة إلى إفريقية » .

وقال تاج الدين ابن الساعي المؤرخ البغدادي في ترجمة عبد المنعم هذا : « وفي سنة ست وتسعين ورد إلى الديوان العزيز رسول من يحيى ابن غانية المايرقي الداعي إلى الدولة القاهرة العباسية ـ أدامها الله تعالى ـ ببلاد المغرب[1]... » وقال ابن الدبيثي قبله في ترجمـــة عبد المنعم المقدم ذكره : « وفي سنة ست وتسعين وخمسمائة ورد إلى الديوان العزيز ـ أجلته الله ـ رسول من يحيى بن غانية المايرقي الداعي إلى الدولة القاهرة العباسية ـ ثبتها الله ـ بالمغرب[2]... ». وقال الذهبي في ترجمة أبي يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الوحدي ملك المغرب والأندلس : « وفي أول ملكه ودلك في سنة ثمانين (وخمسمائة) خرج عليه صاحب ميورقة الملك المعروف بابن غانية وهو علي بن إسحاق ابن محمد بن علي ابن غانية[3]... » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فالمؤرخون المشهورون مجمعون متفقون على أنه « ابن غانية » ، وآخر من أذكر منهم محب الدين محمد بن النجار مؤرخ بغداد ، قال في ترجمة الشيخ النطروني المذكور آنفاً : « ثم نفذ رسولاً من الديوان إلى يحيى ابن غانية الميورقي المقيم ببلاد المغرب الداعي إلى الدولة العباسية ...[4] » . فهذا واضح .

٥ ـ وجاء في الصفحة ٣٨ في ترجمة شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الدمياطي المحدث الكبير والمؤلف الشهير « وطال عمره وتفرد بأشياء وحمل

---

(١) الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير « ٩ : ٢١١ » .

(٢) ذيل تاريخ بغداد « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٥٩٢٢ و ١٨٦ » .

(٣) تاريخ الاسلام « نسخة دار الكتب المذكورة ١٥٨٢ و ٨٤ » .

(٤) التاريخ المجدد لمدينة السلام « نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق ، و ٢٦ من النسخة المصورة منها ببغداد » .

على الظامائن عشرين مجلداً من تصانيفه في الحديث واللغة » . ولم يسائل الشيخ الفاضل محقق الكتاب وضابطه ومعلق حواشية نفسَه ما معنى (حمل على الظامائن عشرين مجلداً من تصانيفه) ؟ وهل كانت لشرف الدين هذه الكتب المشرون ؟ والصحيح في هذا التصحيف هو : « وحمل عن الصغاني ... » وهو الحسن الصغاني اللغوي المحدث الشهير وكان من أكابر شيوخ الشرف الدمياطي المذكور ، وقال الشيخ الفقيه الأديب المؤرخ عز الدين عبدالعزيز بن جماعة الكناني في ترجمته : « وقال الحافظ الدمياطيّ إنه أجاز له وإنه كان صالحاً صدوقاً صموناً عن فضول الكلام إماماً في اللغة والفقه والحديث .. (١) » فالتصحيف غريب جداً .

٦ — وجاء في الصفحة ٤٧ قول شهاب الدين محمود الحلبي المنشي الشاعر المشهور :

لتبك المعالي والنُّهى الشرف الأعلى ونبكي الورى الإحسان والحلم والفضلا

هكذا ورد الفعل الثاني مع أنه معطوف على الفعل الأول المجـــزوم فالصواب « وتبكِ الورى ... » أو « ويبكِ » .

٧ — وورد في الصفحة ٥٤ قول أبي الفضل عبيد الله الميكالي :

شفاء نفسي منك تخميشة (٢) تغرس في خدّيك نيلوفرا

ولم نسمع أن المغرم يُخمِّش خدي حبيبته على المبالغة ليكثر فيها الخموش والخدوش ، والصواب « تجميشة » بالجيم قال الزمخشري في أساس البلاغة : « ظلّ يجمشها جمشاً ويجمّشها تجميشاً وهو أن يقرصها ويغازلها من الجمش وهو الحلب بأطراف الأصابع ورجل جمّاش : غزّيل وامرأة جمّاشة » .

---

(١) تذكرة الأدباء والشعراء « نسخة دار الكتب الوطنية باريس ٦٢٤٦ و ٥٦ » .
(٢) ليست التخميشة من غلط الطبع الآلي بل هي من غلط الطبع اللغوي فقد وردت في بيت آخر في الصفحة ٣٦١ وهو :
وإن حثت أنهارها نسمة الصّبا تدلّل فيها ماؤها وهو مطلق

٨ — وورد في الصفحة ٧٥ في ترجمة «علاء الدين عطا ملك بن محمد الجويني الخراساني ، صاحب الديوان » ثم فوض أمر العراق إلى سعد الملك العجمي (؟) ومجد الدين بن الأثير » . واكتفى الشيخ الفاضل بوضع علامة الاستفهام بعد سعد الملك العجمي ، مع أنه « مجد الملك » وقد ورد في الصفحة نفسها قبل أسطر ، ولكن محقق الكتاب وقف عند الشك مع أن الرجل كان من المشهورين المترجم لهم في عدة تواريخ ، قال كمال الدين ابن الفوطي الحنبلي المؤرخ : « مجد الملك أبو المكارم هبة الله ابن صفي الملك محمد بن هبة الله اليزدي مشرف الممالك ، كان قد قدم بغداد في أيام صدر الدين(١) القضوي القزويني ، فلما قتل صدر الدين أقام ببلاد العجم ، وفي سنة ثمانين وستمائة تكلم في الصاحب علاء الدين ورفع عليه أموالاً كثيرة قد احتجنها من العراق وساعده على ذلك جماعة وفوّض إليه السلطان أباقا بن هولاكو إشراف الممالك بأسرها وناقش الصاحب في الحساب واستولى على خزانته وجرت له أقاصيص ذكرتها في التاريخ ، وخرج أباقا من بغداد إلى همذان وتوجه [مجد الملك] في خدمته فمات السلطان بهمذان في العشرين من ذي الحجة سنة ثمانين وستمائة وولي السلطان تكوتار المعروف بالسلطان محمد سنة إحدى وثمانين [وستمائة] وانعكس حال مجد الملك وظفر به الصاحب علاء الدين وأخوه الصاحب شمس الدين وحوسب وقتله شرف الدين هارون يوم الأحد سابع عشر جمادى الأولى سنة إحدى وثمانين [وستمائة] بيو شهر وأنفذ رأسه إلى بغداد فمُثّل على باب النُّوبيّ بعد أن طافوا به وأخذوا بسببه الدراهم والثياب من الهال والنواب (٢) » .

وقال مؤلف كتاب الحوادث في حوادث سنة ٦٧٩ : « وفيها اتصل مجد الملك اليزدي الذي كان ينوب عن عماد الدين القزويني ببغداد بســـد

(١) قلت : الذي هو نفسه في كتابه المذكور « عماد الدين » يراجع الجزء الرابع « القسم الأول ص ٨٠١ » .

(٢) تلخيص مجمع الآداب « ج » الترجمة ٥٦٤ من باب الميم ، طبعة الهند » .

فتحا بعبودية السلطان أباقا وتحدث في الصاحبين شمس الدين وعلاء الدين فرتّبه مشرفاً في جميع الممالك ، فعيَّن بها نواباً وكانت علامته مشرف الممالك ، وكان ما نذكره [1] » . ثم قال في حوادث سنة (٦٨٠) ما هذا نصه : « وقبض السلطان [أباقا بن هولاكو] على علاء الدين صاحب الديوان وأصحابه ونوابه وأتباعه ، وسلّم إلى الصاحب مجد الملك فاستوفى منه أموالاً كثيرة وبيع من أملاكه وأسبابه جملة طائلة ودُوشخ [2] وألقي تحت دار المسناة [3] التي بأعلى بغداد على شاطىء دجلة مكتوفاً عليه قميص واحد وكان البرد شديداً جداً وضُرب خواصه وخدمه وأتباعه واستوفيت الأموال منهم » . ثم نقل تغير الأحوال وقتل مجد الملك وقال : « وسلم مجد الملك إلى الصاحب علاء الدين فقتل قتلة شنيعة ، تولى ذلك شرف الدين هارون ابن أخيه ، وحملت أطرافه إلى البلاد وسُلخ رأسه وحُمل إلى بغداد وشوى الحربندية لحمه وأكلوا منه وشربوا الخمر في قطعة من رأسه » . إلى أن قال : « وطيف برأس مجد الملك في بغداد وشوارعها ثم دخلوا دار مجد الملك ونهبوا ما كان بها » [4] . فهذا موجز سيرة مجد الملك العجمي اليزدي وهذه صورة مصغرة من وحشية حكام عصره .

٩ - ووردت في الصفحة ٧٦ ترجمة « عطاف بن محمد بن علي أبي سعيد البالسي (كذا) المعروف بالمؤيد الشاعر » وجاء فيها « ولد ببالس قرية قرب الحديثة . . . » . فعلّق محقق الكتاب على اسمه وعلى بالس ما هذه صورته :

(١) الكتاب المسمى الحوادث الجامعة وهماً « ص ٤١٢ » .

(٢) اي عذب بآلة تعرف بالفارسية بالدوشاخة أي ذات الشعبتين وهي من الآلات الحاصرة العاصرة حتى الموت .

(٣) سمتها مديرية الآثار القديمة العامة ببغداد « القصر العباسي » وهي من أبنية الناصر لدين الله العباسي .

(٤) كتاب الحوادث « ص ٤١٦ ، ٤١٩ ، ٤٢١ » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

« لم أعثر له على ترجمة فيما بين يدي من كتب الرجال » . « بالس بلدة بالشام بين حلب والرقة » . قلت : إن الحديثة ليست من مدن الشام حتى تكون بلدته أو قريته قريبة منها ، والصحيح أن الاسم تصحف على الشيخ وأنه « آلس » أو آلوسة أو ألوس قال ياقوت في معجم البلدان : « آلوسة بضم اللام وسكون الواو والسين المهملة : بلد على الفرات قرب عانة وقيل فيه ألوس إلا أن أبا علي حكم بتعريبه وجاء به بالهمزة بعدها ألف وقال : هي فاعولة ... وقد ذكرناه في ألوس غير ممدود » . ثم قال في ألوس من المعجم المذكور : « اسم رجل سميت به بلدة على الفرات . قال أبو سعد : ألوس بلدة بساحل بحر الشام قرب طرسوس وهو سهو منه والصحيح أنها على الفرات قرب عانات والحديثة وقد ذكرت قصتها في عانات ، وإليها ينسب المؤيد الألوسي الشاعر القائل ... » . وذكر له شعراً وترجمة وهو الذي قال فيه محقق الكتاب : « لم أعثر له على ترجمة فيما بين يدي من كتب التاريخ » .

وقال ابن الأثير في اللباب مختصر الأنساب بعد إيراده قول السمعاني : « قلت : هكذا ذكر السمعاني أن ألوس عند طرسوس وظن أن ألوس من نواحي طرسوس وإنما اشتبه عليه حيث رأى محمد بن حصن ألوسي طرسوسي (كذا) فظن أن ألوس من نواحي طرسوس (١) ، والذي أعرفه أن ألوس ناحية عند حديثة الفرات ، مشهورة منها المؤيد الألوسي الشاعر المشهور ... » . قال مصطفى جواد : وما تزال آلوس بلدة عامرة ومنها العلامة أبو الثناء محمود الآلوسي الفقيه اللغوي القاضي المفسّر المشهور وجميع الألوسيين المعروفين اليوم بهذه النسبة .

(١) قلت : لا بل الصحيح في سبب وهمه أنها التبست عليه بآليس بكسر اللام كما في معجم البلدان وهو اسم نهر بين البحر وبين طرسوس فظنه مدينة منسوباً إليها .

وترجم للمؤيد الآلوسي ياقوت الحموي قال : « المؤيد بن عطاف بن محمد ابن علي بن محمد أبو سعيد الآلوسي الشاعر الأديب . ولد بآلوس سنة ٤٩٤ ونشأ بدجيل واتصل بخدمة ملكشاه مسعود بن محمد السلجوقي (١) ، فملأ ذكره وتقدم وأثرى ودخل بغداد في أيام المسترشد فصار جاويشاً ولما صارت الخلافة إلى المقتفي تكلم فيه وفي أصحابه بما لا يليق فقبض عليه وسجن ولبث في السجن عشر سنين وأخرج منه في خلافة المستنجد ومن شعره » وذكر له شعراً ثم قال : « توفي أبو سعيد بالموصل يوم الخميس الرابع والعشرين من رمضان سنة ٥٥٧ عن ثلاث وستين سنة (٢) » .

وترجم له ابن خلكان في الوفيات نقلاً عن تاريخ بغداد لابن النجار والخريدة لعماد الدين الكاتب الأصفهاني ، قال ابن خلكان : « أبو سعيد المؤيد ابن محمد بن علي بن محمد الآلوسي الشاعر المشهور ، كان من أعيان شعراء عصره ، كثير الغزل والهجاء ومدح جماعة من رؤساء العراق ، وله ديوان شعر ، وكان منقطعاً إلى الوزير عون الدين يحيى بن هبيرة وله فيه مدائح جيدة . وذكره محب الدين ابن النجار في تاريخ بغداد فقال : هو عطاف ابن محمد بن علي بن أبي سعيد الشاعر المعروف بالمؤيد ... وذكره العماد الكاتب في الخريدة (٣) ... » وفصل ترجمته وذكر من شعره .

قلت : قال ابن النجار : « عطاف بن محمد بن علي بن أحمد الآلسي أبو سعيد الشاعر المعروف بالمؤيد . ولد بآلس : قرية بقرب الحديثة ونشأ

(١) هكذا ورد في مختصر الجزء السابع من معجم الأدباء المطبوع باسم الجزء السابع « ص ١٩٩ » والصواب « بخدمة الملك مسعود بن محمد بن ملكشاه » .

(٢) مختصر الجزء السابع من معجم الأدباء « ص ١٩٩ – ٢٠٠ طبعة مرغوليوث » .

(٣) وفيات الأعيان « ج ٢ ص ٢٧١ ، ٢٧٢ طبعة إيران وهي أصح الطبعات إلى الآن » .

بدجيل ورحل ودخل بغداد وصار بها جاووشاً في أيام الإمام المسترشد بالله وقد هجاه ابن الفضل الشاعر [٣] ... » . وذكر باقي سيرته وشعراً من أشعاره .

وترجم جمال الدين ابن الدبيثي لابنه « محمد بن المؤيد الألوسي » وقال : « كان والده المؤيد شاعراً مذكوراً يأتي ذكره في حرف الميم إن شاء الله [٤] ... » يعني أنه ترجمه باسم المؤيد ، ولمّا نعثر على الجزء الذي فيه ترجمته من تاريخ ابن الدبيثي ، وقد حذف الذهبي ترجمته في اختصاره لهذا التاريخ الذي سماه « المختصر المحتاج إليه من تاريخ ابن الدبيثي » . وذكره الدميري في حياة الحيوان في كلامه على « العندليب » وقال : « وكانت وفاته سنة سبع وخمسين وخمسمائة [٥] » . وترجم له ابن العماد في وفيات سنة ٥٥٨ قال : « وفيها المؤيد [بن] محمد الألوسي (بفتح الهمزة وضم اللام ومهملة) نسبة إلى ألوس ناحية عند حديثة الفرات [٦] ... » .

فهذه ستة مراجع تاريخية لترجمة المؤيد الألوسي الشاعر .

١٠ — وورد في الصفحة ٨٠ « علوي بن عبد الله بن عبيد الشاعر الحلبي المعروف بالباز الأشهب ، كان أديباً متفنناً مليح الإيراد في الشعر ... » . ولم يكن علوي هذا حلبياً بل كان حِليّاً ولو كان حلبياً لتوفرت مراجع ترجمته على الباحث ، قال محب الدين محمد ابن النجار : « علوي بن عبد الله ابن عبيد الشاعر المعروف بالباز الأشهب ، من أهل الحلة السيفيّة ، كان شاعراً محسناً من أرباب المعاني ، متفنناً في علم الأدب ، مليح الإيراد للشعر [١]

---

(١) التاريخ المجدد لمدينة السلام « نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق ، ١٣٨ ، ١٣٩ » .

(٢) ذيل تاريخ بغداد « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٥٩٢١ الورقة ١٤٦ » .

(٣) حياة الحيوان « ص ٣٧٧ » طبعة إيران .

(٤) شذرات الذهب ٤ : ١٨٥ » .

(٥) التاريخ المجدد لمدينة السلام « نسخة المكتبة الظاهرية ، الورقة ١٤٤ » .

وذكر وفاته وقصيدة من شعره . فهو إذن حلّيّ لا حلبي لأنه منسوب إلى حلّة سيف الدولة صدقة بن منصور الزيدي الأسدي التي أنشأها في أواخر القرن الخامس للهجرة على الفرات قرب بابل ، ولا تزال عامرة واسعة الأرجاء من كبريات مدن العراق ومركز لواء في نظام الادارة العراقية .

١١ — وجاء من شعره أي شعر الباز الأشهب في الصفحة نفسها :

وهل عذبات الرّند نبّهها الصّبا لذكر الصّبا قدماً فتذكر نُوّما

فـــما معنى « فتذكر نُوّماً » ، وكيف تذكر النُوّم هـذه العذبات ؟ هذا تصحيف والصواب « فقد كُنّ نُوّما » ففيه تعليل للاستفهام ، أخذه من قول ابن المعلم الشاعر الواسطي الرقيق :

تنبهي يا عـــذبات الرّند كم ذا الكرى هبّ نسيمُ نجدِ ؟!

١٢ — وجاءت في الصفحة ٨٣ ترجمة « علي بن إبراهيم بن علي بن معتوق ابن عبد المجيد بن وفاء المعروف بابن الثردة الواسطي البغدادي المنشأ الواعظ » فقال الشيخ محقق الكتاب : « لم أعثر له فيما بين يدي من كتب الرجال على ترجمة » . قلت : إن الرجل المترجم له كان من أعيان المائة الثامنة للهجرة ، فقد ترجم له ابن حجر في الدرر قال : « علي بن إبراهيم بن علي بن يعقوب بن عبد المجيد بن وفاء علاء الدين الواسطي البغدادي ثم الدمشقي المعروف بابن الفردة (١) . . . » وذكر ترجمته نقلاً من تاريخ الصلاح الصفدي ، وقال الأستاذ فريتس كرنكو المستشرق الألماني أحد المشرفين على تصحيح الكتاب وضبطه والتعليق عليه : « سماه ابن شاكر الكتبي علي بن إبراهيم ابن علي بن معتوق المعروف بابن الثردة بالثاء المثلثة وكان يعرفه وسأله عن مولده ولعل هذا أصح مما نقل ابن حجر » . قلت : ومن الظلم الأدبي نسبة الوارد في الدرر إلى المؤلف ابن حجر وقد قال بعض القدماء : إذا نسخ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) الدرر الكامنة « ٣ : ٨ » .

الكتاب مرتين ولم يقابل بين النسختين فقد تحول إلى الفارسية » . أو ما في معناه ، فإن حجر قد صرّح بالنقل من كتاب الصفدي والصفدي قد صرّح بأنه بالثاء المثلثة ، قال : « علي بن إبراهيم بن علي بن معتوق بن عبد المجيد ابن وفاء علاء الدين أبو الحسن الواسطي الأصل البغـــدادي المنشأ الواعظ المعروف بابن الثردة (بالثاء المثلثة والراء والدال المهملة) قدم دمشق مرات[1] . . » وبسط ترجمته وذكر تغير عقله .

وقال ابن قاضي شهبة في وفيات سنة (٧٥٠) مترجماً له : « علي بن إبراهيم بن علي بن معتوق بن عبد المجيد بن وفاء الواعظ علاء الدين أبو الحسن الواسطي البغدادي ابن الثردة . ولد في شعبان سنة سبع وتسعين [وستمائة] . سمع ببغداد من ابن الدواليبي والتقي الواسطي وبدمشق من جماعة وتعانى الوعظ والأدب . ذكره الذهبي في معجمه وقال ابن رافع : وكتب الطباق ونظم الشعر الجيد ووعظه بجامع دمشق ، كتبت عنه توفي في ربيع الآخر في المارستان الصغير وقال غيره[2] ... » .

وقال علي بن محمد الحلبي المعروف بابن خطيب الناصرية : « علي بن إبراهيم ابن علي بن معتوق بن عبد المجيد بن وفاء البجلي أبو الحسن البغدادي الواعظ اللقب زين الدين[3] المعروف بابن الثردة ، قدم دمشق ولعله اجتاز بحلب أو عملها[4] ... » . وجاء في المشتبه للذهبي – ص ٣٢ – « وبمثلثة الواعظ علي بن ثردة الواسطي سمع مني ووعظ بدمشق » . فهذه خمسة مراجع تاريخية للرجل الذي لم يعثر له الشيخ على ترجمة .

(١) أعيان العصر وأعوان النصر « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٥٨٥٦ الورقة ١١ » .
(٢) ذيل تاريخ الإسلام « نسخة الدار المذكورة ١٥٩٨ الورقة ١١٥ » .
(٣) تقدم أن لقبه علاء الدين .
(٤) الدر المنتخب في تكملة تاريخ حلب « نسخة الدار المذكورة ٢١٣٩ الورقة ١٩ » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١٣ — وورد في ترجمة الشيخ أبي الحسن علي بن الحسين الحريري الفقير «ص ٨٨» ذكرُ الأمير قرواش بن المقلّد بن المسيب العقيلي». وله في هذا الجزء ترجمة «ص ٢٦٤» إلا أن الشيخ محقق الكتاب علّق على اسمه حاشية هذا نصّها: توفي قرواش هذا سنة ٣٩١ وكان صاحب الموصل». وهذا خطأ مبين ارتكبه الشيخ من غير باعث بعثه عليه، فقد جاء في ترجمته في الصفحة «٢٦٥» من هذا الجزء: «وقبض عليه بركة ابن أخيه وحبسه وتلقب زعيم الدولة فلم تطل دولته، فقام بعده أبو المعالي قريش بن بدر (كذا) ابن مقلّد ابن أخيه. فأول ما ملك أخرج عمّه قرواشاً وذبحه صبراً وقيل بل مات في سجنه سنة أربع وأربعين وأربعمائة».

١٤ — وجاء في ترجمة عفيف الدين علي بن عدلان الموصلي قول الشاعر «ص ١٣٢»:

وما بيت له في كل عضو عيون ليس تنكرها العقول
إذا بسطوه تلقاه قصيراً وإن قبضوه تبصره طويل»

قال عفيف الدين: «فقلت: هذه شبكة صياد طيور. فأخذ يُباحث. فقلت: قد تركت ولا يلزمني أكثر من هذا، فأخذ في الباحثة. فقلت: هذا في جركاه. فاعترف أنه هو». ولم يكلف الشيخ نفسه السؤال عن معنى الجركاه، ما هو؟ فلو كان «چار طاق» لكان في الفارسية قريباً من الشيء الملغز به، ولكنه تصحيف «خركاه» بالخاء المعجمة وهو نوع من القباب السيّارة المصنوعة من الخشب المبطن باللبد عند الفرس والترك والتركمان، قال ابن الجوزي في حوادث سنة ٥٦٩ «وتوفي في هذه السنة محمود بن زنكي فتجدّد بعد موته اختلاف بحلب بين السنة والشيعة فقتل من الطائفتين خلق ونُهب ظاهر البلد، فذهب خمسة آلاف خركاه وبيت من التركمان(١)».

(١) المنتظم «١٠: ٢٤٧».

وأحسب الكلمة فارسية مركبة من كلمتين «خر» وهو الحمار، و«كاه» وهو المقام. وقد ذكرها دوزي في مستدرك المعجمات العربية إلا أنه لم يذكر معناها اللغوي. وفي كتب التاريخ والأدب مئات شواهد عليها.

١٥ — وجاء في الصفحة ١٣٤ في ترجمة بهاء الدين علي بن عيسى الاربلي المنشيء المؤلف المشهور «له شعر وترسل وكان رئيساً. كتب لمتولي إربل من صلايا ثم خدم ببغداد في ديوان الانشاء». فعلق الشيخ على «صلايا» ما هذا نصه «كذا في ب ث ولعله موصلايا». ولم أدر سبب هذا الترجي في التعليق غير الموفق؟ وإلى أي شيء استند وعلى أيّ اعتمد؟ فإن شاكر الكتبي يترسم خطى صلاح الدين الصفدي، وفي الوافي بالوفيات «كان رئيساً، كتب لمتولي إربل ابن صلايا ثم خدم ببغداد في ديوان الانشاء[1]». فهو إذن «ابن صلايا» لا «موصلايا»، فذاك رجل آخر، وليس عصر البهاء الاربلي عصر ابن موصلايا، ولا كان ابن موصلايا متولياً لاربل المعروفة اليوم بالعراق بإربيل وهي أقدم مدينة قديمة مسكونة حتى اليوم ومركز لواء من ألوية العراق، وخلاصة القول إن الشيخ محقق الكتاب لم يعرف أن «ابن صلايا» متولي إربل الشهيد من كبار السادة العلويين، قال مؤلف الحوادث في أخبار سنة ٦٣٥ على عهد الخليفة المستنصر بالله العباسي: وتُقدم إلى تاج الدين محمد بن الصلايا العلوي بالتوجه إلى إربل وتجديد سورها وعمارة ما خرب من دورها، ونفذ معه كركر الناصري ليكون مستحفظاً بقلعتها، وعُيِّن على الأمير أيدمر الأشقر الناصري زعيماً بهـا»، وقال في حوادث سنة ٦٣٨ في الصفحتين ١٤١، ١٤٢: «وفيها عزل الأمير مكلبة من إربل عن إمارتها لضعف رأيه وسوء تصرّفاته ورتب عوضه آقسنقر

(١) الوافي بالوفيات «نسخة المجمع العلمي العربي بدمشق أي مجمع اللغة العربية الحالي، النسخة المصورة ج ٢١ و ١٢٣».

الناصري ، وكان الصدر بها تاج الدين محمد بن نصر ابن الصلايا العلوي المدائني » . ثم ذكر في الصفحة ٢٦٠ من حوادث سنة (٦٥٠) غارات المغول على الجزيرة وبلاد الأكراد وقال : « وكتب ابن الصلايا والي إربل إلى بغداد بذلك فخاف أهلها خوفاً شديداً » . ثم قال في حوادث سنة ٦٥٦ : « وتوفي تاج الدين أبو المعالي محمد بن الصلايا العلوي ناظر إربل ، قُتل بجبل سياه كوه ، كان قد قصد حضرة السلطان [هولاكو] بعد وقعة بغداد ليقرّر حاله فأمر بقتله ، وكان كريماً جواداً فاضلاً ، يبالغ في عقوبة من يفسد أو يشرب الخمر (١) » .

وقال ابن واصل الحموي في حوادث سنة ٦٥٦ : « ورحل التتر عن بغداد إلى بلاد أذربيجان ثم رحل إليهم بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل والشريف ابن صلايا وزير صاحب إربل فأكرم بدر الدين ، وردّه إلى ولايته وأما الشريف ابن صلايا فقُتل ، فقد ذُكر — والله أعلم — أن بدر الدين لؤلؤاً هو كان السبب في قتله وأنه قال لهولاكو : هذا شريف علوي وربما تطاول أن يكون خليفة ويتابعه خلق عظيم فتقدم (٢) بقتله (٣) » . وهذا القيل يشبه الأباطيل فان لؤلؤاً كان متشيّعاً يحب علياً وذريته ، وكان تاج الدين من كبار العلويين كما ذكرت آنفاً ، وقال رشيد الدين الهمذاني : « في الوقت الذي عزم هولاكو خان على فتح بغداد عهد إلى أرقيونويان بفتح قلعة إربل وتلك قلعة حصينة شيدت على مرتفع وليس لها نظير في الربع المسكون وعندما شرع في محاصرتها بادر شجعان القلعة بالحرب ، وقد قدم الصاحب

---

(١) الحوادث المسمى غلطاً بالحوادث الجامعة « ص ١١٠ ، ١٤٢ ، ١٦٨ ، ٢٦١ ، ٣٣٧ » .

(٢) أي أمرَ .

(٣) مفرج الكروب في أخبار بني أيوب « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٧٠٢ و٢٣٨٦ » .

تاج الدين ابن صلاية الأربلي (كذا) فروض الطاعة وقام بخدمات جليلة ولكن أرقيونويان قال له : إن الدليل على صحة الطاعة هو تسليم القلعة . فذهب تاج الدين إلى باب القلعة فلم تسمح له حشود الأكراد بالدخول وعاد مضطراً بعد كثير من الضغط والإلحاح ثم قدم إلى أرقيو ، فأرسله بدوره إلى حضرة هولاكو خان وعند محاكمته ثبت جُرْمُه واستُشهِد[1] ... »
يعني أن هولاكو السفّاح أمر بقتله صبراً فمضى وقضى شهيداً حميداً ، والفرق بين الخبرين هو أنها في أحدهما ذهب إلى هولاكو مختاراً وفي الآخر مُجبَراً .

وقال قطب الدين اليونيني في حوادث سنة ٦٥٤ : « استهلت هذه السنة والمستولي على إربل وأعمالها وما أضيف إليها الصاحب تاج الدين محمد بن صلايا العلوي من جهة الخليفة » وقال في حوادث سنة ٦٥٦ وعزم التتر على احتلال العراق : « فكاتب الشريف تاج الدين ابن صلايا نائب الخليفة بإربل فسيّر إلى الخليفة من يحذّره من التتر وهو غافل لا يجدي فيه التحذير[2] » .
ثم قال مثل ما نقلناه من مفرج الكروب من تحريض بدر الدين لؤلؤ على قتله فأمر هولاكو بقتله . ولتاج الدين ابن الصلايا أخبار أخرى تركناها لأننا أطلنا التعقيب لنعلم الشيخ الفاضل أنه لم يكن ابن موصلايا ولكننا لا نغفل أن نشير إلى ترجمة موجزة بارعة له في الشذرات « ٥ : ٢٨٤ »

يتبع : (بغداد) مصطفى جواد

(١) جامع التواريخ « قسم هولاكو ج ٢ ص ٢٩٨ ترجمة مصر إلى العربية » .
(٢) ذيل مرآة الزمان « ج ١ ص ٦ ، ٨٧ ، ٩١ طبعة حيدر آباد » .

اليرموك يوم خالد

في تاريخ العروبة

استقبل أهل الشام وفلسطين طلائع جيوش التحرير العربية أحر استقبال، فهم كانوا ينظرون إلى إخوانهم القادمين إليهم من البادية العربية، كالمنقذ والمخلص الأوحد من ظلم وجور واضطهاد الروم الغرباء عنهم، فلقد كانوا خير من يحس بقوة روابط الدم والنسب والقرابة التي تربطهم باخوانهم القادمين بجيوش التحرير العربية، فمعظم أهل الشام من سلالات وبطون وأفخاذ عربية عريقة في عروبتها، أو من سلالات ترتبط مع العرب بروابط القرابة البعيدة وباللغة والثقافة ... أما الروم، فلا تربطهم بأهل البلاد إلا رابطة دينية واهية، انصبت سيفاً مصلتاً على رقاب أهل البلاد .. لذلك سارعت الطوائف المسيحية المختلفة باتخاذ مواقف التأييد ومناصرة القوات العربية، وعمدوا إلى تسهيل حركة الفتح والتحرير، إلا فئة قليلة ارتبطت مع الروم[1].

وسرعان ما وصلت طلائع الجيوش العربية، عقب يوم اجنادين وفحل، إلى تخوم الدولة الرومية نفسها، بعد أن حررت وهي في طريقها معظم المدن السورية الشمالية، وطهرتها من فلول الجيوش الرومية المنهزمة. وأحست الدولة الرومية بالخطر المحدق بها والذي يهدف إلى إزاحتها من جوهرة مستعمراتهم بالشرق، فأخذوا في تسيير الجيوش للقضاء على السلطة العربية الناهضة، وجيشوا للعرب من الجيوش المرتزقة ما لا طاقة لهم بها ... وذات

(١) مخطوطة كتاب النزوات، لابن حبيش، مكتبة ليدن ـ صفحة ٦٩ .

صباح ترامت الأنباء بأن جحافل الروم في طريقها إلى شمال سورية. ووجدت القيادة العربية نفسها ولا طاقة لها لتواجه الروم لا سيما وأن القوات العربية كانت موزعة في أنحاء البلاد، وناقش أمراء الأجناد الشامية خطة اللقاء مع الروم، وأخيراً استقر الرأي على الانسحاب إلى ضفاف اليرموك وليكيدوا به عدوهم من المشركين، وليخرجوا لهم من مدائنهم وحصونهم وقلاعهم..»(١)

وأكدت مجريات أحداث تلك الفترة بأن خطة الحرب عند العرب قد تطورت تطوراً طبيعياً، بنتيجة الخبرات المكتسبة خلال اللقاءات المتعددة مع الروم، فوضع أمراء الأجناد العربية تلك الخطة السليمة للقتال باليرموك، وكان في محل اهتمامهم عدة اعتبارات، منها ما خبروه عن أحوال البلاد الداخلية، ومدى مراكز قوى الروم وأسلوبهم في الميدان، لذلك كانت الخطة العربية لليرموك متجاوبة مع جميع متطلبات فن التحريك الميداني والتعبئة الحربية.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومما لا شك فيه أن العرب لم ينسحبوا عن جبن منهم أو لخطأ في تقدير قوة الجيش الرومي، بل تم كل ذلك طبقاً لمتطلبات فن التحريك الميداني، فلم يكن العرب مجبرين على التلاحم مع الروم على ضفاف اليرموك، ولا على التخلي عن الأرضين التي حرروها بل هم أنفسهم الذين اختاروا أرض المعركة، وقد دعاهم إلى ذلك تفهمهم لأهمية فتح جبهة للقتال مع العدو وتبعد عن موارد امداداته، هذا إلى استدراجهم إلى مناطق أصبح أهلوها أنصاراً للعرب، وهذا ما سيخلق الاضطراب في خطوطهم الخلفية، وله الأثر النفسي العميق على العدو.

---

(١) ابن حبيش: ص ٦٧.

وعندما استكمل القادة العرب كافة الاستعلامات والاستخبارات عن وضع الجيوش الرومية التي تعسكر متأهبة في الثغور الرومية ، بدأت القيادة العربية في تنفيذ الخطة المتفق عليها ، أي الانسحاب إلى ضفاف اليرموك والتخلي عن المدن الشمالية . ولم يخرج العرب من هذه المناطق خروج الفار المذعر ، بل خرجوا خروج العائد عن قريب ، لذلك أدّوا جميع التزاماتهم تجاه المعاهدين وأهل البلاد ، فردّوا جميع ما تمت جبايته من جزية وخراج ، إذ لم يكن في مقدرة العرب الاستمرار في بسط حمايتهم على أهل البلاد(١).

وتقدّم المصادر العربية التي كشف عنها أخيراً ـ مخطوطة " كتاب الغزوات لابن حبيش ـ صورةً واضحة للتطورات التي طرأت على الخطة الحربيـــة باليرموك ... فلقد ناقش أمراء الأجناد جميع الاحتمالات المتعلقة باللقاء مع الروم ، ومنها الاعتصام بالمدن الشمالية المحصنة مثل حمص ودمشق في انتظار وصول المدد وبقية الأجناد .. غير أن الرأي استقر على اختيار منطقة اليرموك لأنها أنسب موقع استراتيجي للمعركة المنتظرة ، فهي مركز هام للمواصلات وملتقى معظم الطرق الرومانية بالشام ، ومنها يمكن وصول مدد أمير المؤمنين بسلامة ، هذا إلى ضمان وصول جيوش بقية الأجناد العربية من أنحاء البلاد .

وتبرز الخطة العربية مدى ما بلغته عبقرية القائد العربي في اختيار اليوم المناسب للقاء الجدّي الفعال مع العدو ، فبعد أن هدأت ضجة القتال لمدة تقارب الشهر ، كانت تتخللها بعض المناوشات التي تهدف إلى ربط الروم بأرض المعركة ، وحتى تصل كذلك الخلافات بين قواد الجيوش الرومية

---

(١) البلاذري : فتوح البلدان ، صفحة ١٤٣ ـ وأبو يوسف : كتاب الخراج . وبقية كتب التاريخ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

إلى الحد الذي يهدد وحدة صفوف العدو ، أثار العرب القتال في يوم الضباب وكان أنسب الأيام التي شنوا خلالها القتال ، إذ هبت الرياح الجنوبية الحارة المحملة بالرمال والأتربة ، وخلقت بذلك ظروفاً ميدانية وجمانية لا تتناسب واستعداد جند الروم .

ما قبل اليرموك

بلغ العرب عقب هزيمتهم للروم في أجنادين وفحل ، أقصى سورية الشمالية ، فبدأت الدولة الرومية تحس بأن حركة الفتح العربية لم يكن هدفها هو السلب والإغارة ، بل تهدف إلى حركة تحرير وفتح واستقرار ، لذا سرعان ما أحست بالخطر المحدق بها ، وبخطر سقوط سورية إلى الأبد . فانتهزت الامبراطورية الرومية فرصة انشغال العرب بالتوغل في الأقاليم السورية والفلسطينية وتوزع قواتهم في أنحاء البلاد ، فأخذت تحيش وتعبىء قواتها ضد العرب لازاحتهم من سورية وحتى تتخلص من خطر توغلهم في أرض الروم نفسها ، فحث هرقل الروم على القتال وقال : « يا معشر الروم ان العرب قد ظهروا على سورية ثم لم يرضوا بها حتى تعاطوا أقصى بلادكم ، وهم لا يرضون بالبلاد والمدائن .. حتى يتخذوا الأمراء وأبناء الملوك عبيداً[1] » .

وواضح من المصادر الرومية بأن الروم كانوا يرمون بانسحابهم من سورية عقب المعارك التي تلت أجنادين ، إلى التأكد من جدّية الغزو العربي ، وفي نفس الوقت يهتبلون الفرصة لاستنزاف القوى العربية وذلك بدفعها إلى مسيرة طويلة تتشتت فيها قواتهم في أنحاء البلاد ، وخلال تلك الفترة يتمكن الروم من إعادة تجديد جيوشهم وبدء الحملة على العرب لدفعهم إلى خارج سورية ،

(١) ابن حبيش : ص ٦٥ ، الواقدي : فتوح الشام ص ٦٨ .

واقتناص الأجناد العربية ، الواحد بعد الآخر والقضاء عليهم جميعهم .. غير أنه لم يكن في حسبانهم موقف أهل البلاد من تلك الأحداث الجارية . فلقد وجد أهل الشام أن مصالحهم ومصيرهم يرتبط مع اخوانهم الذين خرجوا من الجزيرة لتحريرهم من ظلم الاستعمار الأجنبي .

وتبين المصادر العربية والسريانية والرومية مدى حب أهل البلاد للعرب ، إلى حد أن تعهد أهل حمص للوقوف مع العرب ضد الروم ، كما حثوا العرب على البقاء لمناهضة جيوش الروم : « فقال أهل حمص : لولايتكم وعدلكم أحب إلينا مما كنا فيه من الظلم ... ولندفعن جنود هرقل عن المدينة مع عاملكم ، ونهض اليهود فقالوا : والتوراة لا يدخل عامل هرقل مدينة حمص إلا أن نغلب ونجهد »[١] وقد شعر أهل البلاد بالحسرة والألم لانسحاب العرب ، وانتظروا عودتهم منصورين لكي يتمتعوا بالحريات التي لم يحصلوا عليها من قبل . وهنالك كثير من المصادر النصرانية تؤيد العرب وشعور أهل البلاد نحوهم – فلقد ذكر أحد الأساقفة النسطوريين عن أحداث سنة ٦٤٥ م : بأن العرب (الطائيين) أصبحوا سادتنا ، وهم لم يكبتوا حرياتنا الدينية ، بل على العكس من ذلك ، عملوا على حماية معتقداتنا ، واحترام رجال ديننا وقديسينا ، كما وأنهم كانوا يقدمون الهدايا والمنح لأديارنا وكنائسنا »[٢] بينما يصور لنا البطريق السرياني اوتيخوس موقف أهل حمص من الروم ، عندما عاتبهم على وقوفهم مع العرب فقال أهل حمص لهرقل : أنت ماروني (ملكاني) وعدو لمعتقداتنا ...[٣] .

(١) البلاذري : ص ١٤٣ .
(٢) السمعاني : المكتبة الشرقية ، جزء ٣ ص ٢١٠ .
(٣) أوتيخوس سعيد بن البطريق : التاريخ المجموع . بيروت ١٩٠٥ ، ج ٢ ص ٥ .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولقد لعب جهاز الاستخبارات الحربية والأرصاد دوراً هاماً في نجاح الخطة العربية وجميع التحركات الميدانية بالشام. فأولته القيادة العربية عنايتها واهتمامها (١) فلقد أوضحت نتائج الاستخبارات بأن الجيوش العربية لن تستطيع الوقوف ضد الزحف الرومي لأنها مشتتة في أنحاء البلاد - لذلك سارع أبو عبيدة بطلب الإمدادات من أمير المؤمنين ، وأنفذ الرسل إلى بقية الأجناد مفضياً إليهم بنتائج التحريات ، طالباً إليهم موافاته بما توصل إليهم من أنباء عن تحركات الجيوش الرومية في مناطقهم ، وأخيراً طلب منهم التوجه اليه للاستعداد لمواجهة العدو . ولم ينس أبو عبيدة النصيحة الغالية التي زودها به الصديق أبو بكر ، وهي أن لايترك ظهره مكشوفاً للعدو ، وبأن يجتمع العرب عند الإحساس بالخطر في مكان واحد لمواجهة العدو ، ويكون قائد العمليات الحربية هو الأمير الذي تقع أرض المعركة في منطقة نفوذه .

وسرعان ما تواترت الرسل عائدة إلى أبي عبيدة ومعها بشائر المدد ، فتحركت الجيوش العربية نحو ضفاف اليرموك طبقاً للخطة التي اجتمع عليها رأي أمراء الأجناد .

تضارب آراء المؤرخين في أحداث اليرموك

إلى يومنا هذا لم يستقر الرأي حول موضوعين هامين في موضوع يوم اليرموك ، أي متى وأين وقعت المعركة بين العرب والروم ؟

ومن المفروغ منه بعد أن أكدت المصادر التي كشف عنها حديثاً ، وهي مراجع عربية ورومية وأرمنية ، حقيقة أن اجنادين كانت أول معركة كبرى بالشام وانها تسبق اليرموك ، أن نحاول التدليل على ذلك الآن ، فهناك من

(١) ابن حبيش : صفحات ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٩ - واقدي : ص ٩٨ .

الروايات لشهود عيان مثل شهادة أبي أمامة الباهلي ، ما تعزز صحة رأي المغفور له العلامة العراقي طه الهاشمي بأسبقية أجنادين (١) . وهذه الروايات تؤكد صحة ما ذهب اليه كل من دي غويه وموللر ونولدكه في أن اليرموك تلت موقعة اجنادين . وهذه الروايات قدمها ابن عساكر وابن حبيش .

والواقع هو أن المصادر العربية والروايات المعاصرة للأحداث لم تقدم نصوصاً صريحة واضحة يمكن استخلاص النتائج منها بسهولة . وقد حاول كل من دي غويه وموللر إزالة هذا اللبس والغموض وكان دي غويه هو المؤرخ المنطقي الوحيد الذي توصل إلى نتائج مرضية مستعيناً بنتائج ما سبقه من مؤرخين ومما يؤسف له أنه بالرغم من صواب منهج بحثه ، قد شكك في أهمية كتاب فتوح الشام للواقدي وجارى غيره من المؤرخين ، ولم يكتف بذلك بل انه هاجم هانبرج على ثقته بالواقدي ، ويتجاهل دي غويه كتاب فتوح الشام ، رغم غناه بالروايات الأصيلة ، وقد أثبتت التجربة بأن كتاب فتوح الشام يمكن الاعتماد عليه كمصدر للروايات الدقيقة ، هذا إذا قمنا بعملية استئصال وبتر الاضافات القصصية التي أضيفت إلى الروايات في عصور متأخرة . وقد أوضحت روايات ابن حبيش نقلاً عن الواقدي ، بأن كتاب فتوح الشام ليس منسوباً إلى الواقدي ، وبأنها روايات أصيلة وبقلم الواقدي نفسه . وسوف توضح مخطوطة كتاب الغزوات لابن حبيش — عندما ترى النور منشورة — الكثير مما غمض على المؤرخين ، وسوف تعيد في نفس الوقت الثقة بكتاب فتوح الشام .

متى وقعت المعركة

أدى تضارب الآراء في تحديد تاريخ اليرموك إلى إثارة مناقشات لا تنتهي بين المؤرخين ، وقادهم ذلك إلى عدم الأخذ والثقة بروايات سيف بن عمر .

(١) طه الهاشمي : معركة اجنادين ، مجلة المجمع العلمي العراقي .

ومما لاشك فيه، فإن تلك الروايات قد خلفت لنا معظم المشاكل التي لم تحل إلى اليوم في تاريخ فتوح الشام. ومن عقيم الرأي أن نتجاهل تلك الروايات، ومن الواجب التوفيق بينها وبين بقية الروايات بعد القيام بتحليلها تحليلاً منطقياً، وقد توصل إلى هذا الرأي الأستاذ جواد علي في دراسته القيمة عن مصادر تاريخ الطبري، ووضع بذلك الأحكام الراسخة التي يمكن اتباعها عند تناول تاريخ الطبري بالبحث (١).

ومن البديهي أن نتناول بالبحث الأمر حيث تركه هؤلاء المؤرخون على أن نضيف إليه الجديد من البراهين والروايات التي تؤيّد صحة مذهبهم هذا. وقد أجمعت الروايات العربية على أن يوم اليرموك كان في عام ١٥ هـ، ومنها ما ذكر بأن المعركة كانت في شهر رجب سنة ١٥ هجرية، ونجمع هذه الروايات على:

١ – روايات مخطوطة ابن حبيش: عن أشياخ صدف بن عمر: «فلزموا (الروم) خندقهم عامة شهرهم، فخرجوا للقتال الذي لم يكن بعده قتال في جمادى الآخرة» (٢).

عن الواقدي عن ابن مكحول «.. كانت وقعـة اليرموك في رجب سنة ١٥ هـ» (٣).

٢ – البلاذري: «وكانت وقعة اليرموك في رجب سنة ١٥ هـ» (٤).

٣ – الطبري عن يزيد بن أسيد الغساني: «فخرجوا للقتال الذي لم يكن بعده قتال في جمادى الآخرة» (٥).

(١) جواد علي: مصادر تاريخ الطبري – مجلة المجمع العلمي العراقي – في عدة مجلدات.
(٢) ابن حبيش: ص ٨٥ ب.
(٣) فتوح الشام ص ١٣٦، وكذا بابن حبيش.
(٤) البلاذري: ص ١٤٢.
(٥) طبري: ج ٣ – ص ٣٢.

وعن المدائني « وكانت هذه الوقعة في رجب »[(١)] .

وعن الواقدي عن ابن اسحاق « ان وقعة اليرموك في سنة ١٥ هـ »[(٢)] وقد ذكر ابن اسحاق بأن هرقل جلا في هذه السنة بعد وقعة اليرموك في شعبان من انطاكية إلى القسطنطينية ، ولم يكن بعد اليرموك موقعة[(٣)] .

وعن ابن اسحاق : « فالتحموا باليرموك في رجب سنة ١٥ هـ »[(٤)] .

٤ — ابن كثير نقلاً عن الحافظ عن أبي معشر « وكانت في رجب سنة ١٥ هـ »[(٥)] .

وعن ابن الكلبي : « كانت وقعة اليرموك يوم الاثنين لخمس مضين من رجب سنة ١٥ هـ »[(٦)] .

٥ — ابن خلدون : « وكانت موقعة اليرموك في رجب بعد اجنادين »[(٧)] .

٦ — الذهبي : « وقعة اليرموك في رجب سنة ١٥ هـ »[(٨)] .

٧ — ابن عساكر أورد معظم الروايات المروية بإسنادها المعروف .

أما المصادر الرومية والأرمنية فهي تتفق إلى حد كبير مع المصادر العربية ، ويكمل كل منها الآخر . ويذكر المؤرخ الرومي ثيوفانس بأن أول قتال تمهيدي مع العرب كان يوم الثلاثاء ٢٣ يوليو ٦٣٦ — وهذا التاريخ يوافق ١٣ جمادى الآخرة سنة ١٥ هـ . وقد ذكرت الروايات العربية الكثير عن هذا اللقاء الذي تم بالقرب من الجابية — قبل المعارك الأخيرة بشهر —

(١) طبري : ج ٣ — ص ٤٦ .
(٢) طبري : ج ٣ — ص ٥٩ .
(٣) طبري : ج ٣ — ص ٥٩ .
(٤) طبري : ج ٤ — ص ١٣٦ .
(٥) ابن كثير : البداية والنهاية : جزء ٧ ص ٤ .
(٦) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ج ١ ، ص ٥٢٨ .
(٧) ابن خلدون : تاريخ ، جزء ٢ ص ٨٥ .
(٨) الحافظ الذهبي — العبر في خبر من غبر — الكويت ١٩٦٠ — جزء أول ص ١٨ .

أي عندما كانت الجيوش العربية سائرة في طريقها إلى اليرموك. وتستطرد الرواية الرومية فتقول «بأن الصقلار مع باهان قد التقيا مع العرب بعد مغادرة حمص.. وكان اللقاء في الجابية (الجابثة) في اليوم الثالث من الأسبوع — أي ٢٣ يوليو ٦٣٦م»[(١)].

وبالتوفيق بين تلك الروايات وبين آراء كل من فيبل ونولدكة ودي غويه، يتم التوصل إلى تاريخ المعركة الفاصلة باليرموك أي ٢٠ أغسطس (آب) ٦٣٦م الموافق ١٢ صفر سنة ١٥ هـ، أي بعد شهر واحد من أول لقاء تم بالجابية.

الطريق الى اليرموك

بدأت الأجناد الشامية عملية انسحابها خلال الشهور الأولى من عام ١٥هـ، تاركة المدن الشمالية في طريقها إلى دمشق، ثم ما لبثت أن غادرت دمشق عندما وافتها الأنباء باستعادة الروم لمدينة حمص، بعد أن أدت الجباية التي جمعتها من أهل دمشق[(٢)]. وبناء على اقتراح من يزيد بن أبي سفيان، عسكرت القوات العربية بالجابية في انتظار قدوم عمرو بن العاص من فلسطين وشرحبيل بن حسنة من الأردن[(٣)]. وعند اقتراب طلائع الروم خلت القيادة العربية عن الجابية واتجهت جنوباً إلى ضفاف اليرموك سالكة الطريق الروماني الذي يوصل نوى باذرعات. وعسكرت القوات العربية في شرقي اليرموك جاعلة اذرعات خلف ظهورها، واقباضهم ونسائهم على التلال الشرقية،

(١) ثيوفانس: تاريخ: طبعه De Boor ص ٣٣٨ الكتاب الأول فصل ٢.
(٢) ابن حبيش: ص ٥٥، ٦٦.
(٣) الواقدي: ص ٩٨.

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

حيث انتظروا نزول الروم على اليرموك وكذلك بقية الأجناد وكذا مدد أمير المؤمنين (١) .

وفي نفس الوقت ، اقتربت إمدادات أمير المؤمنين من نهر اليرموك ، فلقد خرج من المدينة لواء بقيادة سعيد بن عامر ، حيث التقى هو وفرسانه السبعة آلاف بحامية مدينة عمان بالقرب من حوران ، فشدد عليها القتال ، وقتل نقيتاس حاكم عمان وأباد رجاله البالغ عـــددهم ٥٠٠٠ رجلا عن بكرة أبيهم (٢) .

وبسبب تحرك القوات العربية في اتجاه الجنوب الشرقي — أي على طريق نوى اذرعات — ظن الروم بأن العرب يقومون « بانسحابهم الانصراف عن أرض الشام ، لذلك أخرجوا خيلاً عظيماً لتأتيهم من ورائهم لتكشفهم » ، وأرسل باهان طلائعه لتدهم ساقة العرب عند جلالها عن الجابية فخرج اليهم خالد بن الوليد على الساقة ، وأفناها عن بكرة أبيها — وكان ذلك في جمادى الأخرى (٣) .

وعملت الروايات العربية [عن هذه الحادثة] على إكمال وإيضاح رواية ثيوفانس الغامضة عن التقاء العرب والروم بالجابية . أما رواية الواقدي وابن حبيش عن تحركات الجيش العربي ، فانهما فسّرت أسباب المناورة الرومية والغرض من تتبع ساقة العرب (٤) .

---

(١) الواقدي : ص ٩٨ ـ ٩٩ .

(٢) الواقدي ص ١١٠ ـ ابن حبيش ص ٨٥ .

(٣) ابن حبيش ص ٧٠ ، ٧٢ .

(٤) الواقدي ص ١١٠ « وتجعلوا أذرعات خلف ظهوركم حتى يتزلوا اليرموك ويكون مدد أمير المؤمنين قريباً منكم » . وفي صفحة ٩٩ ـ ابتدئه إلى ما يلي الرمادة (الرقاد) فيكون بين عسكرنا وعساكر الروم » ... وكذلك « وأمر خالد بن الوليد أن يسير بهم ويكون على طلائع المسلمين وحرسهم من وراء ظهورهم » .

ومما لاشك فيه ، فلقد اتضح للقيادة العربية ضعف الجابية من الناحية الاستراتيجية ، لوقوعها على ملتقى طرق الإمدادات الرومية الآتية من دمشق وقيسارية وبقية مدن فلسطين ، وهذا مايهدد سلامة خطوط الإمدادات العربية ، ويجعل ساقة وطلائع القوات العربية في موقف خطير . لذلك لم يكن مثيراً للدهشة أن يسلك العرب طريق نوى — اذرعات ، وإلا كانت العرب في موقف خطير يهدد بحصارهم وإبادتهم .

وسيطر العرب وهم على التلال الشرقية على جميع الطرق المؤدية إلى اليرموك ، بينما شكلت تلك التلال خطاً دفاعياً يحمي مؤخرتهم . وأخذت طلائع الروم في المعسكرة غربي نهر الرقاد كما ارتأه لهم العرب ، أي النزول في موضع ضعيف من الناحية الاستراتيجية . وقد عسكرت ساقة الروم في منطقة دير الجبل قرب نهر الرماد بمنطقة جولان ، منتظرين توافد بقية القوات الرومية (١) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومن الواضح فإن دي غوية سار وراء سراب خادع عندما حاول تفسير الرماده — وهي تحريف للرقاد — والبحث عنها بالقرب من فيق ، حيث يوجد واد قاحل ذكره سيترن . ومما لاشك فيه ، أن عدم تنقيط الحروف في الكتابة العربية المبكرة ، جعل دي غوية يضل الطريق وراء براهين واهية ، لذلك تجاهل حقائق طبيعية مثل وجود نهر الرقاد ، الذي يتفق من الناحية الاستراتيجية مع الروايات التي جاءت عن ميدان المعركة ، وهذا كله يتفق وطبيعة فن التجييش والتعبئة ، وطبيعة المنطقة طوبغرافياً (٢) .

---

(١) واقدي صفحات ٩٩ — ١٠٠ — ١١٠ — ١١٨ .

(٢) دي غوية — فتوح الشام : ص ٦١٨ ، ٦١٩ .

سعيد بن البطريق — جزء ٢ ص ٢٧٣ ، ابن حبيش ص ٦٩ .

وحاول دي غوية استغلال أحداث الواقوصة – وهي إحدى أيام اليرموك الأخيرة – لكي يدلّل على صحة استنتاجه وهي بأن المعركة كانت قرب فيق أي بوادي الرمادة حيث وُقِصت رؤوس الروم. بينما كانت الواقوصة حدثاً ويوماً من أيام اليرموك مثل يوم الضباب والرزاز والتعوير، وبدأ هذا اليوم شرقي نهر الرقاد، وانتهى بتعقب الفالة في منطقة جولان.

ورغم تبين عدم صحة أحكام دي غوية، لصراحة النصوص التاريخية، فما زال إلى اليوم من يحاول أن يجعل الرمادة والواقوصة جنوب نهر اليرموك (١).

والنصوص التي قدمتها الروايات العربية والرومية تتفق إلى حد كبير مع الطبيعة الأرضية لميدان المعركة، فلقد شملت أرض المعركة المنطقة التي يحدها شرقاً وادي العلان، وغرباً نهر الرقاد، (وجعلوا بينهم وبين عسكر المسلمين ثلاثة فراسخ طولاً (٢).

تشكيل الجيوش المتحاربة

تشكلت القوات الرومية من الفرق النظامية والعديد من الفرق المرتزقة التي تكونت من الأقليات القومية بالامبراطورية. وكان من بينها فرقة يقودها جبلة بن الأيهم الملك العربي المسيحي، هذا إلى جانب قوات مرتزقة من الأرمن واليونان واللان والروس. والمثير للدهشة أن يحارب روسيون في قوات هرقل، بينما المصادر التاريخية لم تكن قد ذكرتهم بعد كشعب.

وقاد الجيوش ثيودور الصقلاربليه في القيادة القائد الأرمني فاهان (باهان). ويذكر الواقدي بأن قواد الروم كانوا خمسة قواد: وهم قناطر (بوقينائير)

(١) عبد الرؤوف عون – الفن الحربي في صدر الإسلام، القاهرة ١٩٦١ ص٢٢٦–٢٢٨.
(٢) الواقدي، ص ١٠٠، انظر الخريطة.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ملك الروسية ، وجرجير (جرجيوس) ملك عمورية ودرنجار القسطنطينية وماهان ملك أرمينية وخامسهم قورين ابن أخت هرقل . ويبدو أن قورين هذا هو ثيودور الصاقيلار الذي اتفقت عليه جميع المصادر العربية والرومية [١] .

وقد شكلت القوات الرومية — حسب المصادر الوثيقة — ٢٠ كردوساً ضم إليها العرب المستنصرة من غسان ولخم وجذام ، يقودها جبلة بن الأيهم ، حيث كان في مقدمة باهان ، أي أمام قلب الجيش . وكان على الميسرة الدرنجار ، وعلى الميمنة بوقناطر الذي تضم قواته فرقة جرجير (جرجيوس جرجة) . وكانت ميمنة الروم تحتل موقعاً ضعيفاً من الناحية الاستراتيجية إذ كانت محاطة بالأهوية والأغوار ويحدها نهر اليرموك العميق ، لذلك دعمت بفرقة قوية من الرماة عسكرت في خنادق ، أما اقباض الروم فقد كانت في دير الجبل [٢] .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكان تشكيل الجيش العربي على نظام الخمسة فرق ، أي القلب والميمنة والميسرة ، حيث ألحق بها الفرسان على شكل جناح ، وحيث شكلت معها وحدة متناسقة . وكان خالد بن الوليد على الفرسان وهاشم بن عتبة على المشاة [٣] . وقباث بن الأشيم على المقدمة وعبد الله بن مسعود على الروعة [٤] أما أبو عبيدة فكان على القلب ، غير أنه اضطر إلى تسليم القيادة إلى سعيد بن نفيل عندما أجمع قواد الأجناد على ذلك ، بسبب بعض الاعتبارات النفسية إذ كان بالقلب وحول أبي عبيدة الكثير من أصحاب الرسول وحفظة القرآن الذين يخشى عليهم ضراوة القتال . غير أنه لم يتخل عن القيادة بل تأخر

---

(١) ابن حبيش ص ٧٢ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٨٦ ، الواقدي : ص ٩٧ ، ٩٨ ، ١٢٩ .
(٢) الهامش السابق .
(٣) ابن حبيش : ص ٧٢ ، ٧٨ — الواقدي ص ١٢٥ .
(٤) ابن حبيش ص ٧٩ ، ٨٦ .

إلى مؤخرة القلب وسلّم سعيد اللواء ، وأشرف من هناك مع هذه النخبة الكريمة على سير المعركة (١) .

وقد اختلفت المصادر العربية والرومية في تقدير عدد القوات المتحاربة فمنها — العربية — ما ذكر بأن عدد الروم كان ٢٠٠ ألف (٢) يضاف إليها العرب المستنصرة والأرمن وهم فرقتان كل منهما ١٢ ألف محارب (٣) بينما ذكرت بعض المصادر بأن الجيش العربي شكل قوة تبلغ الـ ٢٤ ألف محارب يضاف إليها مدد الخليفة عمر رضي الله عنه وهو ٧٠٠٠ محارب (٤) .

والمصادر الرومية تؤكد بأن القوات المتحاربة الرومية تبلغ ٣٧ ألف محارب ، وتتفق هذه الرواية مع ابن حبيش نقلاً عن الواقدي في أن الروم قد صفوا ٢٠ كردوساً وبجوارها قوات العرب المستنصرة والأرمن .

والمرجح هو أن القوات العربية كانت في حدود ٣٧ ألف محارب والقوات الرومية ٧٠ ألف محارب (٥) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سير المعركة

بدأت الالتحامات واللقاءات العسكرية التمهيدية في ١٣ جمادى الآخرة سنة ١٥ هـ (٢٣ تموز — يوليو — ٦٣٦) ، وقد أطلق على سلسلة المعارك التي دارت بعد ذلك اسم معركة اليرموك . ومن أيامها الأخيرة الياقوصة

---

(١) الواقدي ص ١٢٥ ، ابن حبيش ص ٧٩ .
(٢) البلاذري ص ١٤٠ ، الياس النصيبي ص ١١٠ بينما ذكر ابن حبيش ص ٨٢ بأن الفقلار سار بمائة ألف مقاتل .
(٣) ابن حبيش ص ٨٢ ، دى غويه ص ١٠٧ .
(٤) ابن حبيش ٧١ ، ٨٢ ، الواقدي ١١٠ ، ١١١ .
(٥) اغابيوس ، كتاب العنوان ص ٢١٠ وجميع المراجع ورواية ابن اسحاق لدى الطبري .

(الواقوصة) حيث وقعت عند تدمير الفالة الرومية في أهوية اليرموك بالقرب من فيق .

وكان اللقاء الأول بالقرب من الجابية في صالح العرب وبعده هدأ القتال، وبقيت الجيوش المتحاربة معسكرة حوالي الشهر بدون أي مواجهة (١) .

وبدأت المعركة في تطورها الثاني باللقـــاء الذي أورده الواقدي عن عبد الملك بن عبد الحميد ، أولها شررنا وآخرها ضرام الحرب ، وإن كل يوم يأتي أصعب من اليوم الآخر ، فلقد هـاجمت فرقة رومية مكونة من ١٠ كراديس بقيادة باهان العرب ، ولكن النصر كان من نصيب العرب ، ولم ينته اللقاء إلا بحلول الليل (٢) .

وبعد أسبوع من الانتظار ، جاء اللقاء الثاني الذي صحبته بعـد ذلك لقاءات يومية ، وكان ذلك في شهر رجب (لخمس مضين من رجب) . وقد أثبت العرب مهارة خططهم وصوابها باختيارهم هذا اليوم للقاء مع الروم فقد بدأ العرب في يوم هبت فيه رياح جنوبية حارة ، أدّت وأعمت عيون الروم بما تحمله من غبار وأتربة ، إلى جانب قيظ شمس آب القوية .

ولنتوقف لحظة ، لكي نتابع تفـاصيل اللقاءات التي دارت على أرض المعركة والتي استمرت بضعـة أيام ، وانتهت في الياقوصة ، عندما قضى العرب على فالة الروم الذين فروا في اتجاه الطريق الروماني الموصل إلى دمشق وفلسطين .

وكانت اللقاءات الأخيرة في أيام ثلاث ، يوم الضباب ، ويوم التعوير ثم يوم الياقوصة حيث تم النصر النهائي على الروم .

(١) الواقدي ، ص ١٢٦ .
(٢) ما قبله .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويدأ يوم الضباب عندما هاجم الدرنجار صاحب ميسرة الروم ميمنة العرب وفيها الأزد ومذحج وحمير وحضرموت وخولان ، فأزال المسلمين عن الميمنة ، فانحازوا إلى ناحية القلب (١) . وكانت قوات الدرنجار المهاجمة ٣٠ كراديس ، واندفع كردوس منها عندما انكشفت طائفة من المسلمين إلى المسكر ، وتبعتهم نحو الساقة ، غير أن قوة من ٥٠٠ رجل وفيها الحجاج ابن عبد يغوث بن عمرو بن الحجاج شدّت على الروم وشغلتهم عن اتباع من انكشف ، وداهم في نفس الوقت خالد بن الوليد وهو على الفرسان المهاجمين الروم . وشكل تحرك الفرسان بقيادة خالد مناورة هدفها حصر الروم وعزلهم عن بقية القوات المهاجمة . لذلك أسرع الروم بالانسحاب ، فالتأم الصدع الذي أصاب الميمنة العربية (٢) .

وفي نفس الوقت هاجمت ميسرة العرب الميمنة الرومية حيث الرماة في خنادقهم ، فتعرض لهم بوقناطر، فشد عليه عمرو بن العاص بقواته وكشفه ، فاضطر إلى الفرار نحو قلب الجيش الرومي (٣) لذلك سارع جرجير (جرجيوس) وهاجم العرب لتغطية انكشاف الميسرة وقلب الجيش (٤) .

وخلال سير المعركة ، تعرض القلب العربي للانكشاف أثناء الشد والصدام ، إذ تمكنت بعض الكتائب الرومية (العربية) من التسرب إلى اقباض الساقة ، فتعرض لهم قباثة بن الأشيم ، وشد العرب الصدام حتى لا يلقى بهم إلى النهر ، وسرعان ما تحول الدفاع العربي إلى هجوم مضاد بعد لم شمل الصفوف ، وسد

---

(١) ابن حبيش ، ص ٧٧ ، ٧٩ .

(٢) ما قبله ، الواقدي ص ١٢٧ .

(٣) ابن حبيش ص ٨ ، الواقدي ص ١٢٩ .

(٤) ما قبله .

ARCHIVE

الثغرات التي فتحت في خطوطهم ، فاضطرت القوات الرومية المرة الثانية إلى الانسحاب لحرج موقفهم (١) .

ولعب الخلاف بين القواد الروم دوراً هاماً في سير المعركة وذلك لصالح العرب وسبب الاضطراب في صفوف الجيش الرومي . فلقد شب الخلاف والنزاع بين الفرق الرومية المرتزقة ، ومعظمهم بالميسرة الرومية وبين الفرق النظامية وقيادتها . وقاد الخلاف في الأيام التالية إلى هزيمة الروم المنكرة . إذ استفحل العداء والتذمر وعدم الرضا بين القواد الروم ، عندما ازداد النزاع الشخصي عمقاً بين بوقناطر وجرجيوس (جرجة) من جهة ، وبين القائد العام ثيودور وباهان من جهة أخرى (٢) . وتناول ثيوفانس المؤرخ الرومي أطراف هذا النزاع ، غير أن المصادر العربية كانت أدق ووافية .

وفي يوم التعوير ، وهو ثاني أيام اليرموك ، صفت القيادة العربية قواتها وصفوفها ، طبقاً للخطة المتبعة في الصفوف الثلاثة ، ووجهوا عنايتهم بشكل خاص إلى الرماة ، فلقد أثبتت وقائع اليوم الأول أهمية اتباع هذا التكتيك الجديد ، لذلك قسّم العرب إلى ثلاثة أقسام ووزعوها على أقسام الجيش الثلاثة وألحق بكل قسم ٥٠٠ رام (٣) .

وبدأ الصدام عندما شنّ الروم هجومهم على ميمنة العرب ، إذ أنهم قد فطنوا إلى ضعف ميمنتهم وتعرضها لهجوم الفرسان العرب ، لذلك عززوها بصفوف من الرماة ذوي الأسلحة الثقيلة ، والتي ألهبت ميسرة العرب برمايتها وخلال ذلك اليوم انكشفت الميمنة العربية مراراً عدة بسبب تركيز الهجوم

(١) الواقدي ص ١٢٩ ـ ١٣٠ .
(٢) ما قبله .
(٣) الواقدي ، ص ١٣٢ .

عليها، غير أن العرب أقحموا فرسانهم في خطوط الميسرة الرومية المهاجمة، بينا غطت كتيبة أخرى من الفرسان العرب الانفراج الذي حدث بالميمنة العربية. وشددت التكبير على الروم، فاضطرتهم إلى الانسحاب تاركين ميسرتهم مكشوفة (١).

وأوردت المصادر العربية الكثير من التفاصيل عن هزيمة ميسرة الروم، وعن فرارها أمام هجوم العرب. هذا في الوقت الذي أمطرت فيه ميمنة الروم بسهامها ورماحها الميسرة العربية، ملحقة بها أفدح الأضرار، مما جعل العرب يطلقون على هذا اليوم يوم التعوير، وفيه نكب أبو سفيان بفقد عينه (٢). وكثرت الروايات العربية عن يوم التعوير، واختلطت أحداثه بأحداث يوم الياقوصة، غير أن معظمها اتفق على أن العرب ارتدوا ثلاث مرات، من شدة الطعن والرمي، إلى أن تمكنوا من الخلاص بعد أن كادت تلحقهم الهزيمة (٣) وذلك بتركيز هجومهم، فاضطر الروم إلى التجمع على ضفاف اليرموك (٤).

وجاء اليوم الثالث بالشؤم وسوء الحظ للروم، فكلما تغلغلوا في الصفوف العربية، وكادوا يصلون إلى مرحلة النصر الحاسمة، جوبهوا ببطولة وبسالة النساء العربيات اللواتي تعرضن لهن بكل ما وقع تحت أيديهن من سلاح، واشتركن بذلك في الدفاع وفي طرد منهزمة المسلمين ودفعهم إلى ميدان القتال (٥).

(١) الواقدي، ص ١٢٨، وابن حبيش ص ٨١.
(٢) الواقدي وجميع الروايات بكتب التاريخ، واقدي ص ١٢٨.
(٣) الواقدي ص ١٢٨ – ١٣١.
(٤) الواقدي ما قبله: «وانحازت الروم إلى جانب اليرموك».
(٥) جميع كتب التاريخ.

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وباشتداد ضرام الحرب والطعان، وضع الروم في السلاسل، حتى يشكلوا حائطاً يصد الهجوم العربي. ولكنهم سرعان ماصاروا هدفاً للرماة العرب، حيث أمطروهم بوابل من السهام، ومن لم يلق منهم الموت بالسلاح، لقيه عند فراره في قاع الهاوية التي تحف بالوادي، وبدأت الفوضى تتغلغل في صفوف القوات الرومية، وقد استفحل العداء بين قواتهم، وأخذت قواتهم في الارتداد أمام القوات الصغيرة العربية، الكبيرة في قوة الهدف. فهلك الصقلار ثيودور، أما ماهان (باهان) فانه آثر الفرار ناجياً بحياته.

وترجع أسباب هزيمة الروم إلى ضعف خططهم الحربية الرامية إلى توسيع جبهة القتال، في الوقت الذي كدسوا فيه رماتهم بالميمنة الضعيفة من الناحية التكتيكية، لذلك تعرضت الميمنة طوال القتال لهجوم الخيالة العربية التي كانت تدهمهم وتفصل بينهم وبين بقية الجيش الرومي، إلى أن توصلت أخيراً إلى حصرهم بعد القيام بعملية التفاف، ودفعتهم نحو ضفاف النهر والأودية والأهوية العميقة، حيث لقي الكثير منهم حتفهم، ومن بينهم العديد من القواد الروم، مثل حاكم نابلس وملك اللان (١). بينما تركز الخلاف والنزاع بالميمنة الرومية، وهذا ماجعل القواد يتنازعون في إصدار الأوامر والخروج عن تعليمات القائد العام. لذلك فقدت القيادة العامة السيطرة على قواتها، التي سرعان ما انهارت فأسرعت بالانهزام والفرار للتحصن بالمناطق المنيعة، غير أن فرسان العرب تتبعتهم وطاردتهم إلى أن وصلوا إلى الياقوصة حيث أبيدت معظم القوات الرومية (٢).

---

(١) الواقدي ص ١٣٤، وقد سماه ماريوس، وثيوفانس يذكر بين قواد الروم قائداً سمي بهذا الاسم.

(٢) الواقدي: نفس المكان، وراويه سيف بن عمر لدى الطبري.

ونعود هنا لنناقش كلمة الرماد التي أشار اليها دي غوية من قبل ، فلقد أفضى الواقدي إلى قصة طويلة ، حاول فيها أن يبرر الأسباب التي دعت إلى فناء الروم وقص حكاية شخص موتور قاد القوات الرومية أثناء فرارها إلى مكيدة سقطوا بسببها في الأهوية العميقة (١) . غير أن هناك من الروايات ماتفيد بأن الروم اضطروا إلى خوض مياه الأنهار والمستنقعات حيث أبادتهم العرب ، وهـذه الحقيقة لاتتفق مع فرضية دي غوية في أن وادي الرماد يقع في الواقوصة . فنحن نعرف بأن الرماد هو تحريف لفظي للرقاد ، وهو النهر الذي سقط فيه الكثير من الروم . ومن ثمَّ فإن العرب طاردوا فلة الروم إلى أن وصلوا إلى الياقوصة ، وهناك أفناهم العرب عن بكرة أبيهم . ومن هنا عمّم يوم الياقوصة وأطلق على يوم اليرموك ، بينما الياقوصة هي إحدى أيام اليرموك .

وكان تمام انتصار العرب على الروم في ١٣ رجب ١٥ هـ الموافق لـ ٢٠ أغسطس (آب) ٦٣٦م وفقدت الامبراطورية بهزيمتها في اليرموك الأمل في استرداد سورية التي ضاعت منها إلى الأبد ، بل وتعرضت الامبراطورية الرومية للهجمات العربية إلى أن سقطت . وتحقق بذلك قول هرقل عندما ودع سورية بقوله : « عليك السلام يا سورية ، سلاماً لا اجتماع بعـده ، ولا يعود إليك رومي أبداً إلا خائفاً حتى يولد المولود المشؤوم ، ويا ليته لا يولد من أجل فعله وأمر عاقبته على الروم » .

ولم يعد الروم إلى الشام إلا مع الحروب الصليبية ، وخرجوا منها بعد زمن بسبب وحدة الصف العربي ، وتحقق الشطر الأخير من وداع هرقل ، وصارت الشام أرض العروبة ومنبرها طوال العصور ، وكذلك فلسطين إلى أن وقعت فريسة الصهاينة .

(بودابست) الدكتور عبد المنعم مختار أمين

(١) كتب التاريخ ـ الواقدي ـ الطبري ـ ابن حبيش .

نظرة عيان وتبيان

في مقالة

(أسماء أعضاء الإنسان)

أضاف إليها ما يقابل الأسماء بالفرنسية والانكليزية مع شرح موجز

الدكتور صلاح الدين الكواكبي

— ٦ —

١٧٠) الرواجب

ف ، ز . . . . .

في الأصل . — عصب ظاهر الكف . [قصب ظاهر الكف] .

ملاحظتي . — قوله (عصب) خطأ والصحيح (قصب) بالقاف وهي الرواجب .

في (ق) . — الرواجب واحدتها راجبة ورُجْبة : مفاصل أصول الأصابع، أو بواطن مفاصلها ، أو هي قصب الأصابع أو مفاصلها ، أو ظهور السلاميات ، أو ما بين البراجم من السلاميات أو المفاصل التي تلي الإبهام .

قلت : ومثلها : [البَراجِم وهي مفاصل الأصابع كلها أو ظهور القَصَب من الأصابع أو رؤوس السلاميات إذا قبضتَ كفك نشزَتْ وارتفعت] . هذا التعريف يكاد ينطبق على (مُشْط اليد وهو السِّنْع : métacarpe) ؛ وعلى (مُشط القَدَم وهو الوظيف métatarse) .

★ ★ ★

ARCHIVE http://archivebeta.sakhrit.com

١٧١) الإِبْهام

ف Pouce (m.)

ز Thumb

في الأصل . — أقصر الأصابع وأغلظها .

في (ق) . — الإبهام بالكسر ، في اليد والقدم أكبر الأصابع . وقد يذكَّر . ج أباهيم وأبايم .

في (ل) . — أكبر أصابع اليد وأقصرها بالنسبة للأصابع الأخرى ، في الإنسان والقِرَدَة .

ما أضفته :

١ — إبهام القَدَم

ف Gros orteil

ز Big tœ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢ — إبهام أَرْوَح

ف Hallux varus

ز Pigeon tœ

٣ — إبهام أفحج

ف Hallux valgus; orteil en equerre

ز Hallus: hallux valgus

٤ — إبهام صَمِيل

ف Hallux rigidus

ز Stiff tœ

٥ — إبهام مُنْشَطِر أو منشق

ف Pouce bifide

ز Bifid thumb

★ ★ ★

١٧٢) المُسَبِّحة (= السَّبّابة)

ف Index, doigt indicateur

ز Index; forefinger

في الأصل . — المسبّحة ، التي تلي الإبهام .

في (ق) . — السبابة ، تلي الإبهام [ولا ذكر للمسبحة في مادة سبح] .

في معجم المتن . — السبابة والمسبحة : الاصبع التي تلي الإبهام . والسبابة ، التي بين الإبهام والوسطى (صفة غالبة) .

في (ل) . — الإصبع الثانية من اليد ، الأقرب إلى الإبهام .

ملاحظتي . - الصفة الغالبة لهذه الاصبع والشهور عنها : (السبابة) . أما المسبحة فلا ذكر لها في (ق) . فهي إطلاق خاص على ما يبدو .

فالسُّبْحة بالضم خرزات تُعَدّ للتسبيح (مولّدة) . وفي رأيي أن المؤلف ، اختار لهذه الاصبع - تبديلاً من السبابة لما فيها من معنى الشتم والعار - اختار لها « المسبحة » لما فيها من معنى التقديس ومن التنزيه لله تعالى عن كل ما لا يليق بجلاله وعظمته . هذه التسمية ؛ على التغليب لأن التسبيح بها وبالإبهام بل وبالوسطى كما لا يخفى . هذا وفي شرح (الفِتْر) وجدت في (ق) ما يلي : [الفتر . بالكسر ، ما بين طرف الإبهام وطرف المُشيرة] . قلت : وكأن كلمة Index الإفرنجية لهذه الإصبع مأخوذة - ترجمةً - عن العربية لأنها هي وحدها التي يشار بها إلى شيء ما (من بين أصابع اليد) . وعلى هذا أرى أن كلمة (المُشيرة) أجدر استعمالاً من (السبّابة) و (المسبّحة) وأصلح إشاعةً ، لمطابقتها للواقع .

★ ★ ★

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

١٧٣) الوسطى

ف Medius; doigt majeur

ز Middle finger

في الأصل . — التي تلي المسبّحة .

في (ل) . — الإصبع التي في منتصف اليد .

* * *

١٧٤) البِنْصر (اصبع اليد الرابعة)

ف Annulaire; quatrième doigt de la main

ز Ring finger

في الأصل . — التي تلي الوسطى .

في (ق) . — البنصر ، الإصبع بين الوسطى والخنصر . مؤنثة .

في (ل) . — الإصبع الرابعة ، من اليد (سميت بالفرنسية كذلك لأنها هي التي تلبس فيها الحلقة أو الخاتم) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

* * *

١٧٥) الخِنْصر

ف Auriculaire (m.)

ز Little finger

في الأصل . — التي تلي البنصر .

في (ل) . — أصغر أصابع اليد (سميت بالفرنسية كذلك لأنها لصغرها يمكن إدخالها بالأذن) .

ما أضفته :

١) أُصْبُع

ف Doigt (m.)

ز Finger

٢َ) اصبع كالمُسَوَّد (خَزَب مخاطي)

ف Doigt en boudin (myxœdème)
ز Swelling of the fingers in myxœdema

٣َ) اصبع مُذَلَّة (ميتة)

ف Doigt mort
ز Dead finger

٤َ) اصبعي

ف ، ز Digital

٥َ) اصبعي الشكل

ف Doigt (en forme de)
ز Digitated

ومن أشكالها :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١ ـ أصابع إبقراطية

ف Doigts hypocratiques
ز Clubbed, drumstik, hypocratic fingers; clubbing of the fingers

٢ ـ أصابع عَنْكَبُوتية

ف Arachnodactylie
ز Arachnodactily; spider fingers

٣ ـ أصابع القَدَم

ف Orteil; doigts du pied
ز Tœs

٤ ـ خنصر القدم

ف Cinquième orteil
ز Small tœ

٥ — أصابع مُحْجَنية

ف Gampsodactylie
ز Hammer tœ

من مرادفات الكلمة الفرنسية :

(أصابع كعنق الأوز orteil en cou de sygne) ،

و (أصبع قدم مطرقية الشكل orteil en marteau) .

٦ — أصابع كمِقْفاص الطَّبْل

ف Doigts en bagutte de tambour
ز (انظر أصابع ابقراطية — ١)

٧ — أصابع اليد أو الكف

ف Doigts de la main
ز Fingers

٨ — قِصَر الأصابع

ف Brachydactylie
ز Brachydactylia

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ملاحظة . — في كلامه على الأصابع لم يذكر المؤلف شيأ عن (الشِّبْر) ولا (الفِتْر) اللذين يستعملان مقياسين للأطوال . فرأيت أن أضيفها في هذا الرقم على النحو التالي :

آ — الشِّبْر

ف Empan (m.)
ز Span (hand - span)

[الشبر يقيس ٢٢ — ٢٤ سنتمتراً ويقابله ٩ أنش] .

ب — الفِتْر

ف Petit empan
ز Small span

في (ق) . — فأما الشِّبْر : ما بين أعلى الإبهام وأعلى الخنصر ، مذكر

ج أشبار . والشَّبر بالفتح : كيل الثوب بالشبر . وأما الفِتر ، بالكسر : ما بين طرف الإبهام وطرف المُشيرة . (قلت المشيرة هي السّبابة = index) انظر (الرقم ١٧٢) أيضاً .

في (ل) . — الشبر : المسافة بين الإبهام والخنصر ممدّين .

★ ★ ★

١٧٦) القَصَبات

في الأصل . — واحدتها قَصَبَة ، في كل اصبع ثلاث قصبات إلا الإبهام ففيها قصبتان .

في (ق) . — ... والقَصَب عظام الأصابع ، وشُعَب الحلق ومخارج الأنفاس ... الخ .

ملاحظتي . — على اعتبار (عظام الأصابع) يقابلها phalange . وعلى اعتبار (شُعب الحلق ... الخ) يقابلها bronche . سأذكر أولاً ما يوافق شعب الحلق (قصبات) ثم أذكر ما يوافق الأصابع .

أولاً . — القَصَبة

(شُعب الحلق)

في (ل) . — القصبة كل من المجاري ، ينتهي إلى الرُّغامى (١) — الحريان وبالمجاري هذه يدخل الهواء الرئتين ، وأما الرغامى فتنقسم قصبتين رئيستين وكل منها إلى قصبات فصّية (٣ في اليمين ، ٢ في الشمال) . هذان القصبان يتفرعان في داخل الرئة الموافقة إلى قصبة خارج الفُصَيْص (٢) وهذه بدورها إلى قصبة داخل الفُصَيْص أي إلى قُصَيْبَة (٣) .

١) Trachée-artère ٢) Eextralobulaire

٣) Bronchiole

القصبة

Bronche (f.)

Bronchus

ما أصفته :

١ — قصبة تحت الشِّريانين

ف Bronche hypartérielle

ز Hyparterial bronchus

٢ — قصبة داخل الرئة ، أساسية

ف Bronche intrapulmonaire, principale

ز Intrapulmonary, main bronchus

٣ — قصبة داخل الفُصَيص ، قُصَيْبَة

ف Bronche intralobulaire ; bronchiole

ز Intralobular bronchus ; bronchiole

٤ — قصبة رئيسة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ف Bronche souche

ز Main bronchus

٥ — قصبة فوق الشريان

ف Bronche épartérielle

ز Eparterial bronchus

٦ — قصبة قلبية

ف Bronche cardiaque

ز Cardiac bronchus

٧ — قصبة قِمّية

ف Bronche apicale

ز Apical bronchus

ثانياً — القَصَبة (*)

(عظام الأصابع)

ف Phalanges

ز Phalanx

في (ل) . — كل من العظام الصغار التي تتألف من مجموعها أصابع اليد وأصابع القدم [انظر الرقم — ١٧٠] .

★ ★ ★

١٧٧) السُّلامَى

ف Phalange

ز Phalanx

في الأصل — هي القصبة .

في (ق) . — كل من قصبات الأصابع سُلامَى ج سُلامَيات ؛ وعظام صغار طول إصبع وأقل ، في اليد والرجل .

في (ل) . — كل من العظيمات التي تتألف منهن أصابع اليد وأصابع القدم .

ما أضفته :

١ — سُلامَى ثانية

ف Phalangine

ز Second phalanx

٢ — سُلامَى صغيرة ، سلامى ظُفْرِية

ف Phalangette; phalange unguéale

ز Distal, terminal, ungual phalanx; phalangette

★ ★ ★

(*) القصبة ، أُطلقت أيضاً على عظم الأنف الخاص . (انظر الرقم ٥٦) .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

١٧٨) الرواجب

ف ، ز . . . .

في الأصل . — بطون عقد الأصابع .

في (ق) . — مفاصل أصول الأصابع أو بواطن مفاصلها أو هي قصب الأصابع أو مفاصلها ، أو ظهور السلاميات ، أو ما بين البراجم من السلاميات ، أو المفاصل التي تلي الأنامل . واحدتها راجبة ، ورُجْبَة بالضم .

قلت : أي المعاني مع كثرتها ، يخصص له ما يقابله بالفرنجية . وقد تقدم ذكرها في (الرقم ١٧٠) لقصب ظاهر الكف .

* * *

١٧٩) البراجم

ف Articulations (des doigts)

ز Knucle ; finger - joint

في الأصل . — ظهور عقد الأصابع .

في (ق) . — البُرْجُمة ، المفصل الظاهر أو الباطن من الأصابع ، والأصابع الوسطى من كل طائر ؛ أو هي مفاصل الأصابع كلها ، أو ظهور القصب من الأصابع ، أو رؤوس السلاميات إذا قبضت كفك نشزت وارتفعت .

في (ل) . — هي مفاصل أو مواصل الأصابع . انظر (الرقم ١٧٠)

* * *

١٨٠) الأنامل

ف Bouts des doigts

ز Finger - tips

في الأصل . — أطراف الأصابع وهي القصبة العليا .

في (ق) ٠ — الأُنمُلة بتثليث الميم والهمز ، التي فيها الظفــر .
ج أنامل وأنملات .

في (ل) ٠ — الأنملة الطرف السائب من الاصبع .

قلت : على تعريف (ق) يوافق phalangette وهي القصبة النهائية التي تحمل الظفر كما في (ل) .

★ ★ ★

١٨١) الحِتار ، الإطار

ف Bord

ز Border

في الأصل ٠ — ما أحاط بالظُّفر (وكذا الإطار) .

في (ق) ٠ — ... والحتار من كل شيء كفافه وحرفه ... والإطار ، قلبيت هو كالمنطقة حوله وما أحاط بالظفر من اللحم ، وطرف الأبهر .

قلت : الأصلح التخصيص (حتار أو اطار الظُّفر) باضافة (الظُّفر) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

★ ★ ★

١٨٢) الزِّنْقير (= القَسيط)

ف Rongeure d'ongle

ز Parings; clipping of nails

في الأصل ٠ — الزِّنيقر قلامة الظفر ، ما يُقلَّم من الأظافر .

في (ق) ٠ — ما سقط من الظفر حين تقليمه أي قطعه .

وفي متن اللغة ٠ — الزنقير كلمة دخيلة هي قلامة الظفر .

ملاحظتي ٠ — في الأصل المخطوط توجد كلمة (المنسنيط) وهي تصحيف كما يقول المحقق وصححها بكلمة (الزنيقر) . قلت : وهذا خطأ مطبعي على ما أظن والصحيح (الزنقير) بالياء بعد القاف ـ لا قبلها ـ كما وضعتُها مصححةً

(في الرقم ١٨٢) إلى جانب الكلمة (الفَسيط) التي صححتُها كذلك عن (المنسنيط) الوارد ذكرها في المخطوطة . (فالمنسنيط) هذه هي في الحقيقة مصحَّفة كما يقول المحقق ، لكن ليس (الزنقير) بصحيحها وإن كان يدل على قلامة الظفر . فالكلمة الصحيحة التي وجدتُها بعد تقليب وجوه التصحيف هي (الفسيط) كأمير [وكذا الفصيط بالصاد] وهو الثُّفروق (*) ، وقلامة الظفر كما في القاموس . فالناسخ — لانزياح نقطة الفاء إلى اليسار قليلاً — توهّمها (سـ = عين وسط) والنقطة بعدها حسبها (ـنـ = نون وسط) فصارت معه (المنسنيط) بإلحاقها بنقطةٍ ثانيةٍ بعد السين . فتأملْ إلى أي مدى يبلغ المسخ في النسخ ! .

* * *

١٨٣) النَّمَش

ف ، ز . . . . . .

في الأصل . — البياض في ظهور الأظافر .

في (ق) . — نُقَط بيض وسود أو بُقَع تقع في الجلد تخالف لونه ؛ وخطوط النقوش من الوشي وغيره .

قلت : النمش ليس بخاص للبياض في الأظافر بل هو عام كما في (ق) . وما يقع في الجلد خاصةً هو (الكَلَف ، بفتحتين) بالفرنجية هو :

ف Tâches de rousseur : éphélide

ز Freckles (ephelis)

* * *

(*) قال : الثفروق كعصفور : قمع التمرة . والثفروق بالثاء كذلك ، أو ما يلتزق به قمعها . ج ثفاريق .

١٨٤) الخَلَل

ف ، ز Interdigital

في الأصل · — ما بين الأصابع .

في (ق) · — منفرج ما بين الشيئين ، ومن السحاب مخارج الماء كخلاله .

قلت : الأخص هو (الفَوْت . ج أفوات وهو الفُرْجة بين اصبعين) .

★ ★ ★

١٨٥) القَلْت

ف ، ز . . . . .

في الأصل · — النقرة في أصل الإبهام .

في (ق) · — النقرة في الجبل ، والقليل اللحم كالقَلِيت كَكَتِف .

في متن اللغة · — القلت : النقرة في الجبل تمسك الماء . ج قِلات .

[والرجل القليل اللحم وهو قَلِيت كَكَتِف ومن البدن : نقرتها . وما بين الترقوة والعنق . ومن الكف : ما بين عصبة الإبهام والسبّابة . والمطمئن في الخاصرة] (كل هذا مجازاً) ، ونقرة الترقوة . والموضع الذي يدور فيه رأس الورك المستدير كأنه جوزة (لسان العرب : ك ر م) وكل هزمة في عضو قَلْتٌ .

★ ★ ★

١٨٦) الضَّرَّة (ضرّة اليد)

ف Éminence hypothénar

ز Hypothenar eminence or prominence

في الأصل · — اللحمة التي تحت الخنصر من باطن .

في (ق) · — الضرة أصل الثدي ، واللحمة تحت الإبهام ، أو باطن الكف ، وما وقع عليه الوطء من لحم القدم مما يلي الإبهام .

في (ل) ٠ -- البَرْزة أو الناشزة التي تحدثها في باطن الكف ، ثلاثُ عضلات قصار محرِّكات الاصبع الصغيرة .

★ ★ ★

١٨٧) الأَلية (ألية اليد)

ف Eminence thénar

ز Thenar eminence or prominence

في الأصل ٠ — اللحمة التي تحت الإبهام من باطن .

في (ق) ٠ — الألية : العجيزة أو ما ركب العجُز من شحم أو لحم ج أليات وألايا ، واللحمة في ضرة الإبهام . وحماة الساق ، والمجاعة والشحمة .. الخ .

في (ل) ٠ — البرزة في ظاهر راحة الكف .

قلت : الألية — إطلاقاً — العجيزة ، وما ركب العجز من شحم أو لحم وهو الشائع الاستعمال من معانيها الكثيرة ، فالأصلح أن يقال (ألية اليد) باضافة (اليد) ، تخصيصاً وتمييزاً لما يوافق أعضاء الإنسان .

ARCHIVE http://www.al-mostafa.com

★ ★ ★

١٨٨) النّاق

ف ، ز . . . . .

في الأصل ٠ — الخط الذي بين الضرة والألية .

في (ق) ٠ — شِبْه مَشَقّ بين ضرة الإبهام وأصل ألية الخنصر مستقبَلَ بطن الساعد بازق الراحة ؛ وكل موضع مثله في بطن المرفق وفي أصل المصمص .

في متن اللغة ٠ — كما في (ق) ويزيد عنه : والناق الحزّ الذي في مؤخر حافر الفرس ج نُبُوق .

★ ★ ★

١٨٩) الأسرار

ف ، ز . . . . .

في الأصل . — خطوط في الراحة .

في (ق) . — أسرار الكف واحدها السِّر كالسِّرر والسِّرار بالكسر . جمع أسارير . والأسارير محاسن الوجه ؛ والخدان والوجنتان . [انظر الرقم ٢٩]

★ ★ ★

١٩٠) الراحة

ف Paume (f.)

ز Palm (of the hand)

في الأصل . — باطن الكف .

في (ق) . — الراح والأكف كالراحات واحدتها راحة .

في (ل) . — جوف اليد ، باطن اليد . [انظر الرقم — ١٦٨]

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ما أضفته :

١ — راحي كفّي

ف Palmaire

ز Palmar ; volar

٢ — كفي

ف Palmé

ز Palmated : webbed

٣ — تشنج الكف أو اليد

ف Palmospasme

ز Palmospasm

★ ★ ★

١٩١) البَنان

ف Doigts de la main

ن Fingers

في الأصل ٠ ـــ الأصابع كلها (الواحدة بَنانة) .

في (ق) ٠ ـــ الأصابع أو أطرافها .

في (ل) ٠ ـــ كلّ من اللواحق (أو الملحقات) المتمفصلات التي تنتهي بها اليد والرجل في الإنسان وفي الفقريات ذوات الأربع . اعتيادياً كل اصبع (أو بنانة) مؤلفة من ثلاث قصبات (انظر الرقم ١٧٦) .

ما أضفته :

مُطَرِّف

ف Manucure (= manicure)

ن Manicure

[من طرّفت المرأة بنانها : خضبته . لمن يقوم بتطريف اليد والبنان . والكلمة الفرنسية تعني الإخصائي بتطريف اليد] . ومثله من يعتني بالأقدام ويقابله بالفرنجيتين :

ف Pédicure

ن Pedicure ; chiropodist

(انظر رقم ٢٥٥ ـ القَدَم ـ ١٢ : أقدامي) .

* * *

١٩٢) البَرْك = الصَّدْر

ف Poitrine (f.) : thorax (m.)

ن Breast ; thorax ; Chest

في الأصل ٠ ـــ البرك بفتح فسكون ، صدر الإنسان (= الكَلْكَل والصدر .) ج بُروك .

في (ق) . — البرك باطن الصدر والبِرْكة ظاهره . والكلكل والكَلْكال الصدر أو ما بين الترقوتين أو باطن الزَّوْر .

في (ل) . — الصدر ، قسمٌ من الجذع بين العنق والبطن ، الذي يضم الرئتين والقلب . والزَّوْر جوف الفقاريات تحده الأضلاع والحاجز ويحتوي على الرئتين والقلب .

قلت : الزور هو بالفرنسية والإنكليزية (thorax) .

ما أضفته :

١ — صدر جُؤْجُؤي

ف Thorax en carène

ز Chiken, pigeon breast; keeled chest

٢ — صدر زَوْرَقي

ف Thorax en brèche

ز (كما في الرقم ١) .

٣ — صدر قِمْعي

ف Thorax en entonnoir

ز Funel chest; cobbler's chest

٤ — صدر كُرَوي

ف Thorax en tonneau, globuleux

ز Barrel-shaped thorax; barrel chest

٥ — صدر مَرْكَبي أو فُلْكي

ف Thorax en bateau

ز Boat-shaped, scaphoid chest

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٦ — صدري

ف Poitrinaire : thoracique

ز Consumptive; thoracic

★ ★ ★

١٩٣) البَلْدة

ف ، ز . . . . . .

في الأصل . — وسط الصدر (أو الصدر ج بلاد) .

في (ق) . — الصدر ، وراحة اليد ، ومنزل للقمر . . . . الخ .

قلت : هو الزَّور (انظر ١٩٢) .

★ ★ ★

١٩٤) البُهْرة

ف Cavité du pharynx

ز Cavity or hollow of pharynx

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في الأصل . — النقرة التي في الصدر (= من كل شيء وسطه ج بُهَر) .

قلت : استعمل المؤلف (البهرة) على المجاز للنقرة التي في الصدر .

في (ق) . — من الليل والوادي ، والفرس ، والحلقة : وسطه .

ملاحظتي . — يغلب على الظن أن يكون المقصود من نقرة الصدر (ثغرة النحر) فيوافقها ما وضعته لها بالافرنجيتين .

★ ★ ★

١٩٥) التَّرْقُوتان

ف Clavicule (f.)

ز Collar - bone: clavicle

في الأصل . — العظمان اللذان بينهما ثغرة النجر .

قلت : (النجر ، بالجيم) خطأ . والصواب (النحر) بالحاء . ونحر الصدر : أعلاه أو هو موضع القلادة .

في (ف) . — الترقوة مقدم الحلق في أعلى الصدر حيثما يترقى فيه النفس .

في (ل) . — كل من العظمين الطويلين القليلي الانحناء على شكل S المؤلفين قسماً من الزنار الكتفي ويمتدان من القص إلى اللوح (= عظم الكتف) .

★ ★ ★

١٩٦) الحاقنة

ف ، ز ....

في الأصل . — نقرة الترقوة .

في (ف) . — المعدة ؛ وما بين الترقوتين ؛ وحبلتي العاتق ؛ وما سفل من البطن .

قلت : لم أتبين ما القصد من النقرة في الترقوة ، هذه .. فالأصح أن يقال (الحاقنتان) والحدة لكل من العاتقين الأيمن والأيسر وهي : الجوف الذي يحدث إذا رفعت ذراعك إلى الأعلى وأدنيت زندك من وجهك .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

★ ★ ★

١٩٧) الترائب

ف ، ز ....

في الأصل . — عظام الصدر .

في (ف) . — عظام الصدر ، أو ما إلى الترقوتين منه أو ما بين الثديين والترقوتين ، أو أربع أضلاع من يمنـــة الصدر وأربع من يسرته ، أو موضع القلادة .

قلت : عظام الصدر هي الأضلاع . والشائع عن (الترائب) : ما بين الثديين وموضع القلادة على وجه خاص وهو النحر أو البرك على وجه عام . ويقابلها بالفرنسية Poitrine .

★ ★ ★

١٩٨) الثَّدْي

ف Mamelle (f.); glande mammaire; sein (m.)

ز Breast; mammary gland

في الأصل . — ثدي المرأة ، الذي تسقي منه اللبن .

في (ق) . — الثدي ويكسر ، والثدى كالثرى خاص بالمرأة أو عام . ويؤنث . ج أثدٍ وثُديّ كحُليّ .

في (ل) . — هو غدة مرتكزة فوق البطن من جذع اناث الثدييات ، وينهدُ في سن البلوغ ، ويفرز بعد الولادة اللبن الذي يغذي الصغار (عدده يختلف بحسب النوع) .

ما أضفته :

١ — ثَدْيي

ف Mammaire, mamellaire

ز Mammal, mammary; mammilary

٢ — الحلمي (ذو حليمات)

ف Mamelonné

ز Mamelonated; mammilated

٣ — التهاب الثدي ، ثُداء

ف Mammite; mastite

ز Mammitis; mastitis

٤ — امرأة ثدياء (عظيمة الثديين)

ف Femme à grosses mamelles; mamelue

ز Full - breasted

★ ★ ★

١٩٩) حلمة الثدي

ف Tétin; tette; mamelon

ز Teat; nipple (in animals); mamilla

في الأصل . — رأس الثدي .

قلت : هي الشَّحْمة ، والأَسْحَم (mamelon) .

في (ل) ٠ — رأس الثدي . وكلة (tette) خاصة بالحيوانات الثديية .

★ ★ ★

٢٠٠) السَّعْدانة

ف Aréole du mamelon

ا Areola mammae

في الأصل . — كالدرهم أشد حمرةً من لون الثدي .

قلت : هي (الثَّموة) كذلك وهي السواد حول حلمة الثدي .

في (ل) ٠ — تشريحياً ، هي الدائرة الملطنة التي تحيط بالثدي .

★ ★ ★

٢٠١) الثُّنْدُوة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ف Mamelle (chez l'homme)

ا Man's breast

في الأصل . — اللحمة التي حول الثدي .

في (ق) ٠ — الثندوة كسنبلة وبفتح أوله ، لحم الثدي أو أصله .

في متن اللغة ٠ الثندأة ، الثندوة (إذا ضمت الثاء همزت وإذا فتحت لم تهمز) للرجل ، كالثدي المرأة ، أو هما مترادفان أو هي مغرز الثدي أو اللحم حوله . ج ثنادٍ وثنادة .

في (ل) ٠ — في كلامه على mamelle يقول : وفي الرجل ، الجزء الذي يحاكي — ما في المرأة — ولكن بدون إفراز اللبن .

قلت : في لغتنا العربية الثندوة للرجل ، والثدي للمرأة . ولا فرق بين ما عند المرأة وما عند الرجل إلا باضافة كلة (الرجل) إلى الثدي .

وما جاء في (ق) و (ل) و (المتن) يسمح بوضع ما يقابل (الثندوة) بالفرنجيتين على نحو ما وضحته في (الرقم ٢٠١) .

* * *

٢٠٢) الأضلاع

ف Côtes (f.)

ز Ribs

في الأصل . — الأضلاع الجوانح . في الصدر ١٢ ضلعاً .

في (ق) . — الضلع كعنب وجذع ، معروف . مؤنثة . ج أضلُع وضُلوع وأضلاع .

في متن اللغة . — ضلع بفتح اللام ، بلغة الحجاز ، محنية الجنب مؤنثة وتذكر . وهي الضلْع بسكون اللام بلغة تميم . جمع أضالع .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

في (ل) ولاروس ذي المجلدين . — الضلع : قوس عظميـــة مسطحة بطول مختلف تؤلف مع العمود الفقاري زاوية حادة في الأسفل . مُجماع الأضلاع يؤلف القفص الصدري (١) . في الإنسان ١٢ زوجاً من الأضلاع تتمفصل من الخلف مع الفقار الظهرية ، ومن الأمام تستمر بغضروف ينتهي إلى القص (٢) إلا غضاريف الأضلاع ٨ – ٩ – ١٠ فهن يتحدن قبل وصولهن إلى القص . أما الضلعان ١١ – ١٢ فلا غضروف لها ورأس كل منها حر (سائب) .

١) Cage thoracique ٢) Sternum

أهم ما أضفته :

١ً — ضلع رقبية

ف Côte cervicale

ز Cervical rib

(٢) القص ، يدعى أيضاً العمود القصّي Colonne sternébrale .

٢َ — ضلع سائبة (= خلف)

ف Côte flottante
ز Floating rib

٣َ — ضلع تَرْقُوِي

ف Costo - claviculaire
ز Costoclavicular

٤َ — ضلعي جنبي

ف ، ز Costo - pleural

٥َ — ضلعي قصّي

ف ، ز Costo - sternal

٦َ — ضلعي فقري

ف ، ز Costo - vertebral

٧َ — أضلاع حقيقية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ف Vraies côtes
ز True ribs

٨َ — أضلاع قصّية

ف Côtes sternales ; vraies côtes
ز True ribs

٩َ — أضلاع لاقصّية (= خُلُوف)

ف Côtes asternales ; fausses côtes
ز False ribs

١٠َ — ضلعي

ف Costal
ز Costal ; costo -

١١ — وَرْب ، فضاء بين ضلعين

ف Intercostal ; espace intercostal
ز Intercostal ; intercostal space

★ ★ ★

٢٠٣) الشراسيف

ف ، ز Cartilages

في الأصل . — سقاط الأضلاع مما يشرف على البطن. (الواحد شُرْسُوف) .

في (ق) . — غضروف معلّق بكل ضلع ، أو سقط الضلع وهو الطرف المشرف على البطن .

ملاحظتي . — هذا التعريف ينطبق على غضاريف الأضلاع .

في لاروس ذي المجلدين . — الغضاريف نسيج أبيض مطاط يوجد في الأطراف السائبة من العظام وبتقدم العمر يتعظم أكثر الغضاريف (= يتحول إلى عظم) .

قلت : الشُرْسُوف مما خصصته لجنة المصطلحات الطبية لما يقابل épigastre (وهي الحفرة الشُرسوفية creux épigastrique) وهو القسم الفوقاني من البطن بين السُّرّة والقَص .

وبالانكليزية :

Epigastric region : epigastrium ; pit of the stomach

★ ★ ★

٢٠٤) المَسْرُبَة

ف Poil de la poitrine

ز . . . . .

في الأصل . — الشعر النابت وسط الصدر سابلاً على البطن .

في (ق) . — الشُّرْبة كالمَسْرُبَة ، الشعر وسط الصدر إلى البطن .

(يتبع) الدكتور صلاح الدين الكواكبي

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وصف الطبيعة في شعر الصنوبري

لا يحضرني الآن المكان الذي وقعتُ فيه على ذكر شهرة الصنوبري برَوْضِيّاته كشُهْرَةِ أبي نواس في خمريّاته وابن المعتزّ في تشبيهاته . على أيّ حال ، فقد كانت الجماعة تشير إليه ، كما يبدو ، من خلال قصائده في الرياض ، أو قلْ وصفه للطبيعة ومفاتنها عامةً . ولا يكتفي أبناء عصره بأن يقرنوه بالطبيعة في شعره ، بل يذهبون إلى أبعد من ذلك فيُلَقِّبُونه بلقبٍ مستمدّ من الطبيعة . بيد أن هذا لا يُضيره من قريب أو بعيد ، بل إنه ينبري يدافع عن هذه النسبة الجديدة إلى الطبيعة ويصوّر اعتزازه بها ويظهر إعجابه فيما فيقول :

وإذ عُزِينا إلى الصنوبر لم نُعْزَ إلى خامل من الخشبِ
لا بلْ إلى باسقِ الفروع علاً مناسباً في أرومة الحسبِ
فالحمد لله إن ذا لقبٌ يزيدُ في حسنه على النسبِ !

ولِمَ لا يطلق عليه اسمٌ يوحي بالطبيعة البكر وهو صاحب دعوة شعرية لها حين يقول :

وصف الرياض كفاني أن أُلِمَّ على وصف الطلول ، فهل في ذاك من باسِ

ولا يبدو الأمرُ غريباً أن يدعو شاعر إلى العزوف عن هذا الضربِ من الوصف إلى ما هو بمثابة النقيض له ، إلى وصف الرياض . لقد انتصب أبو نواس هذا المعين داعياً إلى ترك وصف الطلال والوقوف عليها وبكاء

الدِّمَن وما شاكل ، بيد أنه لم يُصَرِّح التصريح كلّه ولم يَدعُ مباشرةً إلى العناية بالطبيعة . وإنما قال بشرب الخمر المعتقة ووصفها ، وقد أغرق وأخنى . بل إنه لم يزد على ما أعلم أكثر من السخرية حين قال :

قُلْ لمن يبكي على رسم درسْ   واقفاً ، ما ضرَّ لو كان جلَسْ

وأحسب أن ذلك كان كذلك ، لأن دعوته إلى التجديد انبثقت من شعوبية دفينة ؛ لكنّا نرى عند شاعرنا الصنوبري دعوة إلى الأخذ بوصف الرياض ومحاسنها .

وتتحوّل هذه الدعوة بعد ذلك إلى عاطفة جيّاشة غيورة على الطبيعة . يقف الصنوبري موقفاً يصف الطبيعة وما فيها ، فيبذل من قلبه ومن عصبه فلذةً شعرية حتى يستخفّهُ الطربُ ، فإذا به غَيران على تلك الرياض غَيُور على هذه الروابي ، فلا يتمالك نفسه من أن يتوعّد ولو بحسرةٍ كلَّ معتدٍ أثيم يحاول أن يجترئ على هذه الجنان ، وإذا به يخرج إلى عاطفة صادقة مشبوبة فيقول :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لو كنت أملك للرياض صيانةً   يوماً ، لَمَا وطىء اللئام ترابها

* * *

فما شأن شعر شاعرٍ كهذا ؛ يُعرف بروضيّاته ، ويلقّب باسم من الطبيعة ، ويدعو لها ، ويقفُ يذبُّ عنها ؟

* * *

يلاحظ الناظر في شعر الطبيعة الذي نظمه الصنوبري والذي نُعْنى به في هذا البحث أن له قصائد ينسجُ فيها على هذا المنوال :

أرأيت أحسن من عيون النرجسِ   أم من تلاحظهنّ وسط المجلسِ ؟

... مغروروقاتٌ من ترقرق طَلِّها ترنو بعين الناظر المتفرّس
وحكى تداني بعضها من بعضها يوماً، تداني مؤنسٍ من مؤنسِ
وإذا نَعِسْتَ من المدام رأيتها ترنو إليك بأعين لم تَنْعَسِ

وأيضاً حين يتكلم على نهر حلب، قُوَيق:

وقد عابَهُ قوم وكلّهمُ له على ما تعاطوه من العيب عُشّاقُ
يهاب قويقٌ أن يُمَلّ فإنما يقيمُ زماناً ثم يمضي فنشتاقُ

وحين يقول في الربيع:

قد تجلّى الربيع في حُلَلِ الزهرِ وصاغ الحَمامُ حلي الأغاني
زُيّنت أوجه الرياض فأضحـت وهي تُزهى على وجوه الحسان
ألبستها يدُ الربيع من الأسـوان بُرداً كالأتحميّ اليماني[1]

فلو تأمّلنا هذه المقاطع من حيث الصور المتحركة لوجدنا مثلاً: صورة أعين النرجس وهي تلاحظ، أو صورة أعينها مغرورقة بالدمع من الندى، أو صورة تداني بعضها من بعض، ولوجدنا كذلك هذا النهر الذي يُكثر الهجر كيلا يُمَلّ، ولوجدنا الرياض وُجوهاً تحاسن الغانيات، أو ألفينا يدَ الربيع تُلبس هاتيك الرياض البرود اليانية الملوّنة. وظاهر للعيان أن شاعرنا في هذا يُضْفي على الجمادات أو الأشياء غير العاقلة صفات إنسانيةً، وهذا الضربُ من التصوير يعرف لدى الأكثرية بالتصوير الوجداني.

وهو شائع في شعر صاحبنا شيوعاً كثيراً. فلو تصفحتَ مجموعة شعر الصنوبري التي في ذيل البحث لَمَا رقيَ الشك إليكَ في أنّ الشاعر يتوكأ

(١) الشُّحمة شدة السواد والأُتحم: الأدهم، والأتحميّ: ضرب من البرود.

على الوجدانية في الشعر توكئؤاً كبيراً. قد يعود ذلك في المقـام الأول إلى استعداد نفسي عند الشاعر ، وقد يعود ثانياً إلى نوع من المشاركة الفعلية بينه وبين مظاهر الطبيعة حتى يُتاح له هذا التعاطف المنسجم . إذ أن المصادر تخبرنا بأنه كان شديد الشغف بالرياض يرتادها ويؤمّها ويقضي فيها الليالي متنزّهاً قاصفاً لاهيا .

ويلاحظ الناظر ثانية أن للصنوبري أشعاراً يذهبُ فيها هذا المذهب :

وحظّي من نُقْلٍ إذا ما نَعَتُّــهُ نعتٌ لعمري منه أحسن منعوتِ
من الفستق الشامي كلّ مصونة تُصانُ عن الاحداق في بطن تابوتِ
زبرجدة ملفوفة في حريرة مُضَمَّنَة درّاً مغشّى بياقوتِ

وهذا النحو :

ونرجس مُضعَف يضاعف منه الحســن في أبيض وفي أصفرْ
الدرُّ والتبرُ فيه قد خُلطا للعين والمسكُ فيه والعنبرْ

وعلى هذا النحو أيضاً وهو في وصف هرّ :

قُنفُذٌ في ازبراره وهو ذئبٌ في اغترارٍ(١) وحيّة في انسيابِ
ناصبٌ طرفه إزاء الزوايا وإزاء الســقوف والأبوابِ
ينتضي الظُفرَ حين يظفر في الحر بِ ، وإلا فظفره في قِرابِ
يسحبُ الصيدَ في أقلّ من اللمـــح ولو كان صيده في السحابِ

(١) في الروضيات للطباخ ص ٦٦ : في افتراس . (المجلة) م (٨)

فلو أمعنّا النظر في هـــذه الأمثلة السالفة وحاولنا استخراج الصور المتحرّكة منها كما فعلنا سابقاً ، لرأينا في صورة الفستق صورةً جامدةً ، ولرأينا في صورة النرجس سكوناً لا حركة فيه ، ولَلَمحنا في وصف الهرّ صوراً وتشابيه بأشياء أخرى من مرتبته ، لم ترفعه ولم تُضْفِ عليه صفةً وجدانية ، فبقي حيواناً . وهذا النوع من الوصف موضوعيّ . فالشاعر لا يُعْنَى فيه بشيء سوى التصوير الدقيق ، كأدقّ ما يمكن . بيد أنّه قليل الورود عند شاعرنا على استقلال ، ولولا اجتزاء الرواة وأصحاب كتب الشعر القدامى أبياتاً معدودات من قصائد طويلة ضاع أكثرها ، لأمكننا أن نقول بأنّ الصنوبري لم يضرب بسهمٍ كبير في هذا الموضوع وإنما جاء ضمن الاطار الوجداني كلمحة انفلاتية خاطفة من عجلة الوجدان الدائرة .

تنقسم أوصاف الصنوبري الموضوعية ثلاثة أقسام ، أوّلها الوصف البنائي وهو وصفٌ يبني به الشاعر الموصوف بناءً ، قيئداً بأجزاء الموصوف يركّبها تركيباً ويؤالف ما بين هذه التراكيب . ففي مقطوعته في وصف الفستق الآنفة الذكر ، يراه يبدأ بالّلب ثم بما يحيطه ثم بما يحيط المحيط حتى يجتمع لديه بعد هذا التركيب فستقة شامية . وهذا النوع من الوصف على طرافته ورقّته وصفٌ جدّي . فالشاعر يُعيد خلق ما يصوّره . كأنما يبدع هذا الشيء مجدّداً تاركاً ما يكره منه مضيفاً إليه ما يرغب فيه محسّناً مجمّلاً . من أوصاف البناء أو التركيب وصفه للباقلاء :

فصوص زمرّد في غُلْفِ درّ ... بأقمــاع حكت تقليم ظُفْرِ
وقد خاط الربيع لها ثياباً ... لها وجهان من خُضْرٍ وصُفْرِ [1]

(١) وفي رواية : بديع اللون من خضر وصفر .

وتوفيق الشاعر في هـــذا الوصف متوقفٌ على الموصوف وتركيبه الطبيعيّ ، فهو إمّا متناسقٌ متراكم وإمّا منبسط متوازن . والشاعر يأخذ من كليهما بما يريد، فيصف التفاحة مثلاً منبسطة متوازنة كما يصف الترجسة .ويصف الشقيقة ساعة منبسطة وساعة متراكمة . فمن وصف الشقيق المتراكم التركيب :

جُمَمٌ سُرِّحت بلا مُشُطٍ أو ... طُرَرٌ قُصِّصت بلا مقراضِ
حمرةٌ فوق خُضْرَةٍ وسوادٌ ... بين هـــذين معلمٌ ببياضِ

فلو وضعنا إزاءه وصف النيلوفر :

كدبابيس[1] عسجد ... نصفها من زبرجدِ

لاتضح لنا معنى المنبسط المتراكم إذ أن الثاني منه .

ونستطيع أن نجعل ثاني أقســام الوصف الموضوعي عند الصنوبريّ الوصف التحليلي : أي تحليل الموصوف بدل تركيبه . وهذا الوصف له زعيم — هو ابن الرومي — لا بدّ وأن الصنوبري قد تأثر به . فمن أوصاف الصنوبريّ التحليلية وصف النرجس ، وما أكثر ما وصفه :

دررٌ تشقق عن يواقيتٍ على ... قُضُبِ الزبرجد فوق بُسْطِ السندسِ
أجفان ياقوتٍ خفقن بأعينٍ ... من زعفران ناعمات المَلْمَسِ
وكأنها أقمار ليلٍ أحدقت ... بشموس أُفقٍ فوق غصنٍ أملسِ

كذلك وصفه للسوسن وهو وصف تحليليّ كما يُلاحظ :

كأنه ملاعقٌ من فضـــة[2] ... قد خُطّ فيهـا نقط العنبر[3]

---

(١) في الروضيات للطباخ ص ٢٢ : كدنانير . (المجلة)
(٢) وفي رواية : من ذهبٍ .
(٣) نرى أن يكون الشطر الثاني هكذا : قد خط فيها نقطٌ من عنبر . ليستقيم البيت بشطريه .

كذلك وصف الأقحوان الأصفر (البهار) والشقيق وغيرها مما يجده القاريء في ذيل هذا البحث .

وأما القسم الثالث من وصف الصنوبري الموضوعي فهو الوصف العام الذي يباشره من أيّ جهة أو صوب تاركاً التحليل والتركيب آخذاً الموصوف كما يراه من الخارج ، كأن يصف روضةً مثلاً فيذكر غدرانها ومياهها وزهرها وشجرها ، دون أن يبين أنها يحيط بالآخر أو أنها فوق الثاني أو تحته . وأوصاف الصنوبري في هذا الباب كثيرة ، وأكثر ما تردُ خلال وصفه الوجداني المشار إليه آنفاً . وكأني به عندما لا يقدر أن يحيط بالموصوف وجدانياً ينفلت إلى مثل هذا النوع وهو وفي هذا الوصف إمّا أن يشبّه الموصوف بشيء آخر ، أو يصف حركته وهيئته ، أو يصفه في حالٍ من أحواله .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

* * *

ولا يتبادرنّ إلى الأذهان أن هذه التقاسيم مستقلةٌ قائمة بذاتها وأن الحدود بينها فاصلة قاطعة كأنها حدود رياضيّة ؛ كلاّ بل إن هنالك خاصيّة التمازج والتداخل . وقلّما تجد هذا الفصل القاطع وحيداً في غير المقاطع الصغيرة والتي أشرنا إلى اجتزاء الرواة والمؤلفين لها من قصائد طويلة ضاعت . ومن الخطل أن يزعم أحدٌ غير هذا لأن هذه التقسيمات إنمّا هي نظرية بحت ، مستمدّة من الشعر الذي بين أيدينا ، فمنها ما نجد له الشاهد أو الشاهدين ، فلم نستبعده وإنما أبقيناه لمنطقية السياق ، ولمحاولة الإلمام بكلّ جوانب الموضوع . وأنا لعلى يقين أن ديوانه يحوي العديد من الشواهد .

* * *

من قبيل ترتيب شعر الصنوبري في أبواب موضوعية نتوقف على ستة حقول موضوعية رئيسية . فسيساعدنا هذا على تحليل بعض النماذج من شعره والتكلم على بعض مزاياه .

* * *

أول هذه الحقول ، شعره في الرياض الطبيعية والصناعية . فعندما يتكلم الصنوبري على الرياض الطبيعية يكون شبح الربيع بادياً بجلاء . فكأن الربيع فنان همه الأول تزيين الأرض وإنبات النبت والزهر وإحياء أعراس الطبيعة . والربيع ليس كباقي فصول السنة ، فاختلافه عنها شديد وبيّن . هذه فكرة الصنوبري عن الربيع . تبرز هذه النزعة جليّة واضحة في مطلع قصيدة رائعة ، يعرض في الأبيات الثلاثة الأولى حال الجو والأرض في فصول السنة الثلاثة ما عدا الربيع . وأما الفصل الأخير ، فنظر الشاعر ، هو الحياة بأجمعها ، بل هو « الدهر » :

إن كان في الصيف ريحان وفاكهة ... فالأرض مستوقد والجوّ تنّورُ
وإن يكن في الخريف النخل مخترفاً ... فالأرض محسورة والجوّ مأسورُ
وإن يكن في الشتاء الغيث متّصلاً ... فالأرض عريانة والجوّ مقرورُ
ما الدهرُ إلّا الربيع المستنير ، إذا ... جاء الربيع أتاك النَّوْرُ والنُّورُ
فالأرض ياقوتةٌ والجوّ لؤلؤةٌ ... والنبتُ فيروزج والماء بَلّورُ

لو تفحصنا الأبيات الثلاثة الأولى ورأينا وجه التشابه والتركيب فيها ورأينا ما يريد الشاعر أن يشير إليه ، وهو شرط وجود شيء مستحسن في كل فصل يتنسخه عن الروعة والكمال شيئان وهما حال الأرض وحال الجو

آنئذ ، اتّضح لنا أنّ الربيع عند الصنوبري فصلُ الروعة والكمال . حتّى إن العطاء الشعري لدى الشاعر حين تكلّم على الربيع ازدان بالبديع المجوّد ، وارتفعت المعاني الشعرية فجأة ؛ فاذا الربيع إنسان يأتي ويروح ونأتي في ركابه الأفراح والبهجة متمثّلةً بالنور والزهر ، وتروح في إثره مخلّفةً الحرّ والقرّ . ويُلاحظ أيضاً الترتيب الطبيعيّ لسياق الفصول : إذ يبدأ بالصيف فالخريف فالشتاء ، ثم الربيع . وقبل أن ينتقل إلى وصف الربيع يُجمِلُ ذلك كلّه في البيت الأخير مستعيراً الألوان من ألوان الجواهر .

وليست مظاهر الربيع تأتي معه من تلقاء نفسها عند شاعرنا ، بل الربيع نفسه هو الذي يُعْمِل يده في إخراج هذه المباهج والمفاتن :

يا ريم قُومي الآنَ ويحكِ فانظري ما للربى قد أظهرت إعجابها
كانت محاسن وجهها مستورة فالآن قد كشف الربيع حجابها

وتتجلّى هذه الدعوة على أشدّها في هذا البيت :

إنّ آذار لم يذر تحت بطن الأر ض شيئاً أكنّـه كانون

وعلى توفّق الشاعر في الجناس هنا ، نرى صورة مستطرفة رائقة : كأنّ الشتاء (متمثلاً بشهر كانون) والربيع (متمثلاً بشهر آذار) جاهدان على تعطيل الواحد عمل الآخر : وشتّان ما بين عمل الشتاء والربيع .

أما البساتين التي جالت بها يدُ الإنسان لتزيد في حسنها ، فلا يختلف وصف الصنوبري لها عن وصفه للمرابع الأخرى ؛ غير أننا نرى ازدياد عدد الأشياء المذكورة وتعدّد المسمّيات . ويرافق هذا الوصف عادةً ثلاثة معان

تتردد دائماً . فالمعنى الأول فكرة الحب والحنين إلى هذه المآلف والشوق إليها ووجود هذا يستتبع وجود الثانية وهي فكرة وصل الرياض ، والمعنى ههنا أمُّ الرياض . أما المعنى الثالث ففكرة تعاطي الخمر والقصف . والأبيات التالية المقتطفة من قصيدة طويلة تمثّل ما ذهبنا إليه أصدق تمثيل :

أما الرياض فقد بدت ألوانها   صاغت فنونَ حُلِيِّها ألوانُها
رقّت معانيها ورقّ نسيمها   وبدت محاسنها وطاب زمانها
واهاً (لرافقةِ) الجنوب محلّةً   حفّت بها أنهارها وجنانها
وكأنّ أيام الصِّبا أيامها   وكأنّ أزمان الهوى أزمانُها
حُثّ الكؤوس فإنّ هذا وقتها   وصلِ الرياضَ فإنّ ذا إبّانها

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

* * *

والأمر الرئيسيّ الثاني الذي سنقف عنده هو وصف الأزهار والرياحين . وقد ضرب الصنوبري بسهم كبير في هذا الباب ، ولم نعدم كلّ قصيدة تقريباً في موضوع الطبيعة عامةً وصفاً أو ذكراً لزهر ، أو ريحان ، . على أنّ هناك أنواعاً من الزهر أولاها عناية خاصةً : منها النرجس . والمعاني التي وردت عنده في ذكر النرجس تتردّد ما بين الوجدانية والموضوعية . وقد أجاد الصنوبري في كلا النوعين . والمعاني الشائعة عنده تشبيهها بالعيون وما يدخل في هذا الباب من تلاحظ ورنوّ ونظر ، ومن جفن وحدقة ودمع وما إلى ذلك . بيد أنّ ألطف ما توصّل إليه في هذا المعنى :

وردٌ بدا يحكي الخدود ونرجسٌ   يحكي العيون إذا رأت أحبابها !

فقد مزج ما بين التشبيه والتصرّف . فالنرجسة كالعين حال رؤية الحبيب ، حين تلتمع بالبهجة وتطرق خجلاً واستحياء . وهذا البيت إذا أمعنّا النظر فيه نرى أن الجملة الظرفية الأخيرة ، « إذا رأت أحبابها » يمكن أن تنطبق على العيون والخدود ، أي النرجس والورد ، وما يرافقها من إطراق وتورّد ، ولا أزيد قائلاً : إنه بيت رائع .

ومن وصفه النرجس بيتان رائعان أيضاً غاية في التشبيه . ولا بأس في إيرادها بالحرف :

كأنما النرجس في روضه إذا ثنته الريح عن قُرْبِ

أقداح ياقوت تعاطيكها أناملٌ من لؤلؤ رَطْبِ

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

فهذه الكأس الصفراء ، وربما كانت هنالك يواقيت صفر ، تخيّل الشاعر أناملَ مطبقةً عليها بيضاء من غير سوء ، فيها رقة اللؤلؤ وصفاؤه ، ومن لا يستطيع أن يرى نرجسةً أمام ناظريه بعد قراءة هذين البيتين ، لايستطيع أن يرى شيئاً .

وتكتمل هذه الصورة الرائعة لشاعرنا في حبّه للنرجس حين يفضله على الورد ، سلطان الأزهار ، ويقيم مساجلةً بينهما ينتصر فيها الوردُ بحجّة دامغة على النرجس استقاها من حسن الأخير . وما ذنب هذا الزهر البديع أن يلام إذا كانت عيونه مريضة ، أو ليست العيون التي في طرفها مرضٌ قتلنُ ذا اللب حتى لا حراك به ؟ وتتفاقم الحال وتتأزّم ؟ وإذا الروس ينقلب إلى « ديوان سلطانيّ » وإذا بالنرجس يتغلّب على الورد مرّةً ثانية في الحسن حتى يخجله :

خجل الورد حين لاحظه النر جس من حسنه وغار البهار

لاحظ ههنا إيحاآت الأفعال (خجل وغار) باللون . فالخجل يولّد الاحمرار وهو لون الورد . والغيرة تولّد الصفرة وهي لون البَهار ، أي الاقحوان الأصفر .

وهل خجل الورد وحده من النرجس ؟ كلاّ ، لقد انقلب الروض بزهره إلى شعب يجلّ أميره ويودّ لو بفتك بهذا النرجس . وتتوافق الأزهار كأنها وتستجيش على محاربة النرجس الغضّ وتأتي دارعةً سائقةً بجحفلٍ جرّار يثير الغبار . بيد أن الشاعر يتدخّل ليحل الأزمة إشفاقاً على الزهرة المستضعفة المطّهدة ... وينجح في سعيه ، ويعود السعد يكسو الروض ثانيةً .

مع أن هذه المعارك والمفاضلات بين الزهر قد طُرِقت من قبل ، وكان أوّل من عمل في ذلك ابن الرومي ، فإنّ الذي يدفع الصنوبري صعداً في هذا الحقل ويشفع له ، إحسانه التعبير وتوفيقه في النظم . وهذا الضربُ من النظم منتهى التشخيص وغايته . ولا أظنّ أن الوجدانية تتعدّى ذلك . فالتشخيص ههنا تعدى مرحلة إضفاء صفات إنسانية على الزهرة ، بل غدا هذا ثانوياً . انقلب الأمر إلى سلطان ورعيّة يأمرها فتطيعه ، وإلى مساجلات ومعارك وإشفاق ووساطات تؤدي إلى الصلح .

من المستحسن ههنا أن نُرجع إلى القصيدتين في هذه النزعة حيث توجدان في ذيل هذا البحث ، اقتصاداً للمقالة هذه ، إذ أن اجتزاء أبيات قليلة منها هنا للتمثيل يُعدُّ جناية في حقها .

ومن الأزهار التي كثر قول الصنوبري فيها الشقيق . وإذا كانت قصيدته النرجس التي مطلعها « أرأيت أحسن من عيون النرجس » تُعَدُّ القصيدة الأم في وصف النرجس وما سواها يتفرّع عنها في المعاني والصور ، فإنّ قصيدته في الشقيق التي مطلعها « وجوه شقائق تبدو وتخفى » تُعَدُّ القصيدة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الأم في هذا الموضوع وسواها تفرّع عن معانيها. وتتجلّى النزعة الإنسانية الوجدانية فيها على أشدّها حين يقول :

إذا طلعت أرتك السرجَ تذكى وإن غربت أرتك السرج تطفا

ومن بليغ تشابيه في الشقيق بيتان قصيرا البحر سريعا الوزن ، ينقلان الفكرة إلى القارىء بعنف وسرعة :

وكأنّ محمرّ الشقيـــــق إذا تصوّب أو تصعّدْ
أعلام ياقوتٍ نشر ن على رماحٍ من زبرجدْ

والسريّ الرفّاء ، معاصر الصنوبري ، بيتان في وصف الشقيق بها نفس السرعة في الأداء على أن المعنى يشبه معنى الصنوبري في وصف النرجس بالقدح كما مرّ معنا :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وشقيق جـاده الغيـــــث رواحاً وابتكارا
مثلما أترع ساقي الرا ح أقداحاً صغارا

وكلا المعنيين بليغ التشبيه .

والورد لايقف عند حدّه مرّة ثانية بل يظهر غيرته من الشقيق أيضاً ويشق عليه أن يكتفي بالحمرة المحبّبة كحمرة الخدود أكثر منه :

شقيقة شقّ على الورد ما قد أخذت من كثرة الصبغ
كأنّما في حسنها وجْنَةٌ يلوح فيها طرف الصدغ

هذا مع أن الشقيق قد لطم خدّه انتصاراً للورد في المعركة السالفة الذكر :

عندها أبرز الشقيق خدوداً صار فيها من لطمه آثارْ

على أنَّ المكانة الأولى تبوّأها النرجس مستأثراً بشغف الشاعر نائلاً منه اهتماماً أزيد ، والتفاتاً أكثر . ويتفرّع اهتمام الشاعر في الأزهار الباقية . إمّا ذكراً وحسب ، وإمّا وصفاً موجزاً مقتضباً .

ويدخل في هذا الباب أيضاً وصف الخضار والفواكه . بيد أن الصنوبري لم يضرب بسهم كبير في هذا الموضوع حسب النماذج التي عثرنا عليها . كما أنه لم يُعْنَ بوصف الأشجار عنايته بوصف الأزهار . ولعلّ ذلك عائد إلى طبيعة النوعين لما في الزهر من شؤون تثير الحواس، فتبعث على الاهتمام أكثر من سواها . ففي الزهر اللون والرائحة والدقة واللطف ولكنّ أطرف معنىً ورد عنده في وصف الشجر جاء في قصيدته التي مطلعها « يا ريمُ قومي الآن ويحك فانظري » وهي قصيدة من عيون شعره . قال فيها يصف السرو :

والسرو تحسبه العيون غوانياً قد شمّرت عن سوقها أثوابها

وكأنّ إحداهنّ من نفح الصبا خود تلاعب موهناً أترابها

* * *

ويجدر بنا الإشارة هنا إلى ظاهرة بارزة تستوقف النظر . فقد رأينا في وصف الصنوبري للزهر ضروباً كثيرة من التشبيه وذكر الألوان وما إلى ذلك ، بيد أننا لم نقع على ذكر لرائحة الزهر بحيث نجعلها من موضوعات شعره ، وهذا غريب عجيب منه ، لم يصرّح ولم يلتفت إلى الروائح التفاته وتصريحه بالألوان والأشكال الزهرية والشجرية والخضرية . فهل هنالك سبب مباشر أو غير مباشر لهذه الظاهرة ؟

* * *

وما دمنا في حديث الأزهار والأشجار ، ننتقل إلى الحقل الثالث ، إلى شيء يتّصل بالأشجار اتصالاً وثيقاً ، ألا وهو الطير . ولقلّة ورود

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الأطيار نسبياً أحببنا أن ندرج معه كذلك ذكر الحيوان على اختلاف نوعه وجنسه . فيدخل في هذا المقام قصيدته في وصف الهرّ ، وقصيدته الأخرى في وصف الديك والتي هي من فرائد شعره .

نلاحظ من المواقف التي ورد بهـــا ذكر الطير أن ما يفتنه منه هو تغريده . وهذا التغريد يضفي على الرياض روعة وجمالاً في عُرْف شاعرنا ويأتي ليزيد في حسنها . وإذا ما أشرقت الرياض بزهر الخيريّ والنسرين وحفّ بالبستان مُسْتَكْمَل اللون وأصفاه :

صاح فيه الهزار ، ناح به القمري ، غنّى في جوّه الشفنين[1]

وأمّا أنتَ أيها الآمّ الرياضَ فـ :

حيث التفتَّ فقمريٌ وفاختةٌ يغنيـــان وشفنين وزرزورُ

إذا الهزارانِ فيه صوّتا فهُما بحُسنِ صوتِهما عودٌ وطنبورُ

وعلى الكمال بآلات الطرب وحدها ، أفلا يزيد التلحين غناء وما فائدة العود والطنبور مغرّدين ؛ لذلك :

غنّى عليها (الخازباز)[2] تطرّباً فِعْلَ القيان تجاوبت ألحانُها

فأيّ روعة تفوق هذا[3] وأيّ جنّةٍ تفوق هذا :

ما أتى الناسَ مثلُ ذا العام عامٌ لا ولا جاء مثلُ ذا الحين حينُ

ويفتُنُ شاعرنا لون الطير كذلك . وما أشدّ افتنان صاحبنا بالألوان . فالورشان طائر إذا غنّى جعل نزهتك في الرياض نزهتين : أسمعك ما تشاء

http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(١) الشفنين : نوع من الحمام أو هو : اليمام وجمعه : شفانين .

(٢) الخازباز [بكسر الجزءين] وهو الذباب البرّي يكون في الأرض أو يطير على الشجر ، قال المتنبي : ومن الناس من يجوز عليه شعراءُ كأنها الخازباز (المجلة)

(٣) قال ابن الرومي :

فـكانت أراغين الذباب هنـاكم على هوات الطير ضرباً موقعا

وما لا تشاء ، أضف إلى ذلك ارتداءه برداءة من السوسن ، و :

قد تغشّى لونَ السماءِ قَراهُ[1] وتراءى من جيـــده الفرقدانِ

ولا نزال نقع للصنوبري هنا وهناك على ذكر لطير أو حيوان . على أن أروع ما جادت به قريحته هو وصف الديك ، ومن الأفضل الرجوع إلى القصيدة كاملةً في الذيل .

أول ما يدهشنا به الشاعر في القصيدة ذلك الحِسّ الوجداني الخالص الذي يجعل من الديك منادياً للفجر كأنه بندائه يُبْزِغُه :

مغرّد الليل لا يألوك تغريدا ملّ الكرى فهو يدعو الصبح مجهودا

أرأيتَ أرقّ من هـــذه الـ« ملّ الكرى » ؟ ثم أرأيت أرقّ من ديك يضجر من النوم فيجهد بنادي الصبح . انّه لمرّد يثيرك إشفاقاً على نفسه . كفى مجوعاً ، يقول الديك لنفسه أين الصبح ، يريد متأففاً ويَبْزُغُ الفجر فيطرب الديك ، ويهز أعطافه ويمدّ جيده كي يطيل مدّ صوته ... وتتمكّنه البهجة بالصبح حتى يبدو :

كلابسٍ مِطرفاً مُرْخٍ ذوائبه تضاحك البيضُ من أطرافه السودا

وهو ديك كأنه من ملوك الديكة ، له قلادة حمراء يقصّر الورد عنها حمرةً ، وعيناء ترى ما ليس يحدّ ، وله تاجٌ كأنه تاج كسرى ، وكأنّ خنْفُريْه اللذين في عقب رجليه ، بعد ذكر التيجان والملوك ، أوحيا لشاعرنا معنىً يرافق ذلك ، فقال :

أو فارسٍ شدّ مهمازيه حين رأى لواء قائده في الحرب معقودا

* * *

(يتبع) فواز أحمد طوقان

(١) القرا : الظهر .

مجتمع الهمذاني

من خلال مقاماته

بحث يحلل المقامات ويستشف من ورائها صورة المجتمع الذي أنشئت فيه

— ٣ —

أخبار المجون في التاريخ :

كان المجون يعيش إلى جانب الورع والزهد في مجتمع واحد ، وقد رأينا أن لا عجب في ذلك ، وأنه تناقض معقول ؛ إن الزهد إلى جانب المجون لا يعني أكثر من أن قوماً متدينين رأوا طغيان الماجنين وتجاوزهم حدود العقل أو الطبع ، فخافوا على أنفسهم فتنة الغي وفرّوا بدينهم إلى الله إنقاذاً لنفوسهم ، وتحريراً لها من عبودية الشهوة والمتعة .

وليست أخبار المجون في كتب التاريخ بسرّ مصون ولا حديث مكتوم ، بل لقد وجدت هذه الأخبار خاصة من يبحث عنها ويُعنى بنشرها على الناس ، إنها وجدت في عصرنا هذا من يختار أمثلة منها ، وينفخ فيها من خياله ، تهويلاً وتضخيماً ، وينشرها في كل مناسبة ، بغية التشويه لقداسة أيام ماضية ، أو بغية الإفساد لحاضر يغريه بالتقليد ، أو يغويه بالمثل السيّء . وأي تشويه أو إفساد هذا الذي بلغ من نفوس أبناء الجيل « الصاعد » أنه إذا أراد أحدهم أن يتخذ مثلاً لخلاعة ملك ماجن ، أو فجور ثري مستهتر ، اتخذه من أكرم شخصيات تاريخنا ، فمثّل بالخليفة هارون الرشيد ، مغفلاً ما قاله عنه التاريخ من أنه كان يحجّ سنة ويغزو أخرى ، وأنه كثيراً ما كان يبكي بين أيدي الوعّاظ والناصحين .

لقد غلب على عقول الجيل مانفثته الشياطين ، وما زينته النفوس المغرضة حتى انمحت الأمثولة الصالحة والقدوة الحسنة . وأي فجيعة أبلغ من فجيعة الأمة بتاريخها ؛ حين يفتح أبناؤها عيونهم فإذا الذي كان من أبطال الجهاد والتشّق مثَل للخلاعة والاستهتار والفجور ؟

نعم إنه يجب أن نعرف خطأ الحاكم وانحراف الراعي ، ليؤتي تدريس التاريخ أكُلَه ويحقق غايته ؛ لنعرف ماوقع السلف فيه من الخطأ فنجتنبه ، ونرى الباب الذي تسرّب منه الانحراف فنسدّه ، ولكنه شتان ما بين الذي ينشر أمام أجيالنا صفحات المجد الماضي لتكون لهم في أبطالها أسوة ، أو ينشر أمثلة من أخطاء الحكام وسوء تصرّفهم ، إنْ في السياسة أو في الحرب أو في الأخلاق ، ليبصّر بنتائج ذلك وما كان له من آثار في حياة دولهم وشعوبهم ، وبين من ينشر الماضي فلا يقف إلا على المخازي والآثام .

ونعود إلى أهل القرن الرابع لنقول إنهم عرفوا اللهو والمجون ، وكانت لهم حلقات يجتمعون فيها على الغناء والوتر والشراب والسمر ، وأن ذلك كان معروفاً بينهم ، وحسبك أن ترى مثالاً من حياة الترف والتبذير في أخبار المقتدر (ت ٣٢٠ هـ) وأخبار الوزير المهلبي (ت ٣٥٢ هـ) (١) ، وأن تسمع إلى عضد الدولة ينشد :

ليس شرب الكأس إلا في المطر   وغناء من جوارٍ في السحر
غانيــات ســالبات للنُّهى   ناغمــات في تضاعيف الوتر
مبرزات الكأس من مطلعها   ساقيات الراح من فاق البشر

على أنه ليس من غرضنا في هذا المقام أن نتعرض ما جاء عن مجالس اللهو والطرب في قصور الأمراء ومجالس الأغنياء ، ولكن الذي نحب أن ننبه عليه هو أن بديع الزمان الهمذاني قدّم لنا في مقاماته ما يشبه أن

(١) انظر يتيمة الدهر ٢ : ١٠٦ .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

يكون صورة لهذا الجانب الثابت من الحياة ، وهو لم يقصر حديثه على طبقة الأمراء والأغنياء ، وإنما تعدّى هؤلاء ، كما تعدّاهم في سائر أحاديثه — إلى طبقات أخرى من أهل مجتمعه ؛ لقد حدّثنا الهمذاني عن شباب القوم ومجالس لهوهم وعبثهم ، كما حدثنا عن الوعّاظ وما كان في وعظهم من نصح وإرشاد وحثّ على الزهد ... بل وما كان في أحاديث بعضهم أيضاً من مداهنة واحتيال وخداع .

وقد كثر الوعظ في المقامات ، وكثر اتخاذه وسيلة للكدية أو الخداع حتى أصبحنا نعجب إذا رأينا في مقامة من المقامات وعظاً صادقاً ليس للمقامة غرض آخر سواه ، على غير ما تعوّدنا في جميع المقامات . وذلك هو الوعظ الذي نسمعه في المقامة الأهوازية حيث نفاجأ بجواب الواعظ للذين سألوه في آخر وعظه : ما حاجتك ؟ فقال : « أطول من أن تُحدّ وأكثر من أن تُعدّ . قلنا : سانح الوقت . قال : ردّ فائت العمر ، ودفع نازل الأمر . قلنا : ليس ذلك إلينا ، ولكن ما شئت من متاع الدنيا وزخرفها . قال : لا حاجة لي فيها وإنما حاجتي بعد هذا أن تَخِدُوا(١) أكثر من تعْدُوا(٢) . »

إنها فلتة من أبي الفتح الإسكندري الواعظ ، وإن لم تكن غريبة عن المجتمع الذي يصوره أدب الهمذاني .

المجون في المقامات : وكما حدثنا بديع الزمان عن الجانب الزاهد في المجتمع ، كذلك حدثنا عن الجانب الآخر ، جانب اللهو والمجون ، ولم يُغفل تصوير الحياة العابثة اللاهية ، بل أخذ بأيدينا إلى بعض مجالس القوم ، وأطلعنا على ما يدور فيها من أسباب اللهو والمتعة ، وهو لا يقف بنا وقفة التاريخ أمام أبواب الخلفاء ، وقصور الأمراء ، أو يمرّ ببعض هذه الأخبار

(١) الوخد : ضرب من السير السريع .
(٢) المقامة الأهوازية : ٦٣ .

مرور المؤرخ يشير ويلمح ، ولكنه يفصّل ويصرّح ، بل يلج بنا مجالس القوم وحاناتهم ، ويرفع لنا الستار عن اجتماعهم على الخمرة والوتر .

قال عيسى بن هشام : « جعلت النهار للناس والليل للكاس ، واجتمع إلي في بعض لياليّ إخوان الخلوة ، ذوو المعاني الحلوة ، فما زلنا نتعاطى نجوم الأقداح ، حتى نفد ما معنا من الراح ، واجتمع رأي النُدمان على فصد الدنان فأسلنا نفسها وبقيت كالصدف بلا درّ أو المصر بلا حرّ ، ولما مسّتنا حالنا تلك دعتنا دواعي الشطارة إلى حان الخمّارة والليل أخضر الديباج مغتلم الأمواج (١) . »

وهو لا يكتفي بأن يجمعنا إلى « إخوان الخلوة » وأن يشير إلى قصدهم حان الخمّارة وإنما يمضي بنا ـ لنرى كيف انقضت تلك الليلة ـ فيقول : « ولما حشرج النهار أو كاد ، نظرنا فاذا برايات الحانات أمثال النجوم في الليل البهيم ، فتهادينا بها السرّاء وتباشرنا بليلة غرّاء ، ووصلنا إلى أفخمها بابا ، وأضخمها كلابا ، وقد جعلنا الدينار إماما ، والاستهتار لزاما ، فدفعنا إلى ذات شكل ودلّ ووشاح منحلّ ، إذا قتلت ألحاظها أحيت ألفاظها ، فأحسنت تلقّينا وأسرعت تقبّل رؤوسنا وأيدينا ، وأسرع من معها من العلوج إلى حطّ الرحال والسروج وسألناها عن خمرها فقالت :

خمر كريقي في العذوبــــة والــلذاذة والحـلاوة
تذر الحليمَ وما عليــــه لحلمه أدنى طلاوة

كأنما اعتصرها من خدّي أجداد جدّي ، وسربلوها من القار بمثل هجري وصدّي ، وديعة الدهور وخبيئة جيب السرور ، وما زالت تتوارثها الأخيار ويأخذ منها الليل والنهار ، حتى لم يبق إلا أرج وشعاع ووهج لذّاع ، ريحانة النفس وضرّة الشمس . فتاة البرق عجوز الملق ، كاللهب

(١) المقامة الخمرية : ٢٤٤ واغتلم : هاج .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في العروق، وكبرد النسيم في الحلوق، وصباح الفكر وترياق سمّ الدهر، بمثلها عزّر الميت فانتشر، ودووي الأكمه فأبصر.

قلنا: هذه الضالّة وأبيك. فمن الطرب في ناديك؟ ولعلها تشعشع للشّرب بريقك العذب! قال: إن لي شيخاً ظريف الطبع طريف المجون، مرّ بي يوم الأحد في دير المِربَد فسارّني حتى سرّني، فوقفت الخلطة وتكررت الغبطة ... وسيكون لكم به أنس وعليه حرص[(١)] ..».

فأي شيء فاتنا بعد هذا الوصف من مجالس الخمرة؟ لقد رأينا الحانة ودخلناها وعرفنا بابها وكلبها ومستخدميها من العلوج، ورأينا صاحبتها ذات الشكل والدلّ والوشاح المنحلّ ... وتخيّلنا خمرتها وعتقها ولونها، وعرفنا مؤنس الندمان ومطربهم ...

بل إن الهمذاني استطاع في المقامة أن يصوّر لنا الجانبين جميعاً؛ وذلك حين رسم صورة الشباب المتكبين على الخمرة، وصورة الأتقياء المحافظين على الصلاة في مساجدهم، وجعل المصلّين يتألبون على المخمورين بعد أن فاحت منهم ريح الخمرة في المسجد، قال ابن هشام: «... واجتمع إليّ في بعض ليالي إخوان الخلوة ذوو المعاني الحلوة، فما زلنا نتعاطى نجوم الأقداح حتى نفد ما معنا من الراح، واجتمع رأي الندمان على قصد الدنان فأسلنا نفسها وبقيت كالصدف بلا درّ أو المصر بلا حرّ، ولما مسّتنا حالنا تلك دعتنا دواعي الشطارة إلى حان الخمّارة، والليل أخضر الديباج مغتلم الأمواج. فلما أخذنا في السُّبْح ثوّب منادي الصبح، فخنس شيطان الصبوة وتبادرنا إلى الدعوة، وقمنا وراء الإمام قيام البررة الكرام، بوقار وسكينة وحركات موزونة، فلكل بضاعة وقت ولكل صناعة سمت، وإمامنا يجدّ في خفضه

(١) المقامة الخمرية: ٢٤٧.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ورفعه ، ويدعونا بإطالته إلى صفعه ، حتى إذا راجع بصيرته ورفع بالسلام عقيرته ، تربّع في ركن محرابه وأقبل بوجهه على أصحابه ، وجمل بطيل إطراقه ويديم استنشاقه ، ثم قال : أيها الناس ، من خلط في سيرته وابتُلي بقاذورته ، فليسمه دِيماسه (١) دون أن تنجسّنا أنفاسه ، وإني لأجد منذ اليوم ريح أم الكبائر من بعض القوم ، فما جزاء من بات صريع الطاغوت ثم ابتكر إلى هـذه البيوت التي أذن الله أن ترفع وبدابر هؤلاء أن يقطع ، وأشار إلينا فتألّبت الجماعة علينا حتى مزّقت الأردية ودميت الأقفية ، وحتى أقسمنا لاعدنا وأفلتنا من بينهم وما كدنا (٢) » .

فجمع الهمذاني في هذه المقامة بين أهل المسجد وأهل الحانة ، وبين من في المحراب يركع ويسجد ومن مع الدنّ يقوم ويقعد ، فكان منصفاً لهؤلاء وأولئك جميعاً ، وأعطى كلاً منهم حقه من الوصف ، فكانت مقامته ممثلة لطائفتين في مجتمعه ، وهما طائفتان ما زالتا موجودتين إلى اليوم جنباً إلى جنب في كل مجتمع . وكانت أخبار الهمذاني عن الوعظ والزهد واللهو والمجون لاتقلّ وضوحاً عن أخبار التاريخ إن لم تكن أكثر تفصيلاً وتصويراً في بعض الأحيان .

عقليّة العامة : أما عقلية القوم في القرن الرابع فقد حدثنا عنها التاريخ بما يرفع رأس أمتهم فخراً واعتزازاً ؛ كانت عقلية جبّارة نشيطة مبدعة خاضت كل علم ، وألّفت في كل فنّ ، واستوعبت ما ورد إليها من قرائح العقليات الغريبة عنها كالفارسية واليونانية والهندية ... وحسبنا أن نتذكر أعلام الفكر الإسلامي في القرن الرابع لنعلم مدى ماوصلت إليه تلك العقلية من نضج ورقيّ . ولكن هل القوم كلهم علماء ؟ وهل القوم كلهم ذوو عقليات

(١) الديماس : الكن ، ويعني به البيت .
(٢) المقامة الخمرية : ٢٤٥ .

راقية تسبر الأغوار ؟ لا بدَّ من ترك العلماء جانباً للبحث عن الصفات العقلية للسَّواد الأعظم من الناس .

إيمانهم بالأحراز : لعل من أبرز خصائص عقلية العامة ، سرعة التصديق ؛ فهم يؤمنون بادي الرأي ، ويصدّقون بسرعة عجيبة كل ما يقال لهم ، كما رأينا في الحديث عن دجل بعض الوعاظ ، واتخاذهم الوعظ مطيّة لبلوغ المآرب الخاصة والغايات الدنيا ، وكيف كان الناس يصدّقونهم ويقبلون عليهم . ولعل لنا في المقامة الحرزية مثالاً أوضح لتبيان ما كانت عليه العامة من سرعة الإيمان وسلامة الطويّة ، ومن أسرع إيماناً وأسلم طوية ممّن يعتقد أن حُرزاً يُنجي من الغَرَق ؟ وليته كان حرزاً متصلاً بأسباب الدين ؛ أو كان آيات من القرآن الكريم ، إذاً لكان للقوم عذرهم لما يوحي به الإيمان بالدين من الاطمئنان ، وما يلقيه في النفس من السكينة ، ولكنه حرز مصون بالديباج والعاج ، يتلقّاه القوم مؤمنين ، قبل أن يعلموا حقيقة ما يحتويه ! قال عيسى بن هشام يصف عودته من السفر : « ولمّا ملكنا البحر وجُنّ علينا الليل ، غشيتنا سحابة تمدّ من الأمطار حبالاً وتحوز من الغيم جبالاً ، بريح ترسل الأمواج أزواجاً والأمطار أفواجاً ، وبقينا في يد الحَيْن بين البحرَيْن ، لا نملك عدّة غير الدعاء ، ولا حيلة إلا البكاء ولا عصمة غير الرجاء .

وطويناها ليلة نابغية ، وأصبحنا نتباكى ونتشاكى ، وفينا رجل لا يخضلّ جفنه ولا تبتلّ عينه ، رخيّ الصدر منشرحه نشيط القلب فرحه ، فعجبنا والله كل العجب ، وقلنا : ما الذي أمّنك من العطب ؟ فقال : حرز لا يغرق صاحبه ، ولو شئت أن أمنح كلاً منكم حرزاً لفعلت . فكلٌّ رغب إليه وألحّ في المسألة عليه . فقال : لن أفعل ذلك حتى يعطيني كل واحد منكم ديناراً الآن ويعدني ديناراً إذا سلم ، فنقدناه ما طلب ووعدناه ما خطب ،

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وآب بده إلى جيبه فأخرج قطعة ديباج فيها حُقّة عاج، قد ضُمّن صدرها رقاعا، وحذف كل واحد منا بواحدة منها »(١) والطريف أن يستمر خداعه وأن ينقدوه ما وعدوه بعد سلامتهم من الغرق، « فلما سلمت السفينة وأحلّتنا المدينة اقتضى الناس ما وعدوه فنقدوه . » ! !

إيمانهم بشياطين الشعر : ويحدثنا الهمذاني في مقامة أخرى عن إيمان بعض الناس بشياطين الشعر، أولئك الذين يوحون إلى الشعراء بأشعارهم، وليس بعيداً أن تكون لهذه الأسطورة الجاهلية ذيول في أذهان بعض الناس؛ ففي المقامات أن عيسى بن هشام يدهش حين يسمع أن قصيدة :

بان الخليط ولو طووعت ما بانا وقطّعوا من حبال الوصل أقرانا

ليست لجرير، وإنما هي لرجل آخر هو أبو مُرّة . . ، وتجري بينهما محاورة يتهم ابن هشام فيها أبا مرة بالانتحال، فيكشف أبو مرّة أمره ويقول : « وكنت أكتمك حديثي وأعيش معك في رخاء لكنك أبيت فخذ الآن : فما أحد من الشعراء إلا ومعه معين منا، وأنا أمليت على جرير هذه القصيدة، وأنا الشيخ أبو مُرّة، قال عيسى بن هشام : ثم غاب ولم أره . »(٢)

ولسنا نريد استقصاء الأمثلة الدالة على خصائص عقلية العامة ومعتقدهم، إذ سيمر بنا كثير من ذلك حين نتحدث عن خصائص القوم عامة وسذاجتهم وحين نتحدث عن الكدية والمكدين وما كانوا ينصبون للقوم من شراك وغير ذلك مما يدل على النفس السليمة والعقل الساذج، وللكدية والمكدين في المقامات حديث طويل سنخصه ببيان من التفصيل .

(١) المقامة الحرزية : ١٢٤ .
(٢) المقامة الإبليسية : ١٩٣ .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

لغتهم : لغتهم أو كلامهم لا نعني به هنا أسلوبهم ذلك الذي عرفناه في إنشاء القرن الرابع وأدبه ، وإنما نريد به ما كان يدور على ألسنتهم من حكاية مرتجلة وحوار غير مشذّب ، وكلام عام وشتائم .. مما لم يذكره التاريخ ؛ لأنه لم ينطق به عظيم ، ولم يحفظه الأدب ، لأنه بعيد أحياناً عن « الأدب » .

أما الحكايات والقصص فإن أردنا معناها أو محتواها فهو في المقامات واضح جليّ ، وقد رأينا ذلك حين استعرضنا موضوعات المقامات ، وأما إن أردنا منها أسلوبها ، وهو الذي كنا نودّ معرفته ، فلن تفيدنا المقامات في معرفته شيئاً لأن صاحبها كما نعلم كتبها بأسلوبه المصطنع ، وأنطق الأشخاص فيها بكلامه المسجّع . على أن البديع حاول أن يُنطق كل شخص بما يناسب مقامه ، فكان لصاحبة الحانة أسلوب ، وللحمّاميّ أسلوب ، وللسّوادي أسلوب ..

شتائمهم : وأما شتائمهم فالهمذاني لا يخجل من نقلها إلينا ، وهي ليست أقل قذارة من شتائم رعاع اليوم إن لم تفقها إفحاشاً وإقذاعاً .

وقد مرّ معنا أن في المقامات ما يستحيي الأديب من قراءته ويخجل من شرحه وأن الكتّاب أغفلوا المقامة الشامية وبعض المقامة الرصافية لما فيها من بذاءة وإفحاش(١) .

وقد يكتفي الهمذاني في بعض الأحيان بالإشارة إلى السباب والشتم دون توضيح أو تفصيل ، كأن يقول : « فعمد إلى أعراض يسبّها . »(٢) وقد يصرّح ويفصّل كما فعل حين نقل ملاسنة جرت بين اثنين من المستخدمين في أحد الحمامات(٣) وانتهت بانسلال عيسى بن هشام وهو « يسبّ اللام بالمصّ والمصّ » . بل إن بديع الزمان يجعل من إحدى مقاماته مسرحاً

(١) مقدمة المقامات : ص ٧ وانظر ما سبق في ص : ٦٠٥ العدد ٣ المجلد ٤٣ .
(٢) المقامة الأرمنية : ١٩٧
(٣) المقامة الحلوانية : ١٨٠ .

لاثنين من أبطال الشتيمة يتنافسان فيها ويأتيان بكلام اضطررنا إلى حذفه من المقامة ؛ وذلك في المقامة الدينارية التي بعد عيسى بن هشام فيها أن يهب ديناراً لأمهر الرجلين في السبّ والشتم وقال : « ليشتم كل منكما صاحبه فمن غلب سلب ومن عزّ بزّ . »(١) وكانت منافسة حامية بين أبي الفتح الاسكندري الذي قذف حممه سائلة وصلبة ، حارّة وباردة .. وبين خصمه الذي قذفه بسيل دافق من السباب المرّ والشتم القبيح حتى عجز عيسى بن هشام عن تفضيل أحدهما على الآخر ، فقال : « فوالله ما علمت أي الرجلين أوثر ، وما منهما إلا بديع الكلام عجيب المقام ألدّ الخصام ، فتركتها والدينار مشاع بينهما وانصرفت وما أدري ما صنع الدهر بهما . »(٢)

على أننا إذا لم ننقل الكثير من كلامهم لفحشه ، فلا بدّ لنا من الإشارة إلى أنهم ما كانوا يتحرجون في قوله واستعماله شيئاً من الحرج ، وكما قيل : لكل مقام مقال ، فكذلك لكل يوم كلام . وليس أدلّ على شيوع اللفظ المستهجن والكلمة الفاحشة على ألسنتهم وعدم استنكارهم لها من استعمال أكابرهم لها وصدورها عنهم ، يؤيد ذلك ويؤكده ما نقله الثعالبي من هجاء الصاحب بن عباد لخصومه(٣) ، ومن كلام الصابي في الهجاء أيضاً(٤) ، فإذا كان أمثال الصاحب والصابي لا يترفعون عن اللفظ البذيء والمعنى السافل فلا عجب في قذارة شتائم العامة وفحشهم في السّباب .

هيئاتهم : قد لا يكون هناك اختلاف في الهيئات العامة للناس بين عصر وعصر أو بين مكان ومكان ، ولكن الهيئات الخاصة والملابس تختلف باختلاف

(١) المقامة الدينارية . ٢٢٥ .
(٢) المقامة الدينارية .
(٣) يتيمة الدهر ٣ : ٢ : ١٠٢ .
(٤) يتيمة الدهر ٢ : ٦٣ ـ ٦٥ .

الأزمنة والأمكنة ، وباختلاف المراتب والأعمال . ونحن نستطيع الآن أن نميز شعباً من شعب من أشكال أفراده أو لباسهم أو لباس رؤوسهم ، بل ربما نستطيع أن نستدل على شيء من أذواقهم إذا استطعنا أن نعرف أنواع ثيابهم وألوانها . ولننظر الآن كيف كانت هيئات الناس الخاصة ؟ وكيف كانت ملابسهم في المجتمع الذي عاش فيه الهمذاني ؟

الحق أننا لانجد في المقامات صورة كاملة للهيئات والملابس في ذلك العصر ، وقد كنا نودّ لو عني الهمذاني بوصف الثياب وأشكالها والأردية وألوانها ... أكثر مما فعل ، إذاً لكانت عندنا صورة واضحة ملوّنة لإنسان ذلك العصر من تاريخنا . على أن أبا الفضل لم يغفل ذلك إغفالاً تاماً وإنما قصّر فيه ، وما عليه في ذلك لأنه لم يكن يريد من مقاماته إذ ذاك ما نريده نحن منها اليوم .

لقد ذكر الهمذاني في مقاماته كثيراً من الصفات الخارجية لأناس مختلفين من قضاة ، كانوا يضعون على رؤوسهم قلانس كبيرة كالدنان ، وكان بعضهم يدير فضل العامة من تحت حنكه كقاضي نيسابور الذي ذكره عيسى بن هشام فقال « اجتاز بي رجل قد لبس دنيّة وتحنّك بسنيّة (١) » . وقد يفصّل أكثر من ذلك في موضع آخر فيقول : « وقد لبس دنيّته وسوّى طيلسانه وقصّر سباله وبيّض لحيته (٢) ... » . وقد يذكر صفات عامة تكفي لبيان شخصية صاحبها من خلال مظهره ، كأن يقول عن أحد الشباب إنه في « زيّ ملكي » ، ليدلّ بذلك على أنه ليس من رجال العمائم بل هو زيّ أنيق .

(١) المقامة النيسابورية : ٢٠٧ .
(٢) المقامة النيسابورية : ٢٠٨ .

ويبدو أن العمامة هي لباس الرأس الشائع عندهم ، فلقد مرّ ذكرها في أكثر المقامات وضعتها شخصيات مختلفة ، والفرق بين الأشخاص إنما هو بالنسبة إلى العمامة ، في شكلها أو حجمها ... وأما لباس القدم فالخُفّ ، وكثيراً ما ذكره وذكر حداثته أو قدمه ... وذكر بعض مايتصل به من عادات ، كإخفاء السكّين فيه وذلك حين قال في المقامة الأسدية : « ثم دنا إليّ لينتزع الخفّ ومددت يدي إلى سكّين كان معي في الخفّ »[1] .

وأما أهل اليسار فهم من الثياب في « حِبَر وشاء »[2] ، وكثيراً ما وقف عندهم ووصف آثار النعمة عليهم .

ويمرّ الهمذاني بأصحاب الصناعات المختلفة فلا يغفل عن إلقاء نظرة سريعة بجملة تبيّن الشكل أو ترسم الخطّ العريض من الصورة ، فها هو ذا حلاّق « لطيف البنية مليح الحلية في صورة الدمية »[3] . وتلك صاحبة حانة « ذات شكل ودلّ ، ووشاح منحلّ ، إذا قتلت ألحاظها أحيت ألفاظها[4] » ..

وأما المكدّون فقد كان نصيبهم في المقامات أكبر من نصيب غيرهم ، وذلك لكثرة ما تعرّض الهمذاني لهم ولأخبارهم ، وهو يقدّم لنا صوراً مختلفة لهم ؛ فمنهم من « لفّ رأسه يبرقع حياء ، ونصب جسده وبسط يده ، واحتضن عياله وتأبّط أطفاله ، وهو يقول بصوت يدفع الضعف في صدره والحرّض في ظهره[5] .. » ومنهم من « يخبط الأرض بعصا على إيقاع

(١) المقامة الأسدية : ٤١ .
(٢) المقامة البصرية : ٦٧ .
(٣) المقامة الحلوانية : ١٨٣ .
(٤) المقامة الخمرية : ٢٤٨ .
(٥) المقامة الأزاذية : ١٤ .

لايختلف ... وهو حُزُقّة كالقرنْبى أعمى مكفوف ، في شملة صوف ، يدور كالخدروف ، متبرنساً بأطول منه ، معتمداً على عصا فيها جلاجل ، يخبط الأرض بها على إيقاع غنج ، بلحن هزج ، وصوت شج من صدر حرج .. »[1] ومنهم « ذو طمرين قد أرسل صيوانا ، واستتلى طفلاً عريانا ، يضيق بالضر وسعه ، ويأخذه القرّ وبدعه ، لا يملك غير القشرة بردة .. »[2] ومنهم من « طلع بركوة قد اعتضدها ، وعصا قد اعتمدها ، ودنيّة قد تقلّسها ، وفوطة قد تطلّسها ، يرفع عقيرته .. »[3]

ومن المكدّين طائفة يسير أفرادها في الطرقات والأسواق مجتمعين وحدهم الفرَض ، يتقدّمهم واحد منهم « قد لقّوا رؤوسهم وطلوا بالمغرة[4] لبوسهم ، وتأبّط كل واحد منهم حجراً يدقّ به صدره ، وفيهم زعيم لهم يقول وهم يراسلونه ويدعو ويجاوبونه[5] » .

والهمذاني لا يشغل بأرباب القضاء والأثرياء وأصحاب المهن والشحّاذين عن سواهم ؛ فالقضاة بقلانسهم الكبيرة وأثوابهم الفضفاضة ولحاهم البيضاء ... ، وأصحاب الصناعات وما اتخذ كل منهم من ملبس يلائمه . . . ، والشحّاذون وهزالهم وأطمارهم وعصيّهم وبراقعهم . . . ، كل ذلك لا يشغل أبا الفضل عن تصوير أهل الريف أو السّواد حين يغدون إلى المدينة وقد حملوا ما تنتجه أراضيهم على دوابّهم ليبيعوه في أسواق بغداد ، ويعودوا بالفضلات سماداً للأرض... ، ومن يقرأ المقامة البغدادية يتعرّف إلى سواديّ من هؤلاء ، ويراه وقد بلغ

(١) المقامة المكفوفية : ٨٣ .
(٢) المقامة البخارية : ٨٧ .
(٣) المقامة الأذربيجانية : ٤٩ .
(٤) المَغْرة : الطين الأحمر .
(٥) المقامة الساسانية : ١٩٧ .

به الجهد والمشقة ، وبدت عليه سيماء البساطة والسذاجة ، بل يرى جانباً من صورته وطرفاً من إزاره .. ويرى تلك العقد التي انعقدت على المال في طرف الإزار على نحو ما يفعل بعض أهل الريف في عصرنا الحاضر ؛ إنه « سوادي يسوق بالجهد حماره ، ويطرّز بالعقد إزاره[1] » ، وأما ابن هشام فلم يكن « معه عقد على نقد[1] » .

وأما إذا كان الريفيّ من ذوي الغنى واليسار ، فإن عُقد الإزار لا تكفي لحفظ المال وإنما يضمه في جراب أو كيس كذلك الذي أقبل ومعه « جراب دنانير[2] » ، أو الذي قبض من كيسه قبضـــة الليث[3] ، أو الذي أحال المشكلة إلى الكيس وقال : يحلّ الكيس ما شئت[4] .

وهكذا صوّر لنا الهمداني بعض أفراد مجتمعه ومرَّ بهم من أمامنا بأشكالهم وملابسهم ...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢ ـــ المجالس الأدبية ـــ المناظرات والجدل ـــ القصص

أخبار المناظرات في كتب التاريخ : من أبرز مظاهر النشاط الفكري في القرن الهجري الرابع تلك المناظرات والمحاورات التي كان القوم يعقدونها ويخصونها بنصيب وافر من اهتمامهم ووقتهم . ومن تلك المناظرات ما كان متصلاً بالأدب ؛ نثره وشعره ، ألغازه وأحاجيه ، ومنها ما كان ذا صلة بالعقائد والمذاهب الدينية ..

(١) المقامة البغدادية : ٦٤ .
(٢) المقامة الصيمرية : ٢١٥ .
(٣) المقامة الكوفية : ٣١ .
(٤) المقامة الجنابية : ٢٨ .

وقد كان القرن الرابع فترة صراع عنيف بين أفكار كثيرة وفرق متعددة ، والتاريخ إنما يذكر من هذه المناظرات ما كان في حضرة خليفة أو وزير ، أو ما اشترك فيه واحد من هؤلاء وأولئك ، أو ما ترك أثراً يدعو إلى ذكره ، ويغفل ما دون ذلك .

وفي كتب الأدب وتراجم الأدباء ما يدل على أن المناظرات كانت أمراً منتشراً بينهم ، وأنها لم تكن في بعض الأحيان لغير الطموح إلى الشهرة وشهوة النصر ، وأن المتناظرين كثيراً ما كانوا يحشدون لها الأنصار والأتباع على نحو ما نرى اليوم في المباريات الرياضية ، بل لقد كانت تلك أيضاً مباريات رياضية إلا أن السلاح المتبارَى به كان لساناً مبيناً ولفظاً معبّراً وفكراً سديداً .

ومن تلك المناظرات المشهورة في التاريخ مناظرة الكسائي وسيبويه في بغداد حول مسألة من مسائل النحو(١) ، والمناظرة التي دارت حول مشكلة خلق القرآن . ولعل من أطرفها تلك التي دارت بين أبي سعيد السيرافي وأبي بشر متّى بن يونس في المفاضلة بين النحو والمنطق(٢) ، وقد جرت سنة ٣٢٠ هـ(٣) . ومن تلك المناظرات ما دار بين الخوارزمي وبديع الزمان ممّا سبق ذكره(٤) .

ولنسأل هل استطاع الهمذاني أن يقدم لنا في مقاماته صورة عن ذلك الصراع الفكري الذي دار في مناظرات القوم الأدبية والمذهبية ؟

---

(١) وهي المسألة المعروفة في النحو باسم المسألة الزنبورية . انظر مغني اللبيب ١ : ٩٣ .
(٢) تجد أخبار هذه المناظرة في كتاب « الامتاع والمؤانسة » ١ : ١٠٧ ـ ١٢٨ .
(٣) لأنه كان عمر السيرافي أربعين سنة ، ومولده في سنة ٢٨٠ هـ . وانظر الامتاع والمؤانسة ١ : ١٢٨ .
(٤) انظر ص : ١٣٠ وما بعدها من الجزء ١ المجلد ٤٣ .

ARCHIVE

المناظرات الأدبية في المقامات : أما المناظرات الأدبية في المقامات فمنها ما يتصل بأسلوب الهمذاني وفنه في التلاعب بالألفاظ ، كتلك التي تدور حول الأحاجي ، ومنها المقامة الشعرية التي حدثنا فيها عيسى بن هشام فقال «كنت ببلاد الشام وانضمَّ إليَّ رفقة ، فاجتمعنا ذات يوم في حلقة ، فجعلنا نتذكر الشعر ، فنورد أبيات معانيه ونتحاجى بعماميه ....» وكان بينهم فتى سألوه وسألهم فقـــــال « أين أنتم من تلك الأبيات وما فعلتم بالمعمّيات ، سلوني عنها . فما سألناه عن بيت إلا أجاب ولا عن معنى إلا أصاب ... ثم عطف علينا سائلاً وكرَّ مباحثاً فقال : عرّفوني بيت شطره يرفع وشطره يدفع ؟ وأي بيت كله يصفع ؟ وأي بيت نصفه يغضب ونصفه يلعب ؟ وأي بيت كله أجرب ؟ وأي بيت عروضه يحارب وضربه يقارب ؟ وأي بيت كله عقارب ؟ وأي بيت سمُج وضعه وحسن قطعه ؟ وأي بيت لا يرقأ دمعه ؟؟ ..»(١) ثم يستطرد فيسألهم نحو خمسين سؤالاً كلها من هذا الطراز العجيب ، ويمهلهم للجواب عنها أياماً مما يدل على تكرار مثل هذه الاجتماعات ، وهو لا يمتنع عن الإجابة عن بعضها على سبيل المثال فيقول : « اختاروا من هذه المسائل خمساً لأفسّرها واجتهدوا في الباقي أياماً ، فلعل إناءكم يرشح ولعل خاطركم يسمح ، ثم إن عجزتم فاستأنفوا التلاقي لأفسّر الباقي(٢) . »

ولعل هذا المجلس يعطينا فكرة عن حب القوم للمجالس الأدبية والتنافس في حلّ المعمّيات الشعرية ، مما يحتاج إلى اطلاع واسع وحفظ كثير .

وكذلك الأمر في المقامة العراقية إذ يسأل عيسى بن هشام أبا الفتح الاسكندري : « بأي العلوم تتحلّى ؟ فقال : لي في كل كنانة سهم ، فأيها تحسن ؟ قلت : الشعر ، فقال : هل قالت العرب بيتاً لا يمكن حلّه(٣) .. ؟ » ويتابع أسئلته وهي كلها من هذا النوع .

(١) المقامة الشعرية : ٢٣٠ .
(٢) المقامة الشعرية : ٢٣٣ .
(٣) المقامة العراقية : ١٥٠ .

ومن المقامات الأدبية ما يتصل بآراء الهمذاني في الأدب والنقد كأن يوضح لنا رأيه في امرئ القيس والنابغة وزهير وطرفة وجرير والفرزدق والجاحظ وابن المقفع ... وذلك من خلال بعض المحاورات التي دارت في مجالس أدبية وصفتها المقامات .

رأي الهمذاني في امرئ القيس : يسأل عيسى بن هشام صاحبه أبا الفتح في المقامة القريضية فيقول : ما تقول في امرئ القيس ؟ قال : هو أول من وقف بالديار وعرصاتها ، واغتدى والطير في وكناتها ، ووصف الخيل بصفاتها . ولم يقل الشعر كاسباً ، ولم يُجِد القول راغبا ، ففضل من تفتق للحيلة لسانه وانتجع للرغبة بنانه .

النابغة : قلنا : فما تقول في النابغة ؟ قال : يثلب إذا حنق ويمدح إذا رغب ويعتذر إذا رهب . ولا يرمي إلا صائبا .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

زهير : قلنا : فما تقول في زهير ؟ قال : يذيب الشعر والشعر يذيبه ، ويدعو القول والسحر يجيبه .

طرفة : قلنا : فما تقول في طرفة ؟ قال : هو ماء الأشعار وطينتها ، وكنز القوافي ومدينتها ، مات ولم تظهر أسرار دفائنه ، ولم تفتح أغلاق خزائنه .

جرير والفرزدق : قلنا : فما تقول في جرير والفرزدق ؟ وأيهما أسبق ؟ فقال : جرير أرق شعراً وأغزر غزرا ، والفرزدق أمتن صخراً وأكثر فخرا ، وجرير أوجع هجواً وأشرف يوما ، والفرزدق أكثر روماً وأكرم قوما . وجرير إذا نسب أشجى وإذا ثلب أروى وإذا مدح أسنى ، والفرزدق إذا افتخر أجزى وإذا احتقر أزرى وإذا وصف أوفى . »(١)

(١) المقامة القريضية : ١٠ .

القدماء والمحدثون : وينتقل الهمذاني بعد ذلك إلى الموضوع الذي طالما تناوله الكتّاب وتباينت فيه الآراء ، فيسأل على لسان ابن هشام قائلاً « قلنا : فما تقول في المحدَثين من الشعراء والمتقدمين منهم ؟ قال : المتقدمون أشرف لفظاً وأكثر من المعاني حظا ، والمتأخرون ألطف صنعاً وأرق نسجا ...»(١)

الفرزدق وذو الرمّة : ويُجري الهمذاني ، في مقامة أخرى ، مقابلة بين الفرزدق وذي الرمة ، ويحدثنا من خلالها عن احتقار الفرزدق لغيلان وازدرائه لشعره واستصغاره لشأنه ، كما يحدثنا فيها أيضاً عن احتقار الفرزدق وجرير للصلتان العبدي والبعيث فيقول في المقامة الغيلانية : « بينا نحن بجرجان في مجتمع نتحدث ، ومعنا يومئذ رجل العرب حفظاً ورواية وهو عصمة بن بدر الفزاريّ ، فأفضى بنا الكلام إلى ذكر من أعرض عن خصمه حلماً ، ومن أعرض عن خصمه احتقاراً ، حتى ذكرنا الصلتان العبدي والبعيث وما كان من احتقار جرير والفرزدق لهما ، فقال عصمة : سأحدثكم بما شاهدته عيني ولا أحدثكم عن غيري (٢) ... » ويحدثهم أنه اجتمع بغيلان في إحدى سفراته ، وبينما هما في الطريق يستريحان يشمر ذو الرمة أن الفرزدق منه على مدى الصوت فيرفع صوته بهجائه حتى يبلغ قوله :

تعاف الأكارم إصهارَهم ... فكلُّ أيامِهمُ عانس

فلما بلغ هذا البيت تنبّه ذلك النائم - يعني الفرزدق - وجعل يمسح عينيه ويقول : أذو الرميمة يمنعني النوم بشعر غير متقفّ ولا سائر ؟ فقلت : يا غيلان من هذا ؟ فقال : الفرزدق ، وحمي ذو الرمة فقال :

وأما مجاشع الأرذلون ... فلم يسقِ منبتَهم راجس
سيعقلهم عن مساعي الكرام ... عقالٌ ويحبسهم حابس

(١) المقامة القريضية : ١٢ .
(٢) المقامة الغيلانية : ٤٣ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فقلت : الآن يشرق فيثور ويهم هذا قبلته بالهجاء ، فوالله ما زاد الفرزدق على أن قال : قبحاً لك ياذا الرميمة أتعرض لمثلي بمقال منتحل ، ثم عاد في نومه كأن لم يسمع شيئاً ، وسار ذو الرمة وسرت معه وإني لأرى فيه انكساراً حتى افترقنا [١] .. »

الجاحظ وابن المقفع : يخص الهمذاني الجاحظ بمقامة يسمّيها « المقامة الجاحظية » يتعرّض فيها للجاحظ ويحاول أن ينال منه ، وكأن تنافس أهل الصناعة قد أوغر صدره عليه ، وكأن الهمذاني يرى في الشعر الذي نظمه ميزة يمتاز بها عن الجاحظ الذي انفرد بالنثر دون الشعر !!

يرد ذكر ابن المقفع والجاحظ في إحدى الولائم ، ويقص الهمذاني ذلك بلسان راويته فيقول « ونحن في الحديث نجري معه حتى وقف بنا على ذكر الجاحظ وخطابته ، وابن المقفع ودرايته . ووافق أول الحديث آخر الخوان ، وزلنا عن ذلك المكان . فقال الرجل : أين أنتم من الحديث الذي كنتم فيه ، فأخذنا في وصف الجاحظ ولسنه وحسن سَنَنه في الفصاحة وسننه فيما عرفناه . فقال : يا قوم لكل عمل رجال ولكل مقام مقال ، ولكل دار سكان ولكل زمان جاحظ ، ولو انتقدتم لبطل ما اعتقدتم . فكلّ كشر له عن ناب الإنكار وأشمّ بأنف الإكبار ، وضحكت له لأجلب ما عنده وقلت : أفدنا وزدنا ، فقال : إن الجاحظ في أحد شقّي البلاغة يقطف وفي الآخر يقف ، والبليغ من لم يقصّر نظمه عن نثره ، ولم يُزرِ كلامه بشعره . فهل تروون للجاحظ شعراً رائعاً ؟ قلنا : لا ، قال : فهلمّوا إلى كلامه فهو بعيد الإشارات قليل الاستعارات قريب العبارات ، منقاد لعريان الكلام يستعمله ، نفور من معتاصه يهمله ، فهل سمعتم له لفظة مصنوعة أو كلمة غير مسموعة ؟ قلنا : لا »[٢] .

(١) المقامة الغيلانية : ٤٧ .
(٢) المقامة الجاحظية : ٧٩ .

وغير خاف أن الهمذاني يهاجم الجاحظ بأسلوب المدافع عنه ، وأنه يريد الطعن على أسلوبه في النثر بعد أن جرّده من الفضل في الشعر .. وما أحسب وراء ذلك إلا اعتقاد الهمذاني بأن « لكل زمان جاحظاً » كما قال (١) .

تحصيل العلم : ويحدثنا بديع الزمان عن رأيه في اكتساب العلم ووسيلة تحصيله فيقول « طلبته فوجدته بعيد المرام ، لا يصطاد بالسهام ، ولا يقسم بالأزلام ، ولا يرى في المنام ، ولا يضبط باللجام ، ولا يورث عن الأعمام ولا يستعار من الكرام ، فتوسلت إليه بافتراش المدر واستناد الحجر ، وردّ الضجر وركوب الخطر ، وإدمان السهر واصطحاب السفر وكثرة النظر (٢) .. » ويستطرد معدّداً ما يعتقده من وسائل تحصيل العلم من بحث وتحقيق ودراسة وتدقيق ...

على أننا لن نتعرّض لآراء بديع الزمان في الأدب والنقد وما إليها ؛ فهذا كله إنما جاء في سياق الكلام على مجالس القوم ومناظراتهم الأدبية ، ولكننا نرى أن بديع الزمان نجح في التعبير عن آرائه ، أيّاً كانت ، فجاءت صريحة واضحة جريئة دالّة على تذوّق صاحبها وسعة اطلاعه ، هذا بغضّ النظر عن قيمتها الأدبية ومدى انطباقها على الواقع أو موافقتها للأحكام التي أطلقها الأدباء والنقاد في تلك المسائل .

المناظرات والجدل المذهبيّ : لم يقف الهمذاني في مقاماته عند حدود المناظرات الأدبية ، ولم يكتف بالمناظرات التي كان الأدب أو الأدباء موضوعاً لها وإنما تجاوزها إلى المناظرات الفكرية الجدلية التي تتخذ من العقائد والمذاهب موضوعاً تدور حوله ؛ فعرض علينا في مقاماته طائفة طريفة من تلك

(١) لم يترك شارح المقامات الأستاذ الشيخ محمد عبده هذا الرأي بدون تعليق ، وإنما عقب عليه وسدّد رأي الهمذاني فيه . المقامات حشية الصفحة : ٨١ .

(٢) المقامات العلمية : ٢١٠ .

المناظرات ؛ إنه يردّ في المقامة المارستانية مثلاً على المعتزلة ، ويسفّه آراءهم ولكنْ على لسان مجنون في « المارستان » ، فكانت مقامة ذات حدين ؛ ينطق المجنون فيها بالحكمة ، مخاطباً – وهو الذي لا عقل له – طائفة تزعم أن العقل إمامها وقائدها .. !!

مع المعتزلة : يقول مجنون في « المارستان » بعد أن عرف أن أمامه عيسى بن هشام وأبا داود العسكري أحد متكلمي المعتزلة : « شاهت الوجوه وأهلها ، إن الخيرة لله لا لعبده ، والأمور بيد الله لا بيده ، وأنتم يامجوس هذه الأمة تعيشون جبرا وتموتون صبرا وتساقون إلى المقدور قهرا . و ﴿ لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كُتب عليهم القتل إلى مضاجعهم ﴾ (١) أفلا تنصفون إن كان الأمر كما تصفون ؛ وتقولون : خالق الظلم ظالم ، أفلا تقولون : خالق الهلك هالك ؟ أتعلمون يقيناً أنكم أخبث من إبليس دينا ، ﴿ قال : رب بما أغويتني ﴾ (٢) ، فأقرّ وأنكرتم ، وآمن وكفرتم . وتقولون : خُيِّر فاختار ؛ وكلاّ فإن المختار لا يبعج بطنه ... ياأعداء الكتاب والحديث بم تطيّرون أبالله وآياته ورسوله تستهزئون ؟ إنما مَرَقت مارقةٌ فكانوا خَبَثَ الحديث ، ثم مرقتم منها فأنتم خَبَثُ الخبيث ، يامخانيث الخوارج . » (٣)

ولا يكتفي الهمذاني بكل هذا الإزراء ، وإنما يشير بخبث إلى حرمة الزواج منهم ، وهو يترك المجنون ينصح بذلك فيقول : « وأنت يابن هشام تؤمن ببعض وتكفر ببعض ؛ سمعت أنك افترشت منهم شيطانة ، ألم ينهك الله عــزّ وجلّ أن تتخذ منهم بطـانة ، ويلك هلاّ تخيَّرت لنطفتك ونظرت لعقبك ... » (٤)

---

(١) سورة آل عمران ٣ : ١٥٤ .
(٢) آية تتمتها (لأزيّننّ لهم في الأرض ولأغوينّهم أجمعين . إلا عبادك المخلصين) الحجر ١٥ : ٣٩ – ٤٠ .
(٣) المقامة المارستانية : ١٢٧ .
(٤) المقامة المارستانية : ١٣١ .

وكذلك نجد في المقامة الوعظية وغيرها كثيراً من الأحاديث التي عقدها بديع الزمان بلسان ابن هشام مما يتصل بالرد على الملحدين ومنكري البعث .

وبعد ، فهذه طائفة من مجالس القوم الأدبية والجدلية ، وأحاديثهم ومناظراتهم وبعض آرائهم في الأدب والنقد ، قدمها لنا الهمذاني ، وقد ضمنها آراءه في مسائل لاشك أنها كانت مدار البحث في عصره .

أخبار القصة والقصاصين : للقصة أثر عظيم في التوجيه ، ولأصحابها ذكر قديم في التاريخ . وقد كان لبعض القصاصين منازل رفيعة وأخبار عجيبة ، وهم منذ القديم يحضرون مجالس الخلفاء والوزراء ؛ يقصّون ويسلّون ويعظون ؛ فكان منهم ندمان ، ومنهم قضاة ، وكان منهم في صفوف العامة موجّهون ومعلّمون ومخلصون ومتكسّبون .

وذكر المقريزي أن القصص قصصان : قصص العامة ، وقصص الخاصة ، وذكر أن القاص في النوع الأول يجتمع الناس إليه فيعظهم ويذكّرهم ، وأما القاصّ في النوع الثاني فيعيّنه الحاكم وربما كان القاضي نفسه .(١)

ونقل آدم متز أن القُصّاص « في القرن الرابع نزلوا إلى غمار العامة ، وصاروا يقصون لهم القصص الدينية والأساطير والنوادر في المساجد والطرق ، وينالون منهم مالاً كثيرا ، وكان الرجال والنساء يجتمعون حول القاص فيرفعون أصواتهم بالدعاء ، ويمدّون أيديهم ، وكان العامة يحبون القصاص حباً شديداً . ويحكى عن الطبري أنه أنكر على قاصّ في بغداد فرمى العامة باب داره بالحجارة حتى سدّوه وصعب الخروج منه . وكان القصاص من أكبر مثيري الفتن القديمة بين أهل السنة والشيعة . ويضع الهمذاني القصاص في المقامة الساسانية ، بين طبقة المشعوذين المخرقين من بني ساسان »(٢) .

(١) الخطط والآثار ٢ : ٢٥٣ .
(٢) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع ٢ : ٧٧ .

وما نقله آدم متز يدل على نزول القصاص إلى العامة ، وأما رأيه في وضع الهمذاني للقصاص بين المشعوذين المخرقين فغريب ، إذ ليس في المقامة الساسانية التي أشار إليها ذكر للقصة ولا للقصاص ، ولست أدري كيف وهم في ذلك !

ويبدو أن القصاص كثروا كثرة جعلت الصالح القليل منهم يضيع في زحمة الفاسد الكثير ، فلم نعد نستطيع أن نميز بيسر بين الواعظ الصادق والقاصّ المتكسّب حتى اضطر بعض العلماء إلى تنبيه الناس على ضرورة التمييز بين الصالحين وغيرهم ، وهذا ما فعله السمرقندي المتوفى سنة ٣٧٥ هـ حين ذكر القصاص وفصّل في بيان الصفات المستحسنة فيهم .(١)

أما القصة من الوجهة الفنية فإن الهمذاني نفسه ـ بما كتب من مقامات ـ مثال صالح لما وصلت إليه القصة من مستوى فنيّ . والهمذاني في مجال القصة إنما يحوز إعجابنا بما حلّل من نفسيات وصوّر من شخصيات ، بل بما وصلت إليه بعض مقاماته من مستوىً فني جيّد .

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

يقول الأستاذ مارون عبود : وتمرّ بمقامات البديع فتعجب بالمقـــامة المضيرية إذ تراها قصة عصرية تنوء عن مضارعتها اليوم قصة في تحليل الشخصيات ودرس النفسيات .... والمقامة الأسدية والبشرية تعدّان من الأقاصيص ذوات العقد ، وإن كان إلى جانب هذه قصص كالمقامة الأزربيجانية التي تبدو كأنها كتبت بلا استعداد »(٢) ويجيب الأستاذ عن سؤال كثيراً ما يرد ، وهو : هل المقامة قصة ؟ فيقول : « نعم ، إنها قصة ، والفرق بينها وبين قصص اليوم كالفرق بين هندامك أنت وهندام جدّك رحمه الله . . »(٣) .

(يتبع) الدكتور مازن المبارك

---

(١) الحضارة الاسلامية : ٧٨ نقلاً عن « بيان العارفين على هامش تنبيه الغافلين » : ٢٥ .
(٢) بديع الزمان : ٣٦ .
(٣) بديع الزمان : ٣٧ .

شعر
الوقوف على الأطلال
من الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث
— ٣ —

هذه أشهر الصور التي رسمها شعراء العرب في الجاهلية في وصف آثار الديار . ونرى في هذه الصور الاهتمام بعنصر اللون كبيراً جداً . ثم يأتي الاهتمام بعنصر الشكل في الدرجة الثانية . ونقصد بالشكل هنا أشكال آثار الديار بخطوطها المتموجة ، وأشكال الخروف والسطور المكتوبة ، والأشكال في النقوش والزخارف بخطوطها المتداخلة المتموجة أيضاً . على أنه يصعب علينا الفصل بين الألوان وبين الأشكال حين النظر إلى هذه الصور .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكذلك نرى في هذه الصور الإيجاز الشديد ، والاكتفاء بالإشارة السريعة إلى عناصر الصورة ، والانصراف عن التفصيل والاستقصاء في بيان الألوان والأشكال في معرض التصوير . وهذه صفة من صفات طريقة التعبير والتصوير عند شعراء الجاهلية . فهم يقفون على الخطوط العامة والنواحي التي تلفت انتباههم في نظرتهم إلى الأشياء ، دون الأجزاء الدقيقة ، والنواحي الخفية فيها . ويكتفون دائماً بالتلميح السريع ، والإشارة البليغة ، في وصف هذه الأشياء .

* * *

هذه الصور التي بيناها آنفاً ، وحللناها هي أشهر الصور التي رسمها الشعراء لآثار الديار ، وأجملها في شعر الوقوف على الأطلال ، وأكثرها دوراناً في هذا الشعر . وهناك إلى جانب هذه الصور صور أخرى لا تقل عنها جودة وجمالاً . ولكنها أقل منها دوراناً في شعر الوقوف على الأطلال . وفي مُكنتنا أن نقول إن الصورة منها لم ترد إلا مرة أو مرتين في هذا الشعر . وهي مع ذلك جميلة طريفة ، ولا يحسن بنا أن نمضي دون أن نذكر عدداً منها ، ونقف عندها وقفة قصيرة .

وأولى هذه الصور وأشهرها هي تشبيه آثار الديار بظهر الأرقم ، وهو الثعبان المنقط . قال بشر بن أبي خازم الأسدي في ذلك (١) :

لمن الديارُ غشيتَها بالأنْعُمِ تبدو معارفُها كلونِ الأرقمِ (٢)
لعبتْ بها ريحُ الصَّبا ، فتنكَّرتْ إلا بقيــــةَ نُؤْيِها المتهدِّمِ (٣)

هذه صورة طريفة في وصف آثار الديار . ولكن الشعراء لم يرددوها كثيراً في شعر الوقوف على الأطلال على الرغم من طرافتها . وهي تشبه في تركيبها الصور المشهورة التي رأيناها آنفاً . إلا أن عنصر التشبيه ضعيف في هذه الصورة ، لقلة الشبه بين آثار الديار وبين ظهر الثعبان الأرقم . وهذا هو السر في قلة دوران هذه الصورة في شعر الوقوف على الأطلال ، فيما نرى .

* * *

(١) ديوانه ١٧٧ ـ ١٧٨ .

(٢) غشيتها : أي أتيتها . والأنعم : اسم موضع . ومعارف الديار : آثارها التي يعرفها الشاعر ، والأرقم : الثعبان المخطط أو المنقط ، مأخوذ من الرقم ، وهو النقش .

(٣) تنكرت : تغيرت ولم تعد معروفة . والنؤي : حفيرة كالخندق تحفر حول البيت لتمنع عنه ماء المطر وتدفع السيل .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهذه صورة ثانية طريفة أيضاً ، شبَّه فيها جرير آثار الديار بريش الحمام . قال جرير (١) :

لما أتيْنَ على حطَّابتيْ يَسَرٍ أبدى الهوى من ضمير القلبِ مكنونا(٢)
وشبَّهَ القومُ أطلالاً بأسْنُمَةٍ ريشَ الحمام، فزِدْنَ القلبَ تحزينا(٣)

يشبّه جرير في البيت الثاني آثار الديار بألوانها الكامدة على وجه الأرض ، وخطوطها المتعرجة ، بريش الحمام الأورق المتراكب بعضه فوق بعض في خطوط متتابعة . هذه الصورة فريدة غريبة في شعر الوقوف على الأطلال ، لم أجدها إلا في شعر جرير دون غيره من الشعراء في الجاهلية والإسلام . وما أرى لذلك سبباً سوى أن شعراء الجاهلية لم يعرفوا هذه الصورة . فلما جاء بها جرير لم يتبعه فيها الشعراء . فظلت لذلك غريبة فريدة .

* * *

ومن الصور الطريفة في هذا المجال تشبيه آثار الديار بالمذاهب (٤) ، وهي جلود مزينة منقوشة ، فيها خطوط مذهبة ، متتابعة بعضها في إثر بعض . وهي من أدوات الزينة عند النساء ، يتنطقن بها .

قال قيس بن الخطيم في ذلك (٥) :

أتعرفُ رسماً كاطِّراد المذاهبِ لعَمْرَةَ وحشاً غيرَ موقف راكبِ(٦)
ديارُ التي كادت ، ونحن على منىً ، تحلُّ بنا ، لولا نجاءُ الركائبِ(٧)

---

(١) ديوانه ٥٣٢ .
(٢) أتين : أي الأظعان أتين .
(٣) أسنمة : اسم موضع . وزدن : أي الأطلال زدن القلب تحزيناً .
(٤) واحدها مُذْهَب .
(٥) ديوانه ٣٣ ـ ٣٥ .
(٦) اطراد المذاهب : أي تتابع الخطوط المذهبة التي تزين المذاهب . وحشاً : أي خالياً . وغير موقف راكب : أي هي خالية إلا من وقوف أحد المسافرين بها بين حين وآخر ، ويريد الشاعر بهذا المسافر الراكب نفسه .
(٧) تحل بنا : تجعلنا نحل ونترل . ونجاء الركائب : سرعة سير الركائب ، وهي الإبل .

تبدّتْ لنا كالشمس تحت غمامة ... بدا حاجبٌ منها، وضنّتْ بحاجبِ

والتشبيه واقع في هذه الصورة بين رسوم الدار بألوانها وأشكالها وبين هذه الجلود المزينة الملونة ذات الخطوط المتتابعة. وهي صورة قليلة الورود أيضاً، لم يتداولها الشعراء كثيراً في مجال وصف آثار الديار.

* * *

ووجدت صورة نادرة غريبة أيضاً، شبّه فيها النابغة الذبياني آثار الديار وأثر هبوب الرياح عليها بالحصير المنمق المزين. قال النابغة (١):

توهّمتُ آياتٍ لها، فعرفتُها ... لستّة أعوام، وذا العامُ سابعُ (٢)

كأن مَجَرَّ الرامسات ذيولَها ... عليه حصيرٌ نمّقته الصوانعُ (٣)

على ظهر مبْناة جديد سيورُها ... يطوف بها وَسْطَ اللطيمة بائعُ (٤)

وقف النابغة على الديار بعد سبعة أعوام من الفراق، فعرف آثارها وآياتها بعد نظر وتوهم. ورأى أن الرياح قد نسفتها وجرّت فيها ذيولها، وسفت عليها الرمال والغبار. فأحدثت فيها خطوطاً متتابعة متعرجة. فبدت لعينيه لذلك كأنها قطعة حصير صنعته النساء الصوانع، ونمقت صنعه.

هذه صورة نادرة وجميلة حقاً، وهي مع ذلك فريدة، لم يتداولها الشعراء كثيراً، ولم أجدها إلا في شعر النابغة الذبياني. وما أظن ذلك إلا لانعدام عنصر اللون في هذه الصورة. فالتشبيه فيها قائم على عنصر الشكل وحده. وذلك أن الحصير يشبه آثار الديار بخطوطه المتتابعة المتعرجة. ولكنه لا يشبهها

(١) ديوانه ٥٠.

(٢) آيات لها: أي علامات للديار. لستة أعوام: أي بعد ستة أعوام.

(٣) الرامسات: الرياح التي ترمس الآثار، أي تطمسها وتدفنها.

(٤) المبناة: النطع الذي يلف على الحصر حين عرضها للبيع. واللطيمة: يعني السوق التي فيها طيب.

في اللون ، لأن الحصير لا يكون ملوناً ، وإنما لونه هو لون القصب أو القش الذي يصنع منه .

وقد يكون لندرة هذه الصورة في شعر الوقوف على الأطلال سبب آخر يضاف إلى السبب الأول ، وهو قلة استعمال العرب الحصير في بيوتهم في البادية . فهو لم يكن لذلك من مرئيات الشعراء المألوفة في حياتهم . ويكثر صنع الحصير واستعماله في العراق ، لكثرة القصب فيه . والنابغة قد عاش طويلاً في العراق على صلة بالنعمان ملك الحيرة . ونرى أنه قد شاهد الحصير هناك ، وتكررت مشاهدته له ، حتى انطبعت صورته في ذهنه ، ثم بدت في شعره .

وصف بقايا الديار

اهتم الشعراء ببقايا الديار في شعر الوقوف على الأطلال ، واعتنوا بوصفها وتصويرها ، وأكثروا من ذلك ، كما فعلوا في وصف آثار الديار وتصويرها بجملتها .

وبقايا الديار قليلة محدودة على العموم . ومع ذلك كان الشعراء يهتمون ببعض البقايا دون بعض ، على الرغم من قلتها . وكانوا يختارون بعضها ، فيخصونه بالوصف والتصوير ، ويهملون بعضها ، فلا يذكرونه إلا قليلاً . ويبدو لنا أن السر في هذا الاختيار هو العناية بالبقايا التي تساعد الشعراء على الوصف ، وتثير قرائحهم ، وتفسح مجالاً لأخيلتهم في التصوير .

ونحن ، على طريقتنا المألوفة في البحث ، نعرض عن إحصاء هذه البقايا التي عُني بها الشعراء ، ونقتصر في الدراسة على البقايا والأجزاء التي أكثروا من ذكرها ووصفها في شعر الوقوف على الأطلال ، وتداولوها بالتصوير . ونكتفي بذلك عن التفصيل والاستقصاء .

* * *

وأهم بقايا الديار ، وأكثرها دوراناً في الشعر هو الرماد ، أي رماد النار الذي يخلفه الراحلون وراءهم في الديار . فقد أكثر الشعراء من ذكر الرماد في شعر الوقوف على الأطلال ، ووصفوه في صور كثيرة . وتمتاز هذه الصور جميعاً بهدوء وسكون غريبين ، يبعثان في نفس الإنسان الحزن والكآبة ، ويثيران فيها الأسى .

وينظر الشعراء في هذه الصور جميعاً إلى شيئين اثنين في الرماد دائماً ، هما لونه أولاً ، ومكانه بين الأثافي ثانياً . وهذان الشيئان هما مواد تصوير الرماد ، ومداره في شعر الوقوف على الأطلال .

أما في مجال التصوير الذي يدور على لون الرماد فقد جرى الشعراء على تشبيهه إما بالكحل ، وإما بطير أورق ، حمامة أو قطاة .

قال الأسود بن يعفر النهشلي في تشبيه الرماد بالكحل (١) :

هل بالمنازل إن كلمتها الخرس ... أم ما بيان أثافٍ بينها قبسُ (٢)

كالكحل أسودَ ، لأْياً ما يكلّمنا ... مما عفاه سحابُ الصيِّفِ الرَّجِسُ (٣)

يقصد الشاعر بالقبس ها هنا الرماد بين الأثافي . وهو يُعْنَى بلونه كما نرى ، ويصوره بتشبيهه بالكحل الأسود . هذه الصورة قليلة الورود في شعر الوقوف على الأطلال ، لم يُلِحّ عليها الشعراء كثيراً . وليس فيها مزيد جمال ، ولا كبير غناء . ولعل هذا هو السبب في قلة ورودها في هذا الشعر وانصراف الشعراء عنها .

---

(١) شعره في ملحقات ديوان الأعشى ٣٠٠ .

(٢) القبس : هو قبس النار في الأصل ، ويريد به الرماد هنا .

(٣) لأياً : بطيئاً . الصيف : مطر الصيف ، وهو الربيع عند العرب . والرجس : التي ترتجس بالمطر .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وأشهر من هذه الصورة وأجمل ، وأكثر منها دوراناً في شعر الوقوف على الأطلال ، الصورة التي رسمها الشعراء في مجال تصوير الرماد بتشبيهه بالطير الأورق . قال الحطيئة في ذلك (١) :

لمــــن الديارُ كأنهنَّ سطورُ ... بلِوَى زَرُودَ سَفَى عليها المُورُ (٢)
نُؤْيٌ ، وأطلسُ كالحمامة ماثلٌ ... ومُرَقَّعٌ شُرُفاتُه مَحجــــورُ (٣)

يقصد الحطيئة بالأطلس في البيت الثاني الرمادَ الأطلس ، أي الأسود الذي يشوبه بياض . وهو يُعْنَى بلونه وشكله ، ويصوره بتشبيهه بالحمامة من حيث اللون أولاً في قوله « وأطلس كالحمامة » ، ومن حيث الشكل ثانياً في قوله « ماثل » . والحمامة حين تجثم على الأرض تبدو بارزة عنها قليلاً ، كما تبدو كومة الرماد . وهذا معنى قول الحطيئة « ماثل » .

والعلاقة في هذه الصور بين الرماد وبين الأشياء التي يشبهونه بها حين التصوير هي دائماً علاقة اللون . وهو اللون الأبيض الذي يشوبه بياض خفيف على الأغلب ، وهو لون الرماد . وهذا اللون يبعث الهدوء والسكينة في النفس ، بسبب توسطه بين اللون الأسود الوقور وبين اللون الأبيض البهيج . فهو يأخذ من هذا ، ويأخذ من هذا ، ويكون وسطاً بينها ، فيه من الوقار شيء ، وفيه من البهجة أثر . وهذا المزيج بين الوقار والبهجة هو الذي يبعث الهدوء والسكينة في نفس الإنسان . وتنضاف إلى ذلك المعاني الأخرى التي تأتي قبل الصورة وبعدها في شعر الوقوف على الأطلال ، فتزيدها هدوءاً وسكينة ، حتى يصل الأمر بالإنسان إلى الشعور بالحزن والكآبة والأسى في تأمل هذه الصور .

---

(١) ديوانه ٣٢٦ .
(٢) المور : الغبار الذي تذروه الريح . وسفى عليها : هبَّ عليها مع الريح .
(٣) النؤي : حفرة حول البيت كالخندق تمنع عنه ماء المطر . والمرفع شرفاته : المسجد .

وأما في مجال تصوير الرماد نظراً لمكانه وموقعه بين الأثافي الثلاث فقد سار الشعراء على تشبيهه بالبَوّ(١) بين النوق العواطف، أو تشبيهه بالرجل السقيم بين النساء العائذات(٢).

قال عبد الله بن الدمينة في الصورة الأولى(٣):

فلم يبقَ من آياتها غيرُ مسجدٍ ومُسْتَوْقَدٍ كالبَوِّ بين العواطفِ(٤)

يصف ابن الدمينة الرمادَ بين الأثافي هنا. والشبه قريب في الواقع بين الرماد في مكانه، وقد أحدقت به الأثافي الثلاث، وبين البو في مكانه أيضاً، وقد أحاطت به النوق العواطف تشَمَّه، وتعطف عليه والهة، وتحن حنيناً موجعاً.

هذه الصورة محسوسة، يستمدها الشاعر من واقع الحياة اليومية في بيئة البادية. فكثيراً ما يلجأ الأعراب، ولا سيما في أيام الربيع حين نتاج الإبل، إلى إقامة تمثال البو، ويعمدون إلى خداع النوق عن اللبن بهذا التمثال إذا انتُزِعَتْ منها أولادها بالموت أو بالذبح.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقال كُثَيِّر عزَّةَ في الصورة الثانية(٥)، وهي تصوير الرماد بالرجل السقيم بين النساء العائذات:

أمِنَ آلِ قَيلةَ بالدَّخول رسومُ وبِحَوْمَلٍ طللٌ يلوح قديمُ

(١) البو: جلد ولد الناقة الصغير يحشى بالتبن أو الحشيش اليابس، ويعرض على النوق التي تموت أولادها أثناء الولادة أو بعدها بقليل، فتعطف عليه، وتدر باللبن، وهي العواطف.

(٢) النساء اللواتي يعذن المريض ويرقينه اشفاقاً من المرض، وطرد الجن أو الأرواح الشريرة عنه.

(٣) ديوانه ١٣٥.

(٤) المستوقد: المحترق، وهو يريد به الرماد ها هنا.

(٥) ديوانه ٢٥٣/١.

لعب الرياحُ برسمه ، فأجدَّه جُونٌ عواكفُ في الرماد جُثوم(١)
سُفْعُ الخدود،كأنهن ، وقد مضتْ حِجَجٌ ، عوائدُ بينهن سقيم(٢)

جعل الشاعر في هذه الصورة الرمادَ كالرجل السقيم ، وقد قامت النساء العوائد من حوله ، فأطفن به لمعالجته وتعويذه . ونرى في الصورة الأثافي ، وهي حجارة القِدْر ، وقد بدت قائمة محيطة بالرماد كالنساء المطيفة بالرجل السقيم .

وعناصر هذه الصورة عناصر محسوسة كما نرى ، يستمدها الشاعر من واقع الحياة اليومية في بيئة البادية . فعجائز النساء هن اللواتي يقمن بمداواة المرضى ومعالجة الجرحى في البادية . حتى إن بعض النساء يتخذن ذلك مهنة يزاولنها بين أبناء القبيلة ، ويُعْرَفن بها . ومن أساليبهن في المداواة الرُّقية والتعويذة ضد الشياطين والأرواح الشريرة ، وتعليق بعض الأشياء والأدوات على المريض أو الأشياء القريبة منه لرد العين الصائبة .

* * *

والشيء الثاني الذي أكثر الشعراء من ذكره ووصفه في شعر الوقوف على الأطلال هو الأثافي ، وهي الحجارة التي تنصب عليها القدر . وعددها ثلاثة أحجار ، توضع اثنتان منها متقابلتين من يمين وشمال ، وتوضع الثالثة في الخلف . وتوقد النار تحت القدر بين الأثافي الثلاث .

(١) أجده : أي جدده . والجون : جمع جَوْن ، وهو الأسود هنا ، ويريد بها الأثافي التي اسودّت بالنار . وعواكف : أي قائمة ثابتة .
(٢) سفع الخدود : أي سود الخدود ، محترقة من أثر النار ، يصف بهذا الأثافي . والحجج : جمع حِجّة ، وهي السنة .

وقد درج الشعراء منذ الجاهلية على وصف الأثافي وتصويرها في شعر الوقوف على الأطلال . وتتابعوا جميعاً على تشبيهها بالحمائم الجاثمة ، في هذا التصوير . قال زهير بن أبي سلمى في ذلك (١) :

غشيتُ الديارَ بالبقيع فثهمدِ دوارسَ قد أقوَيْنَ من أم معبدِ (٢)
أربَّتْ بها الأرواحُ كلَّ عشيةٍ فلم يبق إلا آلُ خَيْمٍ مُنَضَّدِ (٣)
وغـــيرُ ثلاثٍ كالحمام خوالدٍ وهابٍ مُحيلٍ هامدٍ مُتَلبِّدِ (٤)

والثلاث في البيت الأخير هن الأثافي الثلاث . وقد صورها زهير ، وشبهها في تصويره بالحمام كما نرى .

والشبه واقع فعلاً بين أثافي القدر وبين الحمام في عنصرين اثنين ، يلفتان النظر ، ويدعوان أخيلة الشعراء إلى تشبيه الأثافي بالحمام . هذان العنصران هما اللون ، والشكل أو المظهر الخارجي . فأما من حيث اللون فالأثافي والحمام سفع الألوان غبراء ، أي أنها سود ، يشوب سوادها بياض قليل ، فتضرب إلى الغُبْرة . وهذا هو لون الحمام البري ، وهي القماري التي يقصدها الشعراء في مثل هذه الصور . وهذا هو أيضاً لون الأثافي الذي تكتسبه بعد أن تحرقها النار ، وتسوّد جوانبها .

وأما من حيث الشكل أو المظهر الخارجي فالأثافي تبدو في أماكنها مجتمعة لاصقة بالأرض ، ساكنة هادئة ، في وضع معين . وكذلك الحمام ، فهو عندما يقع على الأرض يجثم عليها ، ويبدو لاطئاً بها ، لا يبدي حراكاً .

(١) ديوانه ٢١٩ — ٢٢٠ .
(٢) أقوين : أي خلون من أم معبد ، من أقوى المكان ، إذا رحل عنه أهله وخلا .
(٣) أربت : أقامت . والأرواح : الرياح . وآل الخيمة : خشبانها ، واحدها آلة .
(٤) الهابي : الرماد الذي عليه هَبْوة ، وهي الغبار ، من طول القدم .

وهذه أبيات لحسان بن ثابت يصور فيها الأثافي أيضاً . وهي أوضح وأجمل من الصورة التي أتى بها زهير في أبياته . قال حسان (١) :

أشاقك من أم الوليد ربوعُ بلاقعُ ما من أهلهن جميعُ(٢)

عفاهنَّ صيفيُّ الرياح ، وواكفٌ من الدَّلو رجَّافُ السحاب هَموعُ(٣)

فلم يبقَ إلا مَوْقدُ النار حوله رواكدُ أمثالُ الحمام وُقوعُ(٤)

ونرى الأثافي الثلاث ، في هذه الصورة ، ساكنة هادئة حول موقد النار ، كأنها بألوانها وأشكالها حمائم جاثمة على الأرض .

هذا وقد رأينا آنفاً في معرض كلامنا على الرماد ووصفه ، في هذا الموضوع ، أن الشعراء قد صوروا الأثافي ، وشبهوها في أماكنها حول الرماد بالنوق العواطف التي تطيف بالبو ، وتعطف عليه . ورأينا كذلك أنهم شبهوها في هذا المجال بالنساء العوائد اللواتي يحففن بالرجل السقيم ، ويمددنه لشفائه من السقم . ولا نريد الوقوف عند هاتين الصورتين ، ونكتفي بما قلناه في شرحها آنفاً .

* * *

وهناك شيء ثالث ردَّد الشعراء ذكره كثيراً في شعر الوقوف على الأطلال ، وهو النُّؤْيُ (٥) من بقايا الديار . والنؤي حفير أو خندق صغير يحفر حول

(١) ديوانه ٢٥٧ ــ ٢٥٨ .

(٢) بلاقع : أي خالية . وجميع : مجتمعون .

(٣) واكف من الدلو : أي مطر من برج الدلو . والهموع : الذي يسيل .

(٤) رواكد : أي ساكنة ، ويريد بها الأثافي الثلاث الساكنة حول موقد النار . ووقوع : أي واقعة على الأرض جاثمة .

(٥) ويجمع النؤي على النُّئِيِّ .

بيوت الأعراب في البادية ، لدفع مياه المطر والسيل ، ومنعها من دخول البيت . وذلك أن المياه حين تجري تنحدر في هذه الحفرة ، وتسيل فيها ، وتتفرق في الأرض بعد ذلك بعيداً عن البيت .

وقد وصف شعراء العرب النؤي ، وأكثروا من وصفه وتصويره . وشبهوه في أثناء هذا الوصف بحوض الماء ، ولا سيما حوض الماء المهدم . قال النابغة الذبياني في ذلك (١) :

توهمتُ آياتٍ لها فعرفتُها لستة أعوام ، وذا العام سابعُ (٢)
رمادٌ ككحل العين لأْياً أبينُه ونؤيٌ كجِذْمِ الحوض أثلمُ خاشعُ (٣)

يذكر النابغة النؤي بين بقايا الدار كما نرى ، ويصوره ، فيشبهه في هذا التصوير بطرف الحوض ، لاستدارة النؤي حول البيت ، كما يستدير الحوض ، ثم لارتفاع حافة النؤي عن الأرض لحبس الماء ، كما ترتفع حافة الحوض لحبس الماء أيضاً . وهاتان هما العلاقتان بين النؤي وبين الحوض في التصوير ، أي الاستدارة وارتفاع الحافة عن الأرض .

والحوض الذي يذكره الشعراء في مجال التصوير هنا هو حوض الماء الذي كان الأعراب يقيمونه قريباً من بيوتهم ، ويجمعون فيه الماء المستخرج من الآبار التي يبنى الحوض بالقرب منها ، أو الماء المستجلب على ظهور الإبل من الغدران التي تتجمع فيها ماء المطر . وكان الأعراب يبنون هذه الأحواض بالطين والحجارة ، وحين يرحلون عن الدار كانوا يتركونه كما هو ، كما

---

(١) ديوانه ٥٠ .
(٢) الآيات : العلامات . لستة أعوام : أي بعد ستة أعوام .
(٣) لأياً : أي بطيئاً . وجذم الحوض : أصل حائطه الذي يبقى بعد أن يتهدم . وخاشع : لاصق بالأرض من الخراب .

يتركون سائر البقايا . فيتهدم مع الزمن ، وتتثلم أطرافه ، كما ذكر النابغة في شعره . فالصورة مستمدة من بيئة الأعراب في البادية كما نرى .

وقد رسم شعراء العرب صورة أخرى للنؤي حين وصفهم له ، وهي تشبيه النؤي بسوار من العاج . قال كثير عزّة في صفة نؤي[1] :

عرفتُ لسعدى بعد عشرين حِجّةً بها دَرْسَ نؤيٍ في المحلة منحني[2]
قديمٍ كوقف العاج، ثُبِّتَ حوله مفاررُ أوتادٍ ، برَضْمٍ مُوَضَّنِ[3]

والعلاقة بين النؤي وبين سوار العاج في هذه الصورة ، أو وجه الشبه بينها ، هو الاستدارة وارتفاع الحافة أيضاً ، كما في الصورة الأولى التي شبّه الشعراء فيها النؤي بحوافي الحوض .

والأسورة المصنوعة من العاج أو الذَّبْل من الحلي التي كان نساء الأعراب في البادية يتزيَّنَ بها . وهن إلى اليوم يتحلين بحليٍّ لا تختلف كثيراً عن هذه الأسورة التي ذكرها الشعراء في القديم .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

* * *

وأخيراً نصل إلى الوتد ، وهو الشيء الرابع من بقايا الديار الذي اهتم به الشعراء في شعر الوقوف على الأطلال . فذكروه في شعرهم ووصفوه وصوروه . ولكنهم لم يكثروا من ذكره مثلما أكثروا من ذكر الأشياء الأخرى . وقد شبهوه في أثناء الوصف والتصوير بالشجيج أو المشجوج ،

---

(١) أمالي المرتضى ٣٤/٢ ، وديوانه ٥٨/٢ .
(٢) الحجة : السنة . بها : أي بالدار . ودرس : أي دارس .
(٣) وقف العاج : سوار العاج . برضم موضن : أي النؤي مركوم بحجارة بعضها فوق بعض .

وهو الرجل الذي شُجَّ رأسه . قال حسان بن ثابت في ذلك (١) :

لمن منزلٌ عافٍ كأنَّ رسومَه   خياعيلُ رَيْطٍ سابريٍّ مُرَسَّمِ (٢)
خلاءُ المبادي ، ما به غيرُ رُكَّدٍ   ثلاثٍ كأمثال الحمائم جُثَّمِ (٣)
وغيرُ شجيجٍ ماثلٍ حالفَ البِلى   وغيرُ بقايا كالسحيق المنمنمِ (٤)

والعلاقة بين عصا الوتد وبين الرجل الشجيج هي أن الوتد قد ينكسر حين يدق في الأرض ، فينفصم إلى شطرين تكون بينها فرجة ضيقة ، تبدو كالشجة في رأس الإنسان ، فتنبه الشعراء لذلك ، أي التشابه بين الشجة في رأس الإنسان وبين الشق في رأس الوتد ، وجعلوه وجهاً للشبه ، واتخذوه عنصراً للتصوير كما نرى .

وهناك عنصر آخر نفسي في هذه الصورة ، وهي مسألة الضرب والدق . فالشجة في رأس الإنسان أثر من آثار الضرب ، والانكسار والانفصام في رأس الوتد أثر من آثار الضرب والدق أيضاً . وهذا هو الدافع النفسي الذي جعل الشعراء يقيمون هذا التشبيه في أثناء تصوير الوتد إلى جانب التشابه في الشكل أو المظهر الخارجي . فالعلاقة بين عناصر التصوير في هذه الصورة علاقة مادية ونفسية معاً .

وهناك صورة أخرى رسمها الشعراء للوتد في أثناء تصويره ، وهي تشبيهه بالرجل الأشعث ، وهـــو الذي قد تشعث شعره ، أي تفرق .

---

(١) ديوانه ٣٩٢ ـ ٣٩٣ .

(٢) خياعيل : أي قطع ، واحدها خيعل . والريط : ثوب لين طويل الذيل . والسابري : المنسوب إلى سابور ملك الفرس . والمرسم : المزين بالرسوم .

(٣) المبادي : الظواهر . والركد الثلاث : الأثافي الثلاث .

(٤) الشجيج : يريد به الوتد الذي انكسر أعلاه وافترق فرقين . والماثل : القائم البارز . والسحيق : الثوب السحيق ، وهو البالي . والمنمم : المزين بنقوش صغيرة .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

قال حسان بن ثابت في ذلك أيضاً (١) :

أهاجكَ بالبيداء رسمُ المنازلِ   نعم ، قد عفاها كلُّ أسْحَمَ هاطلِ (٢)
وجرَّت عليها الرامساتُ ذيولَها   فلم يبق منها غيرُ أشعثَ ماثلِ (٣)

والعلاقة بين الوتد وبين الشعر المشعَّث هي أن أجزاء الخشب وأليافه في رأس الوتد تتفرق من أثر الضرب والدق ، وينفصل بعضها عن بعض دون أن تنقطع ، فتبدو على شكل خيوط متفرقة متشابكة في أعلى الوتد القائم ، كما تبدو اللمة الشعثاء على رأس الرجل .

* * *

هذه أهم الأشياء التي ذكرها الشعراء من بقايا الديار ، وصوروها في شعر الوقوف على الأطلال . وقد عرضنا للصور أو التشبيهات التي أوردوها في معرض الوصف والتصوير . وحاولنا أن نبين أجزاء هذه الصور ، والعلائق التي وجدوها بين هذه الأشياء من بقايا الديار وبين الأشياء التي شبهوها بها . وقد رأينا أن معظم هذه الصور مستمدة من حياة الأعراب في بيئة البادية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولقدكانت طريقتنا في هذا العرض والبيان هي طريقة الإيجاز ، والإشارة إلى الأمور العـــامة ، وترك الأمور الصغيرة التي تدخل في الدقائق ، لأن الاهتمام بها ، والبحث فيها يطول ولا ينتهي . وهو بعد لا يغني كثيراً في مثل هذه الدراسة .

(يتبع)   الدكتور عزة حسن

(١) ديوانه ٣١٣ .
(٢) الأسحم : السحاب الأسود .
(٣) الرامسات : الرياح التي تثير التراب فترمس به الآثار ، أي تدفنها . والأشعث : يريد به الوتد الذي قد تشعث أعلاه .

التعريف والنقد

كتاب الديانة

تأليف الأستاذ عبد الغني حمّادة

اداب — سورية (صفحاته ١٠٠)

إن خير عمل يقوم به رجال الدين والإصلاح في هذا العصر هو تنوير أذهان العامة ، وتهذيبهم تهذيباً إسلامياً مقتبساً من نور الحنيفية السمحة ، وتفهيمهم أصول الإسلام الراسخة ، وعقائده الصحيحة ، وأحكام العبادات والمعاملات ، وما تضمنته الديانة من الحكم والأسرار ، على وجه يشرب قلوبهم حب الدين ، ويبث فيهم روح النشاط والاغتباط به .

وهذا (كتاب الديانة) يبحث في أركان الإسلام ، من صلاة وزكاة وحج وصيام ، وما اشتملت عليه هذه الأركان من الأحكام ، ففي هذا المؤلَّف بيان لهذه العبادات ، وتفصيل لأحكامها ، وهو - كما قال الأستاذ المؤلف - قد قرّب البعيد ، ويسّر العسير ، وسهّل الصعب . وجعله في متناوَل أيدي المسلمين يقطفون ثماره ، فجزى المولى تعالى الأستاذ الجليل حمّادة خير الجزاء .

محمد بهجة البيطار

رسالة : صحّح صلاتك

تأليف الأستاذ عبد الغني حمّادة

ادلب — سورية

هذه رسالة مهداة إلى الآباء والأمهات ، والمعلمين والمعلمات ، الذين يجب عليهم تعليم أبنائهم وبناتهم أحكام الصلاة وفوائدها ، حتى يكونوا مخلصين لأمتهم ولوطنهم ، وبذلك رفع مستوى الأمة ، وتقدّم حضارتها » .

هذه شذرة من كلام الأستاذ المؤلف في الصفحة الأولى من رسالته الزاهرة تحت عنوان (هدية ثمينة) وقد قدّم ـ حفظه الله في طليعة رسالته ـ التي تبلغ ما يقرب من مائة صفحة بقطع الربع ـ مقدمات نافعة في مدرسة الحياة الإجبارية بعنوان : (الدين النصيحة) ثم بدأ رسالته ، وجعلها محاورة قيّمة بين طالبين ، أحدهما يسأل ، والآخر يجيب . ومن الأسئلة والأجوبة ما هو عامّ ، ومنه ما هو خاصّ بالصلاة وأحكامها ؛ فمن العامّ السؤال عن التقوى وفوائدها ، وجواب المجيب : التقوى هي فعل العبادات ، واجتناب المحرّمات ، وفوائدها كثيرة ، وأورد شواهد من الفوائد منها قوله تعالى : « ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا » .

وهذا الكتاب (صحّح صلاتك) يزيل عمّن تدبره كلّ إشكال وسؤال ، ويجعله ملتزماً للأحكام ، بصدق وإيمان .

م . ب .

كتاب القضاء والقدر

تأليف الأستاذ عبد الغني حمّادة

الطبعة الثانية فيها زيادات مهمة على الطبعة الأولى

عدد صفحاته (١٣٠) صفحة طبع بحلب

هذا الكتاب الجليل ، لمؤلفه الأستاذ الشيخ عبد الغني حمّادة الإدلبي ، ألفه داعياً إلى الإيمان بالقدر ، لأنه أحد الأركان الستة ، وهي الإيمان بالله وملائكته ، وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره .

وقد ذكر القضاء والقدر في آي الذكر الحكيم ، في سورة البقرة : « بديع السموات والأرض وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون » أي إذا أراد إيجاد أمر فإنما يأمره أن يكون موجوداً فيكون ، وفي آل عمران : « قال كذلك الله يخلق ما يشاء ، إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون » .

وفي الحديث الصحيح : استعن بالله ولا تعجز ، فإن أصابك أمر فقل : قدر الله وما شاء فعل ، ولا تقل : لو أني فعلت كذا لكان كذا ، فإنّ (لو) تفتح عمل الشيطان .

والكتاب كلّه فوائد وفرائد ، فهو يروي عن الرسول الأمين ، وعن أصحابه والتابعين ، وعن علماء الأمة وحكمائها ، وفيه حكمة إرسال الرسل (صلوات الله عليهم أجمعين) ومباحث إرادة العبد وقدرته ، وفيه الرحمة والدعاء والسعادة والشقاء ، وعوامل الخير والشر في نفوس العباد ، وهداية الله للناس ، والقضاء المعلّق ، وبحث الضلال والإضلال ، وختمه بمناظرات خمس ، وبعدها خاتمة الكتاب . وجملة ما بيّنه الأستاذ حمّادة في هـذا

الكتاب أن القضاء والقدر ، ليسا هما العجز والكسل ، بل هما الجدّ والعمل ، إلى أن تحين ساعة الأجل ، ومصداقها قول القائل :

مطالب تدعوني وأدعو الطالبا فلا زلت مطلوباً ولا زلت طالبا

نزيد على ما استدركه المؤلف ما يأتي :

صفحة	سطر	خطــأ	صواب
٦٩	١	لا تبديل لخلق	« لخلق الله »
٧٢	١١	فهديناه	« فهديناهم »
٧٣	١٤	الارض	« في الأرض »
٧٤	١	يريد بكم	« يريد الله بكم »
٨٨	٤	صوقة	صدقة
٩٤	١٤	لا يهتدي	« لا تهتدي »
٩٧	٢١	ازاغوا	« زاغوا »
١٠٧	١٠	أحد	« أحدا »
١٠٧	١٣	من ان	« من قبل أن »
١٠٨	٦	والاحسان وينهى	« والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى »

م . ب

✻✻✻

أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه

تأليف الأستاذ عبد الغني حمّادة

ادلب — سورية

أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، أكبر من أن يوصف ، وأشهر من أن يُعرَّف ، فقد كان صَدِيق رسول الله ﷺ ، وصدّيقه فيما جاء به عن ربه عزّ وجل ، وكان المثلَ الإنسانيَّ الكامل في محاسنه وخصائصه ومزاياه التي انفرد بها عن غيره ففي تاريخ الإسلام للحافظ الذهبي(١) أنه لمّا استخلف ألقى كلَّ دينار ودرهم عنده في بيت المال ، وقال : قد كنت أتجر فيه وألتمس به ، فلمّا وليتهم شغلوني . وقد تمت بيعته من غير قتال ولا جدال وبايعه من بعد المهاجرون والأنصار ، ولمّا مرض الرسول صلوات الله عليه أمره أن يصلي بالناس ، فكان ذلك أعظم إشارة لاستحقاقه الخلافة من بعده . وفي السيرة النبوية لابن هشام(٢) : قال النبي عليه الصلاة والسلام انظروا هذه الاخفقة في المسجد (النافذة إليه) فسدّوها إلاَّ باب أبي بكر فإني لا أعلم أن أحداً كان أفضل في الصحبة عندي يداً منه . وقال يومئذ في كلامه هذا : فاني لو كنت متخذاً من العباد خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلا ، ولكن صحبة وإخاء إيمان ، حتى يجمع الله بيننا عنده .

ولمّا توفي رسول الله ﷺ عظمت به مصيبة المسلمين ، فكانت عائشة تقول : صار المسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية لفقد نبيهم ﷺ حتى جمعهم الله على أبي بكر .

وبعد فهذه سيرة أبي بكر الصديق (رض) كتبها الأستاذ الجليل الشيخ عبد الغني حمّادة الادلبي ، قد اشتملت على عبقرية الخليفة ، وانعقاد الإجماع

---

(١) ج ١ ص ٣٨٦ .

(٢) ج ٤ ص ٢٩٩ و٣١٦ .

على خلافته ، وأوصاف الخلفاء الراشدين ، وزهدهم في الدنيا ، وبعدهم عنها ، وعدلهم وفضلهم ، وبهذه المناسبة تذكرت كلمة الأستاذ الكبير فارس الخوري الشهير ، قال لي مرة : الخلفاء الراشدون لا نظير لهم في الدنيا ، ففي عهدهم غنيت الأمة كلها إلاّ الخلفاء فقد آثروا الفقر على الغنى اهـ . مادلّ على خلافة الصديق من آي الذكر الحكيم ، وسنة النبي الكريم ، علمه الجم ، ورعه الأتم ، فضله الأعم ؛ ترجمة الإمام النووي له ، شهادة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب له ، خصوصياته التي انفرد بها ، شجاعته التي امتاز بها ، حياته وأعماله في زمن خلافته . إسناد أبي بكر الأعمال ، إلى الأكفياء من الرجال ، قادة الجيوش في عهده لفتح الشام ، حروب النساء في الإسلام المبايعة على الموت ، انقضاض الأبطال على الأعداء الآثام ، حرب الصاعقة ، ولايات الإسلام في عهده ، شذرة من عبقرية عائشة أم المؤمنين وحسن تدبيرها ، عود إلى وصف الصدِّيق والصحابة الكرام . الدعوة إلى إحياء ذكرى سلفنا الصالح ودراسة تاريخهم المجيد ، وهذا هو حُسن الختام . فالشكر العطير للأستاذ المؤلف على هذا التأليف الجامع أثابه المولى أجزل الثواب .

استدراك : جاء (ص ١١٦) في وصف الصديق ما نصه : ويستند في أعماله إلى الله ، لا إلى نبيه ورسوله ، بدليل أنه حين توفي رسول الله لم يطش كما طاشت عقول الصحابة ، أقول : لا يخفى أن الإحياء والإماتة هما من أفعال الله تعالى ، فلا تسند إلى غيره ، قال تعالى : « الله يتوفى الأنفس حين موتها » ، وأما بيان المجمل في القرآن ، فموكول إلى النبي عليه الصلاة والسلام ، قال تعالى : « لتبين للناس ما نزل إليهم » ، وقال : « وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا » ، وهل عُلم من آي الذكر الحكيم عدد ركعات الصلاة ، ومقادير الزكاة وأحكام الصيام ، ومناسك

الحج ؟ أم الذي بيَّن ذلك كلَّه هو قول النبي وفعله ؟ لا شك إنه لولا بيانه صلوات الله عليه لبقي الأمر مبهماً علينا .

نضيف إلى جدول الخطأ والصواب ، ما يأتي :

صفحة	سطر	خطــأ	صواب
٢٠	١٢	وليستخلفنهم	« ليستخلفنهم »
٩٠	٢	خاضوها	خاضوها
١١٢	١	أظهروا	أظهرن
١١٣	١١	بنيب أبيها	بنيب أباها

م . ب .

المختار من أحاديث سيد الأبرار

بقلم جواد المرابط

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

إنَّ خير عمل يقوم به رجال العلم والإصلاح ، هو تنوير أذهان جماهير الأمة ، وتهذيبهم تهذيباً مقتبساً من نور الحنيفية السمحة ، وتفهيمهم أصول الإيمان الراسخة ، والعقائد الصحيحة ، وأحكام العبادات والمعاملات ، على وجه يحملهم على العمل بأحكامه ، والإذعان بأن جميع ما أوجبه الشارع الحكيم أو حرَّمه ، هو مبني على جلب المصالح للأمة ، ودرء المفاسد عنها ، وبذلك يكون الله ورسوله أحبَّ إليهم مما سواهما ، ويكون امتثالهم للشرع فعلاً وتركاً — امتثالاً مبنياً على الإذعان بأن الشريعة أبرُّ بالإنسان وأرفق به من أبيه وأمه ، وأن جميع ما شرعه الله للناس ، فهو لخير مجتمعهم الإنساني ولدفع الشرور والغوائل عنهم .

وهذا كتاب (المختار من أحاديث سيد الأبرار) تأليف الأستاذ السلفي الصوفي ، السيد جواد المرابط ، الجامع بين هدي الدين ورقي العصر على أكمل الوجوه .

وقد جاء في طليعة كتابه قوله « وبعد : فهذه مجموعة من الأحاديث النبوية ، تعتبر - بعد المرجع الأعلى ، والدستور المحكم ، وهو القرآن الكريم - ، أرفع ما حوته لغة ، أو وضمه كتاب ، وهي إذ تهدي لسعادة الدارين ، وتجمع بين ما يحتاجه الإنسان في حاجاته الجسمية ، ومطالبه الروحية ، وبما تتضمنه من علاج النفوس ودواء للعقول ، ووسيلة لرقي المجتمع الإنساني ، تعدّ أسمى ما يرشد إلى الحياة الكريمة والعيش الرضي » .

وقد استهلّه بمقدمات بيّن فيها كون السنّة المصدر الثاني للشريعة ، وبأنه أتى منها في كتابه بما يسهل حفظه ويعظم نفعه ، وبما يرغب في سعادة الجنس البشري كله ، وأوضح أنّ أول من استجاب للدعوة الإسلامية هم أهل الإنصاف والإخلاص ، جمعها بين الحكمة والرحمة ، وضرب لهذا مثلاً بما سمعه من كلام النبي أحدُ حكماء قريش وحلمائها وأصحاب الرأي فيها ، فكان ذلك من أقوى أسباب إسلامه ، وبوحي الله المعجز وبسنة نبيه الهادي زالت السخائم والأحقاد من قلوب الأوس والخزرج ، وأصبحوا بنعمة الله إخواناً ، وبأسلوب السنة العالي الغالي بعد أسلوب الكتاب المنزل ، اهتدى الصحب الكرام للتفريق بين فضائل الحلال ورذائل الحرام ، ثم نقل الأستاذ الجواد ثمانية قوانين من تلمود اليهود ، وفيها الهلكة للعالم كله ، واستباحة دمائهم وأبدانهم وأعراضهم وأموالهم ، وتقديمها للشعب المختار ! وهم جميعاً لا يبلغون على وجه البسيطة كلها أكثر من بضعة عشر مليوناً ! ثم ذكر ما للأحاديث النبوية من توجيهات رفيعة للإنسان ولمجتمعه ولحكومته ، وأبان إحكام الرابطة الدينية بين أهلها ، وأنها أعدل الروابط وأفضلها .

وبعد أن أتم الأستاذ المرابط هذه المقدمات النافعة الرافعة ، أخذ يورد الأحاديث الشريفة ، وجعل لكل طائفة منها عنواناً يشير إليها ، ويدلّ عليها ، فالأولى أدعية مبدوءة بقوله عليه أزكى التحية (اللهم) ، والثانية بعنوان : حقيقة المسلم ، ثم الإيمان ، فأحَد أحَد ، فتمام البر ، فتعلّموا ، فاسعَوا ، فنظام البيت ، فخير الناس ، فاتحدوا ، فآداب اجتماعية ، فالأوامر ، فالنواهي ، فطرق الخير ، فالجهاد ، فأولياء الأمر ، فحرُمة الملكية والتضامن الاجتماعي ، وعقد فصلاً بعنوان (من الحِكم) فقواعد صحية ، ثم عنوان : ارفقوا بالحيوان ، فأصول فقهية ، ثم : لدوا للموت ، فمواعظ ، فمن الأذكار ، ومن المأثورات ، ثم كلمة الختام .

وقد جمع الكتاب فأوعى من هذه المقاصد والفوائد ، وفي كلمته الختاميّة يوجّه الأنظار والأفكار ، إلى ما حلّ بجوار الدار من الأرض المحتلة بالصهيونية ، ودعا إلى التضامن والتعاون على تحقيق الرجاء بكشف البلاء والانتصار على الأعداء .

وهذا الكتاب يبلغ مع فهرسه المفصّل نحو مائتي صفحة .

وفي تعليقات الحكيم الجواد وفرائده ونقوله عن حكماء العرب ما لا يستغني عن مطالعته مَن ألقى السمع وهو شهيد .

وقد كتب على غلافه (يوزع مجاناً) أحسن الله عمله ، وحقق أمله ، بمنه وكرمه .

م . ب .

عصر النبي عليه السلام وبيئته قبل البعثة

تأليف : محمد عزة دروزة

الطبعة الثانية ـ عدد الصفحات ٨٤٨

(عن دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر ـ بيروت)

(١٣٨٤ هـ — ١٩٦٤ م)

عنوان هذا الكتاب جذاب يستهوي القلوب والألباب ، لما في هذا العصر قبل البعثة وبعدها من الإرهاصات العجيبة والحوادث الغريبة ، انتهت بانتصار الدعوة الإسلامية وتآلف المسلمين كتلة واحدة جبارة ، فكانت خير أمة أخرجت للناس ، بلغت ذروة العز والمجد ، وحملت مشعل العلم والعدالة أجلى بنوره الساطع ظلمات الجهل والظلم ، وكان من هذه الأمة ما كان من المفاخر الخالدة على الدهر .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

أتيح لي أن اطلع على هذا الكتاب لمؤلفه الفاضل محمد عزة دروزة ، الذي أضاف إلى مكتبة العالم الديني تحفة جديدة جيدة .

ولقد اعتدتُ ألاّ أباشر قراءة كتاب — أيّ كتاب — إلاّ بعد أن أصحح ما وقع فيه من أخطاء مطبعية مذكورة في جدول التصويب .

وهذا ما عملته قبل مطالعتي هذا الكتاب ، وبعد أن انتهيت من هذا العمل ، أخذت أطالع المتن بإمعان ودقة لطرافة الموضوع الذي تناوله المؤلف ، وأخذ على عاتقه معالجته شرحاً مستفيضاً ، مستلهماً البراهين دعماً لنظرته ، من الآيات البيّنات الواردة في القرآن الكريم ، التي نزلت على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ ، كما جاء ذلك في الأرقام (٧ ـ ٨ ـ ٩) من المقدمة المسهبة . وقد ذكر المؤلف فيها الحافز الذي دفعه إلى هذه المحاولة

الحميدة ، في رسم صورة لعصر النبي عليه السلام وبيئته قبل البعثة ، لتكون هذه الصورة الجديدة تنويراً للنشء العربي الجديد عامةً والمسلم منه خاصةً ، آملاً أن تكون هذه الصورة صلة بينهم وبين القرآن الكريم الذي هو كتاب الدين « الذي إليه ينتسبون ، ومناط الفخر الذي به يفخرون ويعتزون » . فليس كل من يتلو القرآن « يقرأه قراءة فهم وإمعان ، ولا يقف عند آياته وقوف التمعن والاستبصار ، لتتجلى أمام بصره وبصيرته تلك الصور العديدة الأخّاذة بحسن بيانها ، وروعة أسلوبها ، وبلاغة تعبيرها ، وقوة حجتها .

هذا وشهرة المؤلف في مجال التأليف تغني عن بيان قيمة كتابه الجديد ، هذا الذي أضاف إلى مكتبة المؤلفات العربية مؤلفاً ثميناً ببحثه الطريف المستفيض ، بأسلوب سلس مستساغ ، خصوصاً والموضوعات — بأبوابه الأربعة (١) — شيقة ماتعة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد لفت نظري في خلال المطالعة ما كنت أجده في نص الآيات الكريمة من الأخطاء التي لم تذكر أصلاً في جدول التصويب وكان الأجدر أن تولّى العناية التامة بتصحيحها في جدول خاص ، قبل جدول تصويب الأخطاء المطبعية التي حدثت في متن الكتاب . ويغلب على ظني أن يكون المؤلف قد عهد إلى أحد أصدقائه بتصحيح (بروفات الملازم) فكان على هذا الصديق أن يبالغ في تصحيح (بروفات الملازم) التي فيها الآيات القرآنية بوجه خاص ، مرتين أو ثلاث مرات أو أكثر حتى تخلو من الأخطاء وهي تُقدَّم إلى نشء جديد ، وإلا كان لا بد من ذكر هذه الأخطاء في جدول تصويب خاص ليصححها القارىء ، حرصاً على سلامة الآيات من الخلل ، قبل مطالعة الكتاب لتنطبع في ذهنه سليمةً صحيحة .

(١) الباب الأول في الاقليم والسكان ومعايشهم ؛ الثاني في الحياة الاجتماعية ؛ الثالث في الحياة العقلية ؛ الرابع في الأديان والعقائد .

فكيف سها عن البال وضع مثل هذا الجدول الضروري جداً ، ولا يخفى ما للقرآن الكريم وآياته البيّنات من المقام السامي في نفوس المسلمين وما يولونها من الاحترام والحرص على سلامتها من أيّ خطأ من وجهتي الطباعة والتلاوة .

ولهذا كنت أبادر إلى تصحيح ما أجده في نص الآيات — (التي أحفظ أكثرها والحمد لله) — من الخطأ الطبعي زيادةً أو نقصاً أو في تشكيلها مما يخلّ بالمعنى كل الإخلال ، ثم أؤكده بالرجوع إلى السُّوَر في مصحف والدي رحمه الله وأجزل ثوابه ، الذي جعل على أطرافه تفسيراً مختصراً بخط يده الجميل من الخط الفارسي (= التعليق) والذي كنت أتلو آياته بتمعن واستبصار في حال حياة والدي وأطلب منه المزيد من التفسير لي ، ثم بعد وفاته احتفظت به وأقرؤه مراراً وتكراراً ، أقول وبعد التأكد من التصحيح كنتُ أسجّل الصواب ، وإلى جانبه صفحة الكتاب والسطر ، في ورقة خاصة جعلتها لهذا الغرض بغية إطلاع المؤلف الفاضل عليها ليتلافاها في طبعة « ثالثة » إذا يسر الله له ذلك ؛ وقد أتاحت لي مجلة مجمعنا تحقيق بغيتي هذه . وإني على يقين من أن المؤلف الفاضل يتقبل هذه الملاحظة الخالصة لوجه الله تعالى بقبول حسن بصدره الرحب ، وأقدّر ما بذله من جهد في تأليفه هذا الكتاب الجديد ، وإخراجه إلى عالم المطبوعات بهذه الحلة البهيجة ، راجياً للنشء الجديد مزيد الانتفاع به علماً وثقافةً ويقيناً .

وفيما يلي جدول بأهم ما بدا لي تصحيحه اختصاراً ، دون الإشارة إلى الخطأ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صفحة	سطر	
٣٥	٩	بِمُعَذَّبِينَ
٣٥	١٦	يَحْسَبُ
٣٨	٧	مُحَصَّنَةٍ
٤٨	٥	ضَرًّا
٥٦	١٦	دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ
٥٦	١٧	وَهَرُونَ
٥٦	١٨	وَإِلْيَاسَ... وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ
٥٧	١٦	وَكُلٌّ
٦١	٨	لِيُنْذِرَ
٨٨	١٤	وَخَلَقُوا
١٠٢	١٣	مَانَفِدَتْ
١١٢	١١	رَأَيْتَهُمْ
١١٢	١٣	خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ
١٢٤	١	أُهِلَّ بِهِ
١٣٣	١٤	ذَاتِ حَمْلٍ
١٣٤	٥	يُنْزَفُونَ
١٤٧	٢	عَالِيَهُمْ ... وَإِسْتَبْرَقٌ
١٥١	٢	لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ
١٦١	٩	رَبَّنَا ، إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا
١٦٢	٩	الْحَقُّ ... صِرَاطِ
١٦٢	١٦	تُحذَف : (ولكم لنا أعمالنا)

صفحة	سطر	
١٧٠	١٤	وَكَفَرْتُمْ
١٧٦	١	وَآتَيْنَا
١٧٦	١٤	مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ... أَنْفُسَهُمْ أَنْ
١٨٤	٦	وَلَيَزِيدَنَّ
١٨٥	١٩	مَا عَنِتُّمْ
١٨٦	٢	تحذف : (وَتُؤْمِنُونَ)
١٨٦	٧	كَيْدُهُمْ شَيْئاً
١٨٧	١٢	الْمُلْكَ
١٨٩	١٣	مُحْصَنَةٍ
١٩٣	٨	ذَرُوْنَا
١٩٣	١٣	وَشَهِدَ بَيْنَكُمْ
٢٠٤	٨	تحذف : (إِنْ)
٢١٢	٩	ثَلاثَةٍ
٢١٢	السطر الأخير	والنَّصارى
٢١٣	١٢	يُحَرِّمُونَ ما حَرَّمَ
٢١٤	٣	أنْ يُتِمَّ
٢٢١	١٣	أو يَعْفُوَ الَّذي
٢٢٢	١	فَانْكِحُوا
٢٢٦	١٣	يَنْكِحْنَ
٢٢٧	٤	كَرْهاً
٢٢٨	٦	أُمَّهَاتُهُمْ
٢٢٩	١	لا يَحْتَسِبُ
٢٣٣	٣	يُنْشَأُ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صفحة	سطر	
٢٣٣	٨	قِسْمَةٌ
٢٣٨	٨	مِنْ لَدُنْكَ
٢٤٢	١٠	المَحِيضِ ولا ... حَتّى يَطْهُرْنَ
٢٤٦	١	فَيَسْتَحْيِي مِنْكُم ... لا يَسْتَحْيِي
٢٥١	٣	فاسْتَشْهِدُوا
٢٥٣	١٠	تَذَكَّرُونَ ... فيها أحَداً
٢٥٣	١١	قيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا
٢٥٥	٥	الإِرْبَةِ
٢٥٧	٦	فَرَضَ اللهُ لَهُ
٢٥٧	١٠	النَّبِيِّينَ ... بِكُلِّ
٢٦١	١٤	(ولآمرنهم ... الآية ١١٩)
٢٦٥	٩	أنْ يَكْبَرُوا
٢٦٦	٧	فَأَنْ
٣٦٩	٢٠	أن تجْعَلوا لِلّهِ
٢٧٠	١٢	آوَوْا ونَصَرُوا
٢٧٧	٤	يَوْمَئِذٍ
٢٨٦	١٤	لا يَتَّخِذِ
٢٩١	٢٠	أدْعُوهُمْ
٢٩٤	٦	يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ
٣٠٩	١٤	حِجُّ البَيْتِ مَنِ
٣١٠	١٢	وَأَذانٌ

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

صفحة	سطر	
٢٥٩	١٤ – ١٥ – ١٧	أُسْتُضْعِفُوا
٣٦٠	٣	لَيَسْجُنُنَّهُ
٣٧٠	١	مِنَ اللهِ حُكْماً لِقَوْمٍ
٣٨٠	٦	امْرَأَةُ العَزِيزِ
٣٩٧	٨	إنْ كُنْتُمْ
٤٠٤	١٠	خَلَقْتُ ... وجَعَلْتُ
٤١١	٢	[تحذف : «كيف» الثانية لأنها مكررة]
٤١١	٣	[تحذف «فعل» لأنها مكررة]
٤٢٠	١٥	لِباسَ الجُوعِ والخَوْفِ
٤٢٣	١٦	أخَرَقْتَها
٤٢٤	٣	نَفْساً زَكِيَّةً
٤٢٥	٨	لَيَأْتِيَنِّي
٤٢٦	٨	بَلْ أَنْتُمْ
٤٣٦	٢٠	الأُمِّيِّ الَّذي
٤٤٣	١٧	تُدِيرُونَها بَيْنَكُمْ
٤٥٦	١	يُعَلِّمُهُ ... إسْرائِيلَ
٤٥٦	٣	عِلْمٌ مِنَ الكِتابِ [تحذف «أهل»]
٤٦٢	١٤	مُوسى فَأَمْلَيْتُ
٤٦٣	٧	قُوَّةً وأثارُوا الأرْضَ
٤٦٣	١١	لَعَمْرُونَ عَلَيْهِمْ
٤٧٤	١٤	عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صفحة	سطر	
٤٩٣	١١	لَكَ بِهِ عِلْمٌ . إنَّ السَّمْعَ والبَصَرَ والفُؤادَ كُلُّ أولئِكَ كانَ
٥١١	١٠	ما هذا إلاَّ إفْكٌ
٥١٣	٥	شَاءَ اللهُ
٥١٥	٣	بِالآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ
٥١٥	٨	ما يَزِرُونَ
٥٢٥	٤	وإذا أُنْزِلَتْ
٥٢٧	٦	لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ
٥٤٤	٤	مِنْ بَعْدِ أنْ
٥٤٥	١٦	يَقْبَلُ مِنْ ذَالِكُمْ
٥٤٩		يحذف السطر الأول كله لأنه مكرر
٥٤٩	٢	[يحذف « إن هذا لشيء »]
٥٦٦	١٢	بَعْدَ أنْ
٥٨٥	١	فالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ
٦٠٣	٥	(وإنَّ مِنْهُمْ)
٦١٢	٨	أنْبِئْهُمْ بِأسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أنْبَأَهُمْ بِأسْمَائِهِمْ قالَ
٦٢١	١٩	اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ
٦٢٢	٣	وبَيْنَ الجِنَّةِ نَسَبًا
٦٢٢	٥	اللَّذَيْنِ
٦٤٥	١	وكُلَا مِنْهَا رَغَدًا
٦٤٧	٢	[تحذف : « قال لم »]

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صفحة	سطر	
٦٤٧	٢	مَعَ السَّاجِدِينَ قالَ يا إبْلِيسُ مالَكَ ألاّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ . قالَ لَمْ
٦٤٧	٥	قالَ رَبِّ فأنْظِرْني
٦٧١	١٧	لِيَحْكُمَ
٦٧٨	٢	لَيَكُونَنْ
٦٧٨	١٠	سُخْرِيّاً
٦٨٠	٣	لَنَسْفَعَنْ
٧٠٣	١٠	مُسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً
٧٠٧	٧	قالَ أسْلَمْتُ لِرَبِّ
٧٠٧	٧	بَنِيهِ ويَعْقُوبُ
٧٠٧	٨	يا بَنِيَّ إنَّ
٧٠٧	٩	الْمَوْتُ إذْ قالَ
٧٠٧	٩	ما تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي
٧٠٨	١	إلى إبْراهِيمَ ... وَالأسْباطِ
٧٠٨	١٣	فَلِمَ تُحاجُّونَ
٧٠٨	السطر الأخير	لِلَّذِينَ
٧١٣	١	أراغِبٌ أنْتَ
٧١٧	٤	قِيَماً
٧٢٩	١١	والعاكِفِينَ
٧٣٤	٦	فَلَنُوَلِّيَنَّكَ ... الحَرامِ
٧٣٥	١	وما أنْتَ بِتابِعٍ قِبْلَتَهُمْ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صفحة	سطر	
٧٣٥	٢	وما بَعْضُهُمْ بِتابِعٍ
٧٣٩	٤	وَمَنْ يُرِدِ اللهُ
٧٤١	٨	لِتَحْسَبُوهُ
٧٤٤	٢	آيَةً
٧٥٣	٥	الرَّسُولَ النَّبِيَّ
٧٦١	٢٢	بَشَرٌ
٧٦٦	١٣	يا أُخْتَ ... سَوْءٍ
٧٧٢	٧	لِيَسْكُنُنَّ
٧٨٥	٤	بِعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ
٦٨٧	٩	إِذْ قالَ
٧٩٣	٤	فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ كانَتْ
٧٩٣	١١	وآتُوا الزَّكاةَ
٧٩٩	٣	أَوْ لامَسْتُمْ
٧٩٩	٦	وُجُوهَكُمْ وأَيْدِيَكُمْ
٨١٨	٦	خالِصَةٌ
٨٢٣	١٧	مِنْ عِنْدِ
٨٢٦	٣	تُطَهِّرُهُمْ وتُزَكِّيهِمْ
٨٣٤	٤	أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِها
٨٣٥	١١	اليَوْمَ عَلَيْكَ
٧٣٧	٥	لِيُثْبِتَ
٨٣٨	١	الرُّوحَ

الكواكبي

ذكرياتي عن وادي الفرات

عام ١٩١٦ م

بقلم : أحمد وصفي زكريا

تحقيق : عبد القادر عياش

عدد صفحاتها ٥٦

من منشورات مجلة صوت الفرات ـ دير الزور ١٩٦٨ م

ولد صاحب هذه المذكرات سنة ١٨٨٩ م ، وتخرج بالمدرسة الزراعية العليا في استانبول سنة ١٩١٢ ، وعين مدرساً في المدرسة الزراعية بسلمية من أعمال محافظة حماة ، فمديراً لها ، ثم نقل إلى دار الحرير ببيروت سنة ١٩١٤ ، فمديراً للمدرسة الزراعية في الأطرون بفلسطين سنة ١٩١٦ . وكلف في السنة نفسها بمهمة مكافحة الجراد في دير الزور حاضرة وادي الفرات الأعلى ، وكان ضابط احتياط في الجيش العثماني برتبة ملازم .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولما تألفت الحكومة العربية الفيصلية ، كلف بمديرية مدرسة سلمية الزراعية ، وكانت قد عطلت فأعاد فتحها ، ومكث فيها خمس سنوات .

وفي عام ١٩٢٤ عين مفتشاً لأملاك الدولة ، وبقي في هذا المنصب حتى عام ١٩٣٣ ، ثم عين مستشاراً فنياً للشئون الزراعية باليمن ، وقد مكث فيه سنتين .

وكلف سنة ١٩٣٨ من قبل حكومة العراق ليدرس الزراعة في مدرسة دار المعلمين الريفية ببغداد ، وبقي في هذا المنصب إلى عام ١٩٤١ .

وأخيراً عينته الحكومة السورية مفتشاً لوزارة الزراعة ، وبقي في هذه الوظيفة إلى أن أحيل على التقاعد بمناسبة بلوغه السن القانونية . وتوفي بدمشق في ٢١ نيسان ١٩٦٤ .

ولم تقتصر حياة المهندس الزراعي احمد وصفي زكريا العلمية على المباحث الزراعية بل تعدى ذلك ، فبحث في التاريخ والآثار والجغرافية والرحلات الخ .. من الابحاث التي لها صلات وثيقة بمجتمعنا القديم والحديث .

ومن آثاره المطبوعة : الدروس الزراعية ، الفكرة الزراعية ، زراعة المحاصيل الحقلية ، جولة أثرية في بعض البلاد الشامية ، عشائر الشام ، والريف السوري ، ولايزال بعض مؤلفاته مخطوطاً ككتابه عن الطيور .

وأما ذكريات الاستاذ وصفي زكريا عن وادي الفرات قبل خمسة وأربعين عاماً ، فوصف فيها كيف تلقى الأمر بالسفر عن دير الزور ، وكان يقضي دور النقاهة من الحمى النمشية (والتيفوس) ، فركب القطار من محطة المعقولة متوجهاً الى دمشق ، فحلب ، ومنها استقل مركبة متواضعة تابعة لدائرة البريد ، فوصف الطريق وصفاً رائعاً ، وتمثل ببعض الأبيات الشعرية ، وذكر القرى والمراكز التي صادفها بطريقه ، فذكر النيرب ، وبرية خساف ، ودير حافر ، وخان الشمر ، ومسكنة ، وقرية أبي هريرة ، وموقع الحمام ، وتل الثديين ، والرقة ، والسبخة ، ومخفر معدان ، وسهل الحادي ، ومخفر التبني . ثم ختم بحثه بوصوله إلى دير الزور ومقابلته متصرفهـا علي سماد ، ثم وصف مدينة دير الزور وصفاً دقيقاً لمعالمها ، فأحسن الوصف وأجاد . رحمه الله وجازاه خير جزاء على ما قدم من خدمات لأمته في العلم والأدب ، كما نقدم الشكر للأستاذ المحامي عبد القادر عياش على ما بذله من جهد في تحقيق هذه الذكريات .

عمر رضا كحالة

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

بلاد العرب

تأليف : الحسن بن عبد الله الأصفهاني

تحقيق : حمد الجاسر وصالح العلي

عدد صفحاته ٥٢٧

من منشورات دار اليمامة ـ الرياض ١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨ م

يعد هذا الكتاب من أقدم آثارنا القديمة ، فهو يرجع إلى الربع الأول من القرن الثالث الهجري ، وقد نقل عنه عدد من قدماء الباحثين في جغرافية بلاد العرب ، ومنازل القبائل كنصر بن عبد الرحمن الاسكندري الفزاري ، والزمخشري ، وياقوت الحموي .

ففي هذا المؤلف تحديد أجزاء كثيرة من منازل العرب التي كانت تقطن وسط شبه جزيرة العرب ، وقد حاول مؤلفه أن يذكر ما لهذه القبائل من مناهل وجبال وأمكنة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وحوى هذا السفر معلومات طيبة تتعلق بالقبائل كأنسابها وأسماء شعرائها ولهجاتها ومنازلها وغير ذلك من معلومات قيمة ، ومتممة لما بين أيدينا من مباحث وموضوعات في هذا المضار . وقد اعتمد المؤلف في تحديد المواضع على المشاهدة والخبرة مما جعل بحثه سليماً ودقيقاً .

وورد في الكتاب المذكور بعض المعلومات عن معادن قلب شبه جزيرة العرب ، مما تساعد الباحثين في دراسة التاريخ الاقتصادي لجزيرة العرب .

وفي الكتاب ذكر المواضع التي تتفق في الاسم ، ولكنها تختلف باختلاف القبائل التي كانت تسكن في تلك النواحي .

وقد وضع المحققان الفاضلان للكتاب فهارس قيمة وهي : مباحث الكتاب ، أسماء الأودية والجبال والمياه والأمكنة ، المعادن ، القبائل والعشائر والأفخاذ

والأسر ، الرجال والنساء ، أسماء الشعراء ، الشعر ، النبات ، الأيام ، كلمات لغوية ، والمصادر التي ورد ذكرها في الهوامش ، مما سهل على الباحثين والطالبين عملهم ؛ وحبذا لو عمل المحققان الدقيقان للكتاب مخططات للبلدان ومنازل القبائل ، مما يساعد على كشف غامض نص الكتاب ، ولم شعث مباحثه .

وبالختام نشكر الأستاذين الفاضلين على ما بذلا من جهد في تحقيق هذا الكتاب القيم ، الذي يعد من أقدم المراجع التي وصلت إلينا بعد الرواة القدماء أمثال الأصمعي وغيره من العلماء ، متمنين لهما كل توفيق ونجاح .

ع . ك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تاريخ خليفة بن خياط
رواية : بَقي بن مَخْلَد
تحقيق : سهيل زكار
القسم الأول : عدد صفحاته ٤٥٣

من منشورات وزارة الثقافة والسياحة والارشاد القومي بدمشق ١٩٦٧ م

مؤلف هذا الكتاب هو أبو عمرو خليفة بن خياط العُصْفري التميمي البصري ، الملقب بشباب ، محدث إخباري نسابة ، وهو سليل أسرة علم وفضل ، بجده الذي يحمل اسمه ، كان من رجال الحديث الثقات عند البخاري وابن أبي حاتم الرازي ، وقد أخذ خليفة الحفيد العلم عن عدد من الشيوخ كيزيد بن زُرَيع الذي كان خليفة ألصق به سواه ، وتوفي سنة ٢٤٠هـ وكان من أبناء الثمانين .

له من الكتب الطبقات ، التاريخ ، تاريخ الزَّمن والعرجان والمرضى والعميان ، وأجزاء القرآن وأعشاره وأسباعه وآياته .

وقد ترجمه عدد من أصحاب التراجم كالذهبي في سير النبلاء وتذكرة الحفاظ والميزان ، وابن النديم في الفهرست ، وابن حجر في تهذيب التهذيب وغيرهم ، وقد عده البخاري من الثقات ، كما فعل ذلك الذهبي ووثقه في معظم كتبه .

وأما تاريخ خليفة فهو من أقدم ما انتهى إلينا من كتب التاريخ ، فهو يتناول فترة من تاريخ الإسلام تمتد حتى اثنتين وثلاثين ومئتين ، وقد استهل كتابه عن وضع التاريخ وميلاد الرسول ﷺ ، ثم أخذ يسوق أخبار كل سنة على حدة ابتداء من السنة الأولى للهجرة ، باسطاً ما جرى فيها من أحداث ومغاز وثورات ، حتى إذا فرغ من ذلك ذكر من أدركتهم الوفاة في تلك السنة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وإذا استوفى الحديث عن عهد خليفة من الخلفاء اتبع ذلك ذكر من ولوا كل اقليم من أقاليم الدولة على عهده ، ثم من ولوا القضاء في الأمصار ولا سيما في المدينة ومكة والبصرة والكوفة ، ثم من تولوا حجابة الخليفة ، والشرطة والكتابة وبيوت المال والخاتم والبريد ، ثم يذكر أسماء الرسل والسفراء.

ويذكر المؤلف عقب الحديث عن كل معركة كبيرة هامة ، كبدر وأحد الحرة وقديد أسماء الذين لقوا حتفهم في هذه المعارك .

ونجد في هذا التاريخ وفيات كثير من أئمة الحديث ورجال الإدارة والحكم ، كما أولى المؤلف أخبار الدولة الأموية عناية خاصة .

وأما راوي هذا التاريخ فهو أبو عبد الرحمن بقي بن مَخْلَد بن يزيد القرطبي ، وقد كان محدثاً حافظاً ، فقيهاً مجتهداً ، ولد في رمضان سنة ٢٠١ هـ ،

ورحل إلى مكة والمدينة ومصر والشام وبغداد ، وروى عن مائتين وأربعة وثمانين شيخاً ، منهم أحمد بن حنبل ، ورجع إلى الأندلس فملأها علماً وتوفي بها سنة ٢٧٦ هـ ، وقيل غير ذلك . له من الآثار : تفسير القرآن ، كتاب في فتاوى الصحابة والتابعين ومن دونهم وعدد ما لكل واحد من الصحابة من الحديث عن النبي ﷺ .

وقد ترجمه عدد من أصحاب السير والتاريخ كالذهبي في سير النبلاء وابن عساكر في تاريخ دمشق ، وابن الفرضي في تاريخ العلماء والرواة وياقوت في معجم الأدباء والمقري في نفح الطيب . والحميدي في جذوة المقتبس والسيوطي في طبقات المفسرين .

وأما النسخة التي اعتمدها المحقق فهي من مخطوطات الخزانة العامة في الرباط وهي جيدة وقديمة نسخها أحمد الأشعري سنة سبع وسبعين وأربعمائة للهجرة ، وعليها مقابلة تمت عام تسع وسبعين وأربعمائة ، وبلغت دقة صاحبها أنه أثبت في هوامشها ما وقف عليه من إختلاف بين النسخ ، كما علق عليها بعض التعليقات المفيدة .

ولا بد لنا قبل أن نختم كلمتنا من الشكر للمحقق الفاضل على ما بذل من جهد في تحقيق هذا التاريخ متمنين له كل تقدم ونجاح .

ع . ك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الدر المنتثر

في رجال القرن الثاني والثالث عشر

تأليف : علي علاء الدين الآلوسي

تحقيق : جمال الدين الآلوسي وعبد الله الجبوري

عدد صفحاته : ٢٦٠

من منشورات وزارة الثقافة والارشاد ببغداد ١٣٨٧ هـ ، ١٩٦٧ م

ولد مؤلف هذا الكتاب عام ١٢٧٧ هـ = ١٨٦١ م ، وأخذ العلوم النقلية والعقلية عن أبيه نعمان خير الدين وابن عمه محمود شكري الألوسي واسماعيل الموصلي ، ورحل إلى القسطنطينية ، وتعلم اللغتين التركية والفارسية وانتظم في سلك طلاب مدرسة النواب (القضاة) ، ونال شهادتها .

وعين قاضياً مدة من الزمن ، وانتخب عضواً في المجلس العمومي لولاية بغداد ، وتوفي سنة ١٣٤٠ هـ = ١٩٢٢ م . من آثاره : نظم الاجرومية ، فوائد وتعليقات في النحو ، منظومة في الظاء والضاد ، منظومة في علاقات المجاز ، نظم سور القرآن الكريم ، وديوان شعره .

وقد قدم المحققان الفاضلان لهذا الكتاب مقدمات بلغت ٨٤ صفحة ، أوردا فيها الأبحاث الآتية : نظرة تاريخية عامة ، الثقافة الدينية والأدبية في القرن التاسع عشر ، الأسرة الألوسية ، أبو الثناء محمود شهاب الألوسي ، نعمان خير الدين الألوسي ، مخطوطات الكتاب ، ومراجع تراجم رجال القرنين الثاني عشر والثالث عشر .

وأما الدر المنتثر الذي نحن بصدد تعريفه ، فقد ترجم فيه الأشخاص الآتية : محمد أمين السويدي ، محمد أمين الواعظ ، اسماعيل أفندي مدرس

جامع الصياغين ، أحمد بن علي شرف الأعمى ، عبد السلام الشواف ، ابراهيم البصري ، عبد الغفار الأخرس ، أحمد النقشبندي الخالدي ، صالح التميمي البغدادي ، عبد الجليل البصري ، الملا عبد الرحمن أبو بكر الشافعي موسى الطالقاني الشجعي ، حماد الكواز الحلي ، أوسطا علي البناء البغدادي محمد سعيد أفندي مفتي بغداد ، حسين الايراني ، عمر الخضيري البغدادي ، رفعت بن أحمد آغا ينكجري اغاسي ، صالح جلبي بن محمد سعيد الشابندر داود بن جرجس العاني النقشبندي ، حسن بن أحمد آغا الكولة مند ، يوسف ضياء باشا الكردي ، علي السويدي البغدادي ، أحمد شاكر الالوسي احمد قاضي قصبة الزبير ، عبد الوهاب بن عبد القادر أمين الفتوى ، حيدر الحلي ، وخالد النقشبندي .

وأتبع المحققان الكتاب عدة فهارس سهلت على المطالع والباحث عمله ، وهي فهارس للاعلام والملل والقبائل والأمكنة والبقاع والكتب والقوافي والمراجع والتصويبات والموضوعات .

وقد عثرنا أثناء مطالعتنا الكتاب على بعض الأخطاء ، نرجو تصحيحها في الطبعة الثانية وهي : قولها : خير الدين الزركلي ولد سنة ١٨٩١ م ، والصواب : ولد ليلة ٩ ذي الحجة ١٣١٠ هـ ٢٥ حزيران ١٨٩٣ م في بيروت .

وقولها : عبد الرزاق البيطار توفي سنة ١٣٢٥ هـ ، والصواب أنه توفي سنة ١٣٣٥ هـ .

وقولها : أدهم الجندي ولد في دمشق سنة ١٩٠٥ م ، والصواب : ولد في حي أبي الهول بحمص سنة ١٩٠٢ م .

وقوله : أحمد الجندي ولد بدمشق سنة ١٩٠٦ م ، والصواب : ولد بسلمية من مناطق محافظة حماة سنة ١٩١٠ م .

وبالختام نشكر المحققين الفاضلين على ما بذلا من جهد في نشر هذا الكتاب متمنين لهما التقدم والنجاح .

ع . ك

الإسلام والثقافة العربية

في مواجهة تحديات الاستعمار وشبهات التغريب

تأليف : أنور الجندي

عدد صفحاته ٤٠٠

طبع بمطبعة الرسالة بالقاهرة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قال المؤلف في فاتحة كتابه : منذ سنة ١٩٦٠م وسمت أبعاد دراستي ، فلم تعد قاصرة على الأدب العربي المعاصر والصحافة العربية وتاريخها وتطورها واعلامها ، وأوغلت في مجال أوسع أفقاً وأرحب ، ذلك هو مجال الفكر العربي المعاصر في لقائه مع الفكر الغربي بشقيه ، ومن هنا أصبحت دراساتي تضم الاجتماع والدين والفلسفة والحضارة والتراث ، بدا ذلك بكتابي « الفكر العربي المعاصر في معركة التغريب والتبعية الثقافية » ثم توسع بدراسه في جزأين ، معالم الفكر العربي المعاصر ، الثقافة العربيـة في معركة التغريب والشعوبية .

ثم قدمت دراستين متكاملتين : (١) أضواء على الفكر العربي الإسلامي (٢) وصفحات من أمجادنا .

ثم كان لا بد من استقصاء كامل لما وجه للفكر العربي الإسلامي من شبهات واتهامات يتمثل ذلك في هذا الكتاب .

ويتألف الكتاب الذي نعرفه من الموضوعات الآتية :

مقاومة الاستعمار ، معركة الفكر ، التجديد والبعث وفتح باب الاجتهاد ، تياران في الفكر الاسلامي : الثورة السياسية والتربية ، خطان متوازيان : السلفية والصوفية ، الاجتهاد والتقليد ، الإسلام بين المقاومة والتمدد ، تحديات في وجه الفكر الإسلامي ، الدفاع ورد الفعل ، الاستعمار والتغريب ، حركة التبشير ، حركة الاستشراق ، حملة الغرب على الإسلام والعرب ، مقاومة التغريب ، شبهات حول محمد ﷺ ، شبهات حول الإسلام والمدنية ، هل الإسلام عائق عن الثقافة ، الإسلام والتقدم ، الإسلام وحرية الفكر ، الإسلام والعالم ، الإسلام والعلم ، عقائد الإسلام ، الإسلام والفكر العربي القديم ، أخطاء الفكر ، الإسلام والفروسية ، الإسلام والتصوير والرسم ، الإسلام ونفسيات الشباب ، النفسية العربية ، الفكر العربي الإسلامي فكر تجديدي ، مدنية الإسلام والعناصر غير العربية ، جوهر الفكر العربي الإسلامي ، شبهة التعصب ، المستشرقون واللغة ، شبهات حول الشريعة الإسلامية والفكر الروماني ، بين الشريعة والفكر الروماني ، شهادات للشريعة الإسلامية ، شبهات حول القرآن الكريم ، شبهات حول اللغة العربية ، شبهات حول الأدب العربي ، شبهات حول التاريخ العربي الإسلامي ، الدين والضمير ، مفهوم الجهاد ، تحرير البحث الأدبي من الدين والقومية ، الخلاف بين التاريخ والقصة في القرآن ، جذور الشعوبية ، دور الشعوبية في التاريخ ، وفلسفة التاريخ .

وقد دافع المؤلف الفاضل في كتابه هذا عن العرب والإسلام وما دار حولهما من شبهات ، وفند أقوال المغرضين والمتقولين بأسلوب مبين ومنطق سليم فجزاه الله خير جزاء .

ع . ك

كتاب النساء الحاكمات في الدول الاسلامية

تأليف الدكتورة بحرية اوچ اوق

مدرّسة تاريخ الإسلام في كلية الإلهيات بجامعة أنقرة

مطبعة مجمع التاريخ التركي في أنقرة ١٩٦٥

موضوع هذا الكتاب بحث جديد وطريف في تاريخ الإسلام . درست فيه مؤلفته الدكتورة بحرية تاريخ النساء الحاكمات اللواتي اعتلين سدة الحكم في الدول الإسلامية . وهو يُعدّ بحق بحثاً جامعياً Académique جيداً ومحكماً .
وقد عرفتُ الدكتورة بحرية في أنقرة حين كنت أدرس اللغة العربية في كلية الإلهيات هناك . وعرفت فيها الجد والذكاء والمعرفة . وكتابها هذا مصداق لما عرفته عنها .

ولم يطرق هذا الميدان في تاريخ الإسلام أحد من المؤرخين القدامى ، أو الباحثين المحدثين قبل الدكتورة بحرية . ولم أجد بحثاً أو كتاباً مفرداً في هذا الموضوع قبل كتابها .

رجعت المؤلفة في أثناء بحثها إلى عشرات من المصادر جاوز عددها المائة ، بين مطبوع ومخطوط ، كتبت في عدة لغات غربية وشرقية ، منها اللغات العربية والتركية والفارسية ، وهي أمهات اللغات الشرقية التي كتب بها تاريخ الإسلام ، وصيغت فيها الثقافة الإسلامية . ثم أقامت كتابها على مقدمة جعلتها مدخلاً لبحثها ، وعلى أحد عشر باباً درست فيها تاريخ النساء الحاكمات في الإسلام ، وعلى خاتمة ختمت بها الكتاب .

* * *

بيّنت المؤلفة في المدخل أن تولي النساء الحكم أمر معروف في تاريخ الإنسانية . وذكرت مثالاً على ذلك بعض شهيرات النساء الحاكمات في التاريخ .

منهن بلقيس ملكة سبأ ، وزنوبيا ملكة تدمر ، وكليوبترة ملكة مصر ، وتيودورا امبراطورة بيزنطة ، وغيرهن . كما ذكرت بعض النساء الحاكمات في أيامنا الحاضرة ، مثل أليزابيت الثانية ملكة بريطانية ، وجوليانة ملكة هولندة . ثم عرضت مسألة الامتناع عن تولية النساء الحكم في الإسلام استناداً إلى الحديث المروي عن الرسول ﷺ وهو : « لما بلغ النبي ﷺ أن فارساً ملكوا ابنة كسرى قال : لن يفلح قوم وَلّوا أمرهم امرأة (١) » . وقالت إن النساء قد تولين الحكم مع ذلك في بعض الدول الإسلامية .

* * *

وفي أبواب الكتاب ذكرت النساء الحاكمات في الدول الإسلاميـــة ، ودرست تاريخهن ، وهن :

١ — السلطانة جلالة الدين رضية بنت السلطان شمس الدين إيلتتمش ، التي تولت الحكم سنة ٦٣٤ في دولة المماليك الأتراك في شمالي الهند .

٢ — الملكة شجرة الدر التي تولت الحكم سنة ٦٤٨ في مصر . وهي أول سلاطين المماليك البحرية الذين خلفوا الأيوبيين .

٣ — قتلغ تركان خاتون التي تولت الحكم سنة ٦٥٥ في دولة الأتابكة من آل براك في إقليم كرمان .

٤ — صفوة الدين بادشاه خاتون التي تولت الحكم سنة ٦٩٣ في دولة الأتابكة من آل براك في إقليم كرمان أيضاً .

٥ — أبش خاتون التي تولت الحكم سنه ٦٦٣ في الدولة السلغرية في إقليم فارس .

٦ — دولة خاتون التي تولت الحكم ســـنة ٧١٦ في دولة الأتابكة من آل خورشيد في إقليم لورستان .

(١) فتح الباري بشرح البخاري لابن حجر العسقلاني ٤٦/١٣ (طبعة بولاق سنة ١٣٠١) .

٧ – السلطانة ساتي بك خان التي تولت الحكم سنة ٧٣٩ في الدولة الإيلخانية في إيران والعراق .

٨ – تندو (دوندي) خاتون التي تولت الحكم سنة ٨١٤ في الدولة الجلائرية في العراق .

٩ ، ١٠ ، ١١ – الملكة خديجة بنت جلال الدين عمر ، والملكة مريم بنت جلال الدين عمر ، والملكة فاطمة داين بنت محمد ، اللواتي تولين الحكم بالتوالي من سنة ٧٤٨ إلى سنة ٧٩٠ في جزائر مالديف (ذيبة المهل) في المحيط الهندي .

١٢ – السلطانة فاطمة بيكم التي تولت الحكم سنة ١٠٨٨ في إمارة قاسم في روسية .

١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ – الملكة صافية الدين تاج العالم ، والملكة نقية الدين نور العالم ، والملكة زاكية الدين عناية شاه ، والملكة زينة الدين كمالات شاه ، اللواتي تولين الحكم بالتوالي من سنة ١٠٥١ إلى سنة ١١١١ في مملكة أتشيه بجزيرة سومطرة .

* * *

وفي الخاتمة بينت المؤلفة أن تولي النساء الحكم في الدول الإسلامية قد بدأ في أواسط القرن السابع من الهجرة . وعللت ذلك بضعف الخلفاء العباسيين ، وإيذان دولتهم بالسقوط والاضمحلال ، واستغناء الملوك والسلاطين في الأطراف عن رسم الخليفة بتوليتهم الحكم ، ثم سقوط الخلافة العباسية أخيراً باستيلاء هولاكو المتوفى على بغداد سنة ٦٥٦ . وكان الخلفاء العباسيون لا يرسمون بتولية النساء الحكم استناداً إلى قول الرسول ﷺ الذي ذكرناه آنفاً .

وذكرت المؤلفة سبباً آخر لبدء تولي النساء الحكم في الدول الإسلامية في هذا الزمن الذي عينته . وهو أن النساء اللواتي تولين الحكم في الدول

الإسلامية ، ما عدا الدول التي قامت في جزائر المحيط الهندي ، ينتسبن جميعاً إلى سلالات تركية ومغولية ، دخلت العالم الإسلامي ابتداء من القرن الرابع ، وأمسكت بزمام الأمور فيه ، وأقامت الدول في أنحائه . وكانت لهم تقاليد وعادات وآراء جديدة في الحقوق العامة ، حملوا آثارها معهم . وتعتبر المؤلفة كون النساء الحاكمات في الإسلام جميعاً من هـذه السلالات دليلاً على إعطائهم المرأة قيمة خاصة في الحقوق العامة عندهم .

والخلاصة أن هذا الكتاب دراسة جامعية قيمة . وهو الكتاب الوحيد في موضوعه ، في القديم والحديث ، كما قلنا في أول كلامنا .

الدكتور عزة حسن

حول ديوان ابن النقيب
١٠٤٨هـ — ١٠٨١هـ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كان المجمع العلمي العربي بدمشق (مجمع اللغة العربية اليوم) قد تكرّم بنشر ديوان ابن النقيب السيد عبد الرحمن كمال الدين بن محمد الحسيني الشامي المعروف بابن حمزة . . وأناط مهمة المراجعة والإشراف على الطبع بالأستاذ الفاضل أحمد الجندي ، وصدر الديوان في عام ١٣٨٥ هـ — ١٩٦٥ م .

وقبيل صدوره ، بادرت بجمع جملة من الهفوات التي ندّت عن الخاطر وبعثت بها إلى المجمع الموقر ، لجعلها لحقاً بالديوان أو مستدركاً له ، غير أن تنفيذ هذه الرغبة لم يحقق ، لظروف أحسبها قامت حائلاً دون ذلك ، وأغلب هذه الهفوات طباعية ، على الرغم من الجهد الجليل الذي أنفقه الأستاذ الجندي ، وفي أثناء زيارتي لديار الشام في ربيع عام / ١٩٦٧ م ،

أشار عليّ بجمع هذه الملاحظات ثانية ، الأخ الأستاذ عبد المعين الملوحي ، وعند عودتي إلى بغداد ، أخـذت بتأليفها تمهيداً لإرسالها إلى مجلة المجمع الغراء ، فكانت ماهو مرقوم ، وقد كتُيب لها ألاّ تنشر في حينهـا ، لما أصاب الأمة الصابرة المصابرة ما أصابها من ويلات لا أودّ التصريح باسمها لمرارتها الأليمة ...

صفحة

١٨ تكون الأبيات ، ٢ ، ٣ ، ٦ ، ٧ ، كما يلي :

وإذا صحّف مقلو بأ غرز الخلفاء

ومن الياقوت والمر جان حلي للنساء

ما اسم ثلاثيّ ترا ه حين تقلبه ثنائي

١٩/ البيت ٤ . صوابه ، لو أنس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١٩/ س ١٠ . من الهامش « مراتع » .

٢١/ س ١١ . من الهامش ، عمامة ، (بالعين المهملة) .

٢١/ س ١٤ . من الهامش ، تحُلُّ ، (بضم الحاء) .

٢٣/ ٥ ،

وابتكار إلى مزاهر أبحا ث غنها لواقح الألباب

٢٣/ ٨ فلسطين خير .

٢٣/ ٩ ،

سيّد لم تزل مآثره تز داد مرّ الشهور والأحقاب

٢٤/ ٥ ،

نرتجي منكم الإجازة في المر وي مهراً فتلك أقصى الطلاب

صفحة

٢٤/ ٩ ،

وابق واسلم مرقه البال ما خطّ يراعٌ حرفاً بصدر كتاب

٣٣/ ١٠ ، الإطراب .

٣٦/ ٦ ، خليط .

٣٧/ ٧ ، نهّاب .

/ ٦ الأخير من الهامش ، ميسقع .

١٦/ ٢ لم أقف على مبهم كلمة (عرادة) حيث لم يعرف أبو الطيب بهذا النعت .

٣٨/ ١ من الهامش ، المتمنين .

٣٨/ ٥ تضاف « للخليع » ... ديوانه ، صفحة ٣٧ ، نشره ، أحمد عبد الستار فراج .

٣٩/ ١ خائف .

٣٩/ ٢ من الهامش ، يحذف لسقوط تمام العبارة .

٤٢/ ٤

يكاد يسحر إن فا هَ بالقريض القلوبا

٤٣/ ٧ يهدي .

٤٣/ ٣ من الهامش ، يحذف .

٥٥/ ٩ من الهامش ، وإنّا .

٥٧/ ١ لستُ .

٥٨/ ٥

ثم للقراصيا مثلتهـــا من صفاها كأنه مثبوتُ

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

صفحة

٣/٥٨ الهامش ، تضاف « أبي » بعد (للامام) .

٤/٥٩ عارضُه .

٥/٦٠ بلأْل .

٥/٦٦ الهامش ، حبر ، جمع حِبْرة .

١/٧٣ داريّة .

٣/٧٥ من الهامش ، الأرجح حذفه .

١/٧٥ صوابه ، يشير إلى معاذ بن مسلم الهراء ، المتوفى سنة /١٨٧ هـ ، الشاعر المعمَّر ، وفيه يقول ، سهل ابن أبي غالب الخزرجي ،

قل لمعاذ إذا مررت به قد ضجّ من طول عمرك الأمد

٩/٧٨ لامَنَى و لَحا ، ويحذف الهامش رقم (٢) .

/٧٨ الأخير مبنّح .

٧/٨٤ يفدّى .

٤/٨٩ المضاان ، وتضاف إلى أول التعليق رقم (٤) وهما زيد بن الحرث النمري ودغفل بن حنظلة الذهلي ، عالما العرب بحكمها وأيامها ، يضرب بهما المثل في الفصاحة ، فيقال : « أفصح من المضين » . وقد ورد ذكرهما في الديوان ، في أكثر من موضع .

/٩٢ ترجمة : كوبريلي أحمد باشا ، في قاموس الأعلام ، لشمس الدين سامي (٥ / ٣٩٠٧) .

٨/١٠٥ يضاف « نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب » . وهو مطبوع غير مرة ، والمقري هو أحمد بن محمد التلمساني المتوفى سنة/١٠٤١هـ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صفحة

١٣٤/ الأخير ، لعلها ، لهجته .

٢/١٣٦ الهامش ، يضاف ، كتاب الديارات للشابشتي ، تحقيق الأستاذ كوركيس عواد .

٣/١٣٧ الهامش ، يحذف .

٢/١٦٩ يريد ، يا منازل ، حذف اللام ، للترخيم .

٣/١٨٩ الهامش ، يحذف .

٢/١٩٠ لعلها ـ الإعارة .

٤/١٩١ الصواب ، بسكون الياء المثناة

٣/١٩٦ لا أنسَ ، والنجاشي ، لعله يريد به ، الصائد .

١٠/٢٠١ تتساح (بالمهملة) .

١/٢٠٣ ينظر صفحة/٧٥ ، (من هذا الثبت) .

٤/٢١٧ الطرزيّ ، ولعله يشير إلى مسألة نحوية .

١٠/٢٢١ ينظر عنها مراصد الاطلاع (١/١٥١ و ٢/٩٢٥) .

١/٢٢٤ ترجمته في خلاصة الأثر (٣/٢٣) .

٣/٢١٩ جلّق .

٩/٢٣١ البيت مدوَّر ، والمجادة ، من الفعل ، مجد ـ ككرام ، مجداً ، ومجادة . فهو ماجد ومجيد .

٢/٢٣٩ من الهامش ، يحذف .

٢/٢٤٠ تحذف الياء ، ويحذف الهامش رقم/١ .

٩/٢٤٠ بالي .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صفحة

٧/٢٤١
انه فضل كأس فضل تحسنًا ه دواء فاستبشرت آمالي

١٠/٢٤١ جُنَيْبَتُها .

٢/٢٤٢ بهم .

٦/٢٤٧ اراجع انها « قطاة » .

٤/٢٥٦ الهامش ، تحذف عبارة « والشطر الثاني وزنه مضطرب » .

١٤/٣٣٧ الكرملي (ت ـ ١٩٤٧ م) .

هذا ما أسعفني بصيده الخاطر ، من ملاحظات حول ديوان ابن النقيب ، مكرراً الحمد ، لقلمة المسلم والأدب ، و المجمع العلمي العربي ، وللأستاذ الجندي .

(بغداد) عبد الله الجبوري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

آراء وأنباء

المَعْرِضُ حَسَبُ [1]

قرأت في الجزء الأول من المجلد الثالث والأربعين من مجلّة المجمع العلمي العربي سابقاً أي مجلّة مجمع اللغة العربية بحثاً للأستاذ القانوني الكبير عارف النكديّ عنوانه « المعرِض أم المعرَض أو كلاهما » خلصَ منه إلى أن الوجهين جائزان ، والنصوص اللغوية التي أوردها لم تؤيد رأيه ـ حفظه الله تعالى ـ فالذي وجده في لسان العرب ـ كما قال ـ « المعرض (بفتح الراء) : المكان الذي يَعرِضُ فيه الشيء » . قال : « وزيد في الهامش على المتن « قوله : المعرَض : المكان ... في شرح القاموس هو كمقعد » .

فقوله : « يَعرِضُ فيه الشيء » هو يَعرِضُ مضارع عَرَضَ اللازم مع أنّ « المعرِض » مشتق من « عرض » المتعدّي بنفسه ، جاء في لسان العرب « وعرض الشيءَ عليه يعرضه عَرْضاً : أراه إيّاه » ثم قال : « وعرضتُ عليه أمرَ كذا وعرضتُ له الشيءَ أي أظهرته له وأبرزتُه إليه » ثم قال :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(١) قول العلامة السيد مصطفى جواد : « إن المعرِض بكسر الراء ، وليس له وجه ثان ، وخصوصاً بعد أن عُلم أن العرب تميل إلى الكسر في عدة أسماء يوجب القياس فتح العين فيها » .

نعلق عليه بملاحظة سبق أن أشرنا إليها معززة بنصوص من دواوين الأئمة تجيز اللغتين . فاختيار إحداهما يعود إلى أخفهما في الاستعمال وعلى السمع . وهو ما جرى عليه العرب غير مقيدين أنفسهم بالقياس دائماً . وهو ما قاله الأستاذ الكبير إلا أنه غلب الميل إلى الكسر ، على أنه وقع منهم أن فتحوا في ما يوجب الكسر ، وكسروا في ما يوجب الفتح .

وفي علم الأستاذ الجليل ، ما يغني عن التطويل . عارف

« وعرضتُ الكتاب وعرضتُ الجندَ عرض العين إذا أمررتهم عليك ونظرت ماحالهم وقد عرض العارض الجند » . ولم يَرد « العرَضُ » من المتعدي إلا في قولهم : « عرضَ المُودَ على الإناء والسيفَ على فخذه يعرضُه عَرْضاً ويعرِضُه » كما في لسان العرب ، أي وضعه عَرضاً وهو معنى آخر استشهد له مؤلف اللسان بالحديث الذي نصُّه « خمّروا آنيتكم ولو بعُود تعرضونه عليه (١) (كذا) أي تضعونه معروضاً عليه أي بالعرض » وإلا في قولهم : « الغنمُ تُعرض الشوكَ (٢) » .

وأمّا اللازم الذي ورد في استشهاد الأستاذ الكبير فاسم المكان منه أيضاً « المعرِض » إلا لغةً على وزن « فرِح » جاء في اللسان أيضاً ، عرَضَ لي يعرِضُ وعرِضَ يعرَضُ لغتان » فالمعرَض الذي أورده بمعنى « المكان الذي يَعرَضُ فيه (لايَعرِضُ) هو من اللغة الثانية لهذا الفعل اللازم » ، وفي اللسان « وعَرَضَ له أمرُ كذا أي ظهر ... والعرَض ما يعرِضُ للانسان من الهموم والأشغال » . وهذه اللغة الثانية هي التي نقل شاهدَها من المصباح المنير » وهو « وفي الأمر (٣) لا تعرِضُ له بكسر الراء وفتحها أي لا تعترض له فتمنعه باعتراضك أن يبلغ مراده » . والأصل : هو « وعَرَضَ له أمر إذا ظهر ... وما عرضت له بسُوء أي

(١) أي تتناولُ منه وتأكلُه وكأنها تأتيه من العرَض .

(٢) هذا قول صاحب المصباح عاقلاً لا ناقلاً ، لأن الصواب « وفي النهي : لا تعرِض له .. » . فالجملة في صيغة النهي لا في صيغة الأمر .

(٣) في المقاييس لابن فارس « هلا خمّرتَه ولو بعُود تعرضه عليه » .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ما تعرضت وقيل : ما صرت له عُرضة بالوقيعة فيه ، والجميع (١) من باب ضرَب . وعرِضتُ له بالسّوء أعرَضُ من باب تعِبَ ، لغة ... » .

ومع ذلك صرّح الفيومي بوجوب كسر الراء في المعرض الذي نريدُه قال : « والمعرِض وِزانُ مسجد : موضع عرض الشيء ، وهو ذكرُه وإظهاره . وقلتُه في معرِض كذا أي موضع ظهوره ، فذكر الله ورسوله إنما يكون في معرِض التعظيم والتبجيل أي موضع ظهور ذلك والقصد إليه وهـذا لأن اسم الزمان والمكان من باب ضرب يأتي على مَفعِل بفتح الميم وكسر العين ، يقال : هـذا مصرِفه ومنزِله ومضرِبه أي موضع صرفه ونزوله وضربه الذي يضرب فيه وسيأتي تقريره في الخاتمة إن شاء الله تعالى » .

فالفيوميّ يوجب كسر الراء في كلا المعنيين ولا يعترف باللغة الثانية وإن كان قد أوردها وكانت خارجة عن المعنى المراد بالمعرِض اليوم ، وخلاصة الأقوال أن « المعرِض » لموضع تعرِض الشيء يبقى « معرِضاً » حسْبُ وليس له وجه ثانٍ ، وخصوصاً بعد أن علِم أنّ العرب تميلُ إلى الكسر حتى في عدّة أسماء يوجبُ القياسُ فتح العين فيها وهي غير خفية على الأستاذ الكبير .

مصطفى جواد

---

(١) أراد المتعدّي واللازم ، فمن المتعدّي الذي ذكره « عرضت الكتاب عرضا : قرأته عن ظهر قلب . وعرضت المتاع للبيع : أظهرته لذوي الرغبة ليشتروه ، وعرضت الجند : أمررتهم ونظرتُ إليهم لتعرفهم ... » وغير ذلك .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تعليقات واستدراكات

كنت كتبت في الأستاذ تقي الدين الراصد مقالاً في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (١) بينت أن للراصد كتاب (الكواكب الدرية). وهذا هو صواب اسم الكتاب مأخوذ من الآية الكريمة «كأنها كوكب دري». وليس بصحيح تسميتها بـ (الكواكب الدورية). ألفه سنة ٩٦٦ هـ — ١٥٥٦ م، ونقلت ما جاء عنه في كشف الظنون .

ومنه كتاب نشرته الدكتورة الاستاذة سويم تكه‌لي في الساعات الطبوع سنة ١٩٦٦ م في مطبعة الجامعة بأنقرة توجد نسختان احداهما في باريس برقم ٢٤٧٨ والأخرى نسخة بودليان برقم ١٩٦٨ إلا ان الاستاذة المحققة لم نعرف اعتمادها على أي نسخة لينسب الغلط إلى إحداها . وان نسخة كتبت في استنبول والأخرى في مصر .

وتكلمة عنوان الكتاب (الكواكب الدرية في البنكامات الدورية) . وهناك تشريح للفظ البنكامات . وأعتقد أنه مقلوب نبك بتقديم النون ، ويراد به الأصل فيقال (النبك) الأصل كما في القاموس المحيط . وعندنا في العراق لا تزال اللفظة مستعملة فيقال (نبك حرام) أي أصل حرام .

ويهمنا أن ترد النسخ المذكورة أعلاه ليكون التحقيق بمحله ومستوعباً البحوث المطلوبة .

وعلى كل حال نشكر الأستاذة سويم تكه‌لي على إحياء أثر الأستاذ تقي الدين معروف الراصد باطلاعنا على نسخ منه .

عباس العزاوي

---

(١) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ج ٤ ص ٨٥٩ .

رأي حول الجالية والجزية

تفضلت لجنة المجلة مشكورة ، فأوضحت ما قد يبدو غير مألوف للقارىء بالنسبة لاستخدامي لفظ جالية في دراسة نُشرت لي بالجزء الثاني من المجلد ٣٤ لهذه المجلة الموقرة ، وعلّقت المجلة بأن الجالية كما ورد في المعاجم هم أهل الذمة أنفسهم وليس ما يفرض عليهم كما يفهم من استخدامي لها .

ومما يؤسفني انني استخدمت هذه العبارة في غير موضعها عند حديثي عن فرض الجزية على عهد رسول الله ﷺ ، إذ لم يشع استخدامها آنذاك وكان معروضاً علي الأخذ بهذه العبارة عند الحديث عن فرض الجزية من عهد الخلفاء الراشدين . ولكنني لسبب ما أود إيضاحه عممت استخدامها بدلاً من الجزية .

ARCHIVE

فلقد أخذت جالية ، في الواقع ، دوراً هاماً في أدب الخراج والنظم الإدارية الإسلامية ، إذ استخدمت منذ القرن الأول الهجري لتوضيح العديد من الاصطلاحات الإدارية ، لم يكن من بينها المعنى الذي ورد بالمعاجم . وبالرجوع إلى الوثائق البردية التي تناولت مسائل الخراج والإدارة ، يتبين بأن هذه العبارة استخدمت بشكل رسمي ، وقبل أن يشيع مفهومها الذي أخذت به المعاجم في وقت متأخر .

وقد فضلت استخدام جالية بدلاً من جزية لاقتراب مفهومهـــا (أي الإجلاء) من المضمون الإنساني العادل للتشريع الإسلامي السمح ، وذلك حتى لا أضطر إلى ترجيح مضمون كلمة جزية المرتبطة بمعاني العبودية ، والخضوع التي خلفتها لنا الأنظمة السابقة على الاسلام . هذا بينما حاولت العمل على إحياء عبارة كريمة شاع استعمالها في عهود الاسلام الأولى ،

بدلاً من الأخذ بكلمة بغيضة تحمل معنى الجزاء والخضوع ، وأنا أتحدث عن عدالة الإسلام .

فمنذ فجر الفتح الإسلامي ، كثر استخدام كلمة جالية وجوالي وجالية الرأس في وثائق الخراج بمصر ، وكذلك بأدب الخراج نفسه . وحملت العبارة ثلاث معان ترتبط بأهل الذمة ، غير أن المعنى الذي قدمته المعاجم القديمة ، أي أهل الذمة أنفسهم ، كان من الندرة بمكان .

وأول وثيقة رسمية وقعت في يدنا ترجع إلى عام ٩١ هـ ، استخدمت فيها عبارة جالية وجالي لتحمل مفهوم الدمي الفار من أداء جالية الرأس (أي الجزية) . فقد بعث قُرّة بن شريك والي مصر ، في جمادى الآخرة ٩١ هـ ، خطاباً إلى باسيل صاحب كورة أشقوة يهدده فيه بالعقاب لأنه تجاهل تعليمات الادارة المركزية بالنسبة للفارين ، وجاء بالخطاب : [أما بعد ، فإن هشام بن عمر كتب إليّ يذكر جالية له بأرضك ، وقد تقدمت إلى العمال وكتبت إليهم الا يؤووا جالياً ... فاذا جاءك كتابي هذا فادفع إليه من كان له بأرضك من جاليته ...] وبعد ذلك يوصيه بعدم جباية جالية هؤلاء الفارين لأنهم ينتسبون إلى كورة أخرى . وقد عثر على العديد من الوثائق البردية التي تحمل نفس المعنى ، وبقلم قرّة بن شريك إلى عمال الكور المصرية ، أثناء القيام بتعداد النفوس الذي تم خلال ولايته على مصر (١) . وقد كانت العادة أن يرجع الذمي إلى الكورة التي ينتسب إليها وقت التعداد حتى لا يتكرر فرض الجالية عليه .

---

(١) Bell H. J : Greek Papyri in the British Museum : Vol. IV. The Aphrodito Papyri, Oxford. 1910. p. XL. Journal of Hellenic Studies, vol. XXXVIII, 1908, pp.107-112. Grohmann A: Arabic Papyri in the Egyptian Library, vol. III, pp. No. 150 - 151.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

واستخدمت عبارة جالية ، وجالية الرأس من المئات العديدة من الوثائق الخراجية ، وسجلات جباية الخراج والجالية منذ القرن الأول ـ أي قبل أن يظهر اول معجم ـ لكي تفي بمضمون الجزية . وهذه الوثائق متناثرة في جميع المتاحف وخزائن الكتب بالعالم ... ومنها بعض البرديات اقتطف منها بعض العبارات لإيضاح مضمون الكلمة .(١) وهذه البرديات بدار الكتب المصرية بالقاهرة .

بردية رقم ٢١٢ وهي عبارة عن سجل لتقسيط الجزية والخراج في إحدى قرى صعيد مصر ، وجاء التقسيط كالتالي : $\frac{١}{٢} + \frac{١}{٣} + \frac{١}{١٢}$ [دينار] جالية ... [فلان] .

جالية ... $\frac{١}{٣}$

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بردية رقم ٢٣٨ وهي عبارة عن قائمة لسداد أقساط الخراج والجزية ٣٢ من أهل الذمة ، وكان بيان الأقساط المسددة عن : المثلة والمروج والجالية والمراعي ، والبردية رقم ٢٥٤ وهي سجل للجباية من عام ٢٨٠ هـ [٨٩٣ م] لإحدى القرى ورد بها ... من جالية رأسه .

(١) Grobmann A : Ibid . pp. No. 202 - 211 , 212 , 238 , 245 , 254 , 275 . 283 , 287 .

Collection of the Papyrus Erzherzog Rainer . Vienna . Arabic Papyri . No . 2578 .

Papyrus Erzherzog Rainer , Wien 1894 , pp. 897 .

Mitterlungen aus der Sammlung der Papyrus Erzherzug Rainer , Vol . II/III . 1887 . 164 .

Papyri in the University Library Strassbourg , Arabic. pp. 80 .

أما البردية ٢٤٥ فهي تبين أقساط الجزية المحصلة وبيانها كالتالي .

[..... ومن جالية كفر دير شتورة وكفور .... ٣٦ — ١٨ — ١

والبرديه ٢٤٥ فهي تبين أقساط الجزية المحصلة وبيانها كالتالي :

[.... $\frac{١}{٢} + \frac{١}{٨} + \frac{١}{٢} + \frac{١}{٨}$ الجوالي ....

هذا بينا استخدم ابن عبد الحكم كلمة الجالية لتحمل معنى الجزية وذلك في كتابه عن فتوح مصر (١) .

أما المعاجم المتنوعة الحديثة .. ومنها ماطبع بالشرق ، ومنها ماطبع بالغرب ، فقد ورد بها معنى كلمة جالية لتوضيح المفاهيم التالية .

١ — الغرباء هاجروا أوطانهم .

٢ — أهل الذمة .

٣ — الجزية التي تؤخذ من أهل الذمة

٤ — ثم استعملت في كل جزية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وإذ أشكر المجلة جميل جهدها لإيضاح المعنى الذي قد يبدو غير واضح لبعض القراء ، فإنني لأرجو التفضل بنشر هذا الرأي حتى تعم الفائدة المرجوة ويتحقق هدف المجلة بإتاحة الفرصة للمناقشات الهادفة .

وإنني أترك للجنة الموقرة حرية البت في أمر نشر هذا الرأي إن كان يتفق والهدف النبيل للمجلة ... وإلا فإنني أفوض لها أمر عدم نشره حسب ماتراه لها وشكري .

(بودابست) الدكتور عبد المنعم مختار
المحاضر بجامعة بودابست

(١) ابن عبد الحكم . فتوح مصر . صفحة ١٥٢ .

الرباعيات
أو
الدوبيتات

لفت نظري في عدد سابق من مجلة مجمع اللغة العربية الزاهر [١] تعليق الأخ الدكتور علي جواد طاهر على الموسوعة العربية الميسرة ، واستوقفني حديثه عن فن الدوبيت ، أحد الفنون المعروفة في عصور الدول المتتابعة ، وقد نقلها العرب عن الفرس ، وسمّوها الرُّباعيات ، وأطلقوا على المقطوعة الواحدة رباعية كما هو مأثور مشهور في الكتب التي أرّخت العصور المذكورة

أنكر الدكتور علي هذه التسمية العربية كل الإنكار ، وتساءل متعجباً : « ومتى سمّاه العرب الرباعي ؟ وأين ؟ لم يكن للمصاريع الأربعة التي يتألف منها أثر في هذه التسمية !! » [٢]

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وليسمح لي الدكتور علي أن أنكر عليه ما ذهب إليه ، وسيكون إنكاري مقتصراً على الإجابة عن هذه التساؤلات التي أثارها والتي أدخلت الشك في التسمية العربية لفن الدوبيت .

سمّى العرب الفن المذكور باسم الرباعي منذ وُجـــد ، وقد عرفناهم يستخدمون اللفظين معاً ، فمن الذين استخدموا اللفظ الأصلي أي الدوبيت ابن خلكان الذي ذكر لنا أنه رأى ديواناً خاصاً نظمه فتيان الشاغوري « جميع مافيه دوبيت » [٣] ؛ واستخدمه أيضاً في حديثه عن ديوان آخر

(١) مجلة مجمع اللغة العربية ، المجلد الثالث والأربعون ، الجزء الأول سنة ١٩٦٨ .
(٢) الجزء المذكور ، الصفحة ١٠٨ .
(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ١ ، ص ٤٠٨ .

للعماد الكاتب، وقال : « ديوان صغير جميع ما فيه دوبيت »[١]، وقد أورد أبو شامة أمثلة من هذا الديوان في معنى الجهاد قالها على لسان الملك العادل نور الدين محمود[٢]؛ كما أورد التسمية المذكورة ابن أبي أصيبعة في ترجمة حكيم الزمان الجلياني، صاحب القدسيات المشهورة، وأشار إلى وجود ديوان مشهور له في « الغزل والتشبيب والموشحات والدوبيتي وما يتصل به »[٣].

لقد سبق العماد الكاتب صاحب الخريدة، أحد أعلام القرن السادس الهجري غيره ممن ذكرناهم، فاستخدم في معظم الأحيان التسمية العربية كما هو الحال في ترجمة عرقلة الدمشقي الذي آثرنا ذكره تمثيلاً لا إحاطة كما في قوله : « وقوله رباعية »[٤] و « وله رباعية »[٥] و « قوله رباعية »[٦]. ويشير في ترجمة ابن قسيم الحموي إلى رباعية رابعة كما في قوله : « وقال رباعية »[٧] إلى آخره ....

هذه هي أربع رباعيات ذكرها العماد الكاتب في خريدته وهو صاحب ديوان مشهور في الفن المذكور، ولكنه مفقود مع الأسف، وقد اطلعتنا على استخدام التسمية العربية .

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج ١، ص ٧٧ .

(٢) أبو شامة : الروضتين، ج ٢، ص ٢١١ .

(٣) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء، ج ٢، ص ١٦١ .

(٤) العماد الكاتب : الخريدة، قسم شعراء الشام، ج ١، ص ١٩٤ .

(٥) العماد الكاتب : الخريدة، قسم شعراء الشام، ج ١، ص ١٨٤ .

(٦) العماد الكاتب : الخريدة، قسم شعراء الشام، ج ١، ص ٢١٨ .

(٧) العماد الكاتب : الخريدة، قسم شعراء الشام، ج ٣، ص ٤٥٤ .

تلك هي الفقرة الأولى من تساؤله : (ومتى سماه العرب الرباعي ؟) ، ولعلنا أجبناه أيضاً عن الفقرة الثانية : (وأين ؟) ، وهكذا نكون قد استكملنا الزمان والمكان معاً .

أما الفقرة الثالثة من تساؤله : (لم يكن المصاريع الأربعة التي يتألف منها أثر في التسمية) . وغريب حقاً مثل هذا القول ، فهو لا يستقيم مع المأثور والمشهور في تعريف هذا الفن . يقول المحبي : « والدوبيت أول من اخترعه الفرس ، ونظموه بلغتهم ، ومعناه بيتان ، ويقال له : الرباعي لأربعة مصاريعه .. »(١) .

أظن أن هذا القول غني عن كل تعريف وبيان ، ففيه محكم الجواب وفصل الخطاب ، وفيه النص القاطع على المصاريع الأربعة التي كانت سبب التسمية . كما أحب أن أذكر أخيراً أن الخفاجي أورد التسمية العربية في تعداده أقسام النظم ، واعلم أن المولدين كما غيروا الأبنية غيروا هيئة التركيب وأوزان الشعر ؛ فأقسام النظم عندهم سبعة : الشعر ، والموشح ، والرباعي ، والزجل ، وكان كان ، وقوما ، والحماق »(٢) .

أكتفي بهذا القدر من النصوص والشواهد المأثورة والتعريفات المشهورة تأكيداً لما ذهبت إليه ، وقد اختتمتها بقول الخفاجي ففيه شفاء الغليل .

وهكذا عرفنا الآن متى سمي الدوبيت بالرباعي ، ورأينا أين سمي ، وأدركنا أثر المصاريع الأربعة في تسميته .

وحبذا لو استمع معنا إلى رأي الجنيد المتصوف المشهور لنعرف أن الرباعيات معروفة عند فقراء المتصوفة ، فهي كلام المحبين والعشاق « ... قيل :

---

(١) المحبي : خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ، ج ١ ، ص ١٠٨ .

(٢) الخفاجي : شفاء الغليل ، ص ١٠ .

فما بالهم لا يطربون إذا سمعوا القرآن ، قال : لأنه كلام الحق ما فيه ما يوجب الطرب ، نزل بأمر ونهي ، ووعد ووعيد ، فهو يقهر ؛ قيل : فما بالهم لا يطربون عند القصائد ؛ قال : لأنها مما عملت أيديهم ؛ قيل : فما بالهم يطربون عند الرباعيات ؛ قال : لأنها كلام المحبين والعشاق »[١] .

هذه هي الرباعيات ، عرف العرب هذه التسمية قديماً حينما عرفوا هذا الفن الفارسي ، وهي كما رأينا ذات صلة بالتصوف وفقرائه ومريديه ، ولهذا استعمنا تبيان وجه الحق والصواب كما تقتضيه الأمانة العلمية في البحث والتحقيق ، والله من وراء القصد ، يسدد خطانا ، ويهدينا سواء السبيل .

الدكتور محمد موسى باشا

نسخة فريدة من « الجواهر المكللة في الاخبار المسلسلة »

للسخـــاوي

كم خبايا في زوايا ، عثرت أخيراً في زاوية الشيخ صاحب العلم (بيرجهندا ، كما يقولون باللغة الأهلية) بالقرب من حيدر آباد عاصمة إقليم السند الحالية ، (بالباكستان الغربية) على نسخة فريدة من كتاب « الجواهر المكللة في الأخبار المسلسلة » للسخاوي بخط المرتضى فخر الدين أبي بكر السلمي المكي الشافعي سماعاً من لفظ مؤلفه ، علقها لنفسه في مدة آخرها

---

(١) انظر رسالة (آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة) لبدر الدين محمد الغزي ، وقد قمنا بتحقيقها وتفضل المجمع بدمشق بطبعها ونشرها سنة ١٩٦٨ .

تاسع من شعبان المكرم سنة ست وثمانين وثمانمائة ، تجاه الكعبة المعظمة (١) وثبت بطرّتها خط السخاوي شاهداً بالإملاء وبآخرها إجازة بخطه أيضاً لأبي بكر السلمي المذكور بروايتها عنه مع سائر مروياته ومؤلّفاته ، يتلوها فهرست شيوخها في نسق واحد بخط السخاوي أيضاً .

يقع الكتاب في ٩٧ ورقة مكتوبة على الجانبين ومسطر الكتابة ١٣ ½ سم × ١٠ ½ سم ، واحد وعشرون سطراً في الصفحة ، يضاف إليها ٢٠ ورقة (١٥/١٣ سطراً في الصفحة) بخط السخاوي إجازة منه لأبي بكر السلمي وفهرست شيوخها ، يمتاز الخط بالإتقان والوضوح ، المتن بالمداد الأسود والعناوين بالمداد الأحمر ، وكذلك العلامات في مواضع الفصل .

وقد جاء في الضوء اللامع ٨/١٦ أنّ « الأحاديث المسلسلات وهي مائة استفتحها (السخاوي) أيضاً عن سبقه لجمع المسلسلات مع انفراده بما اجتمع فيها وسماها « الجواهر المكللة في الأخبار المسلسلة » .

كذلك قال في مقدمة الكتاب (الجواهر المكللة) ق ٣ الف :

« فأحببت جمع مائة مما عندي منها في ديوان ، ملتزماً فيها البيان مع الترتيب الحسن ، والتبويب المقرّب للمراجعة في القريب من الزمن ، فابدأ بأول أقسامها البهية ، وهو المسلسل بتاريخ الرواية كالأولية والأخروية ، أو بزمنها كالعيد والخميس ، أو لمحلّها كالملتزم النفيس ، أو كونه وحده ، حين التحمل عن شيخه المعتمد ، ثم بثاني الأقسام وهو المسلسل بصفة الراوي الحالية المعروفة بين الأعلام كالحفظ والفقه والثقة والتعمير ، وكونه مصريّاً أو شامياً ، أو اسمه محمداً على الراجح الشهير ، أو ممن ذُكر بكنيته أو عُنيت نسبته ، أو كانت روايته عن أبيه الذي به شهرته ، ثم بصفته القولية ،

(١) يؤكد الضوء اللامع ٨/١٤ أنّ السخاوي « حج سنة خمس وثمانين وجاور سنة ست ثم سنة سبع وأقام منها ثلاثة أشهر بالمدينة المنورة » .

كقراءة « الصف » وإني أحبّك ، للهيئة الرضيـة ، ثم بصفته الفعلية ، كالكتابة بالروي والمصافحة والمشابكة الملية ، ثم بصيغة الراوي التي بهـا اسمعتُ ، كسمعت وقرأت وأنشدتُ ... » .

هذا وقد جاء الكتاب وفق الخطة المرسومة أعلاه تماماً ، فإنّ فيها مائة حديث مسلسل بأنواعها المختلفة بزيادة حديث واحد (الحادي بعد المائة) لايخلو كثير منها من الطرافة كالحديث الخامس عشر وهو المسلسل بالشعراء والنسخة سليمة من الآفات إلاّ أنها تحتاج إلى العناية بحفظها ، فقد انفصلت الورقتان الأوليان عن التجليد ، وأيضاً أصابتها يد عابث طمس اسم الكاتب بآخرها لغرض ما ، مع أنّ ذلك لا يريب قط في عزوها إلى من هي له بشهادة الملي ، أعني إجازة السخاوي بخطه ، وهي الآن في حوزة السيد محب الله شاه ، صاحب العلم السادس ، وهو رجل متقف يقدر العلم ويحفل بالعلماء ، يرجى منه الحفظ وتيسير الإفادة من تراثه العلمي إلى جانب الإفاضة الروحية ، وأنا أشكر له حسن صنيعه بي ، وإجابته لطلباتي بشأن إعارة المخطوط وتصويره .

ويسعدنا أن نتحف القراء بالصور الآتية :

(أ) صفحة العنوان (ب و ج و د) الصفحات الثلاث [٤١٣٠٢] من الكتاب ، وهي التي سرد فيها أسماء الذين عُنوا بجمع المسلسلات قبله ، وهي مما يهم الدارسين الباحثين في عصرنا (هـ) الصفحة الأخيرة من الكتاب (و) الإجازة بخط السخاوي (ز ح ط) الصفحة الأولى والسادسة والأخيرة من فهرست الشيوخ .

القسم العربي بجامعة كراتشي الدكتور محمد يوسف

أ

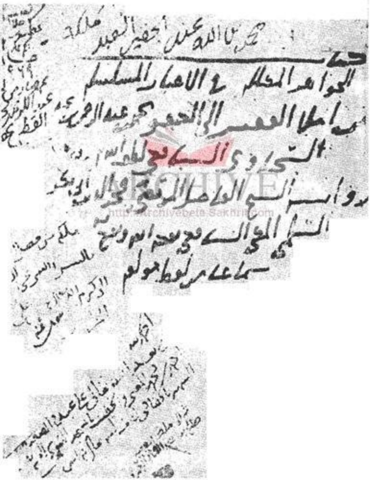
الجواهر المكللة في الأخبار المسلسلة

ARCHIVE http://archivebeta.sakhrit.com

ب

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
الحمد لله الذي اتصل فضله فتسلسل، وتطول نعم هالة للفاضل والمفضول
والأفضل، وتوسل للمقربون من عليهم إليه نبينا المرسل صلى الله عليه وعلى آله
وصحبه الموصلين لكل مشكل معضل، وبعد فإن من الأنواع الشريفة
والأوضاع العلية المنيفة الأحاديث المسلسلات التي [illegible] مزيد ضبط
رواتها من الدلالات وكونها من فوائدها الاقتداء بأن رسول الله عليه أفضل الصلاة
والسلام في أقواله وأفعاله وبسلامتها عن السهو والأوهام [illegible] عن
التدليس والانقطاع [illegible] الجرح [illegible] أو التزوير أو المقاطيع أو وصف
رواتها أو أوطانهم [illegible] بكونهم ثقات وحفاظا [illegible] أو مصريين
أو دمشقيين [illegible] كما قاله النووي [illegible]
ولكن قد كثر فيها الدخيل وتطرق إليها بالزيادة والنقص والتحريف والتبديل
وانتهى بالوضع وغيره من أسباب التعليل وجهدا من مهمات العلماء
إذا كان لمجموع الأسانيد لما فيها من علله والانفصاح عن المقبول منها وما به خلل
وقد جمع الأعيان من أئمة الشان فكان ممن جمع منها الأول
ذكر محمد بن إسماعيل بن العباس المستملي الوراق
وأبو محمد الحسن بن إسماعيل بن محمد الضراب
وأبو عبد الله الحسين بن محمد بن الحسين بن فنجويه
وأبو علي الحسن بن أحمد بن إبراهيم بن شاذان
والأستاذ أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي ١
والحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني ١٢
وابن [illegible] عبد الملك بن زيادة الله الطبني
وأبو

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

ج

و ابو بكر محمد بن علي المطوعي الغازي تلميذ الحاكم وشيخ لابي عبد الله محمد بن حمدون بن
علي بن بلال القزويني ٥ المطوعي [illegible] القرآن الخامس
و الحافظ ابو العباس جعفر بن محمد بن المعتز المستغفري ٤٣٢ جمادى الاولى
و ابو عصمة نوح بن نصر بن محمد الاخسيكثي ممن [illegible] اخذ [illegible] قبل
و الحافظ ابو سعد اسمعيل بن علي بن الحسين الرازي ابن السمان شعبان [illegible]
و ابو القسم عبد الرحمن بن محمد بن احمد بن محمد بن فوران [illegible] رمضان [illegible]
و ابو المظفر هناد بن ابراهيم [illegible]
و ابو محمد عبد العزيز بن احمد بن محمد الكتاني [illegible] جمادى الآخرة
و ابو الحسن علي بن [illegible]
و ابو القسم عبد الرحمن بن [illegible] الحافظ [illegible] شوال [illegible]
ابو محمد عبد الله بن عطاء بن عبد الله الابراهيمي الهروي سنة [illegible]
و ابو بكر احمد بن علي بن زكريا الطريثيثي البغدادي [illegible] سنة [illegible] جمادى
و ابو الغنائم محمد بن علي بن ميمون النرسي الملقب أُبَيّ [illegible]
و ابو محمد هبة الله بن احمد بن محمد ابن الاكفاني [illegible] رجب
و ابو بكر محمد بن عمر بن عثمن بن عبد العزيز الحنفي عرف ببكاك [illegible] المحرم [illegible]
و ابو القسم اسمعيل بن محمد بن الفضل التيمي [illegible]
و القاضي ابو بكر محمد بن عبد الله بن محمد ابن العربي [illegible] ربيع الآخر
و الحافظ ابو العلاء الحسن بن احمد بن الحسن العطار [illegible] جمادى الاولى
و ابو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن يحيى بن اسمعيل العثماني الديباجي [illegible] شوال [illegible]
و ابو محمد المبارك بن علي بن الحسين بن عبد الله بن الطباخ الحنبلي [illegible] شوال [illegible]
و الحافظ ابو القسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال [illegible] رمضان [illegible]

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

د

و الشرف ابو سعد عبد الله بن محمد بن هبة الله بن ابي عصرون الشافعي
و ابو الخير احمد بن اسمعيل بن يوسف الطالقاني القزويني ٥
و ابو الفضل محمد بن يوسف بن علي بن محمد الغزنوي الحنفي ٥
و الحافظ ابو الحسن علي بن المفضل المقدسي المالكي ٥
و الحافظ الضياء ابو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن احمد المقدسي الحنبلي ٥
و ابو اسحق ابرهيم بن محمد بن عبيد الله الاوسي القرطبي ٥
و الحافظ ابو بكر محمد بن يوسف بن موسى بن مسدي ٥
و البرهان ابو اسحق ابرهيم بن سعد الله بن جماعة ٥
و الكمال ابو عبد الله محمد بن يحيى بن محمد بن خلف الهمداني المصري ٥
و التاج ابو القسم عبد الغفار بن محمد بن عبد الكافي السعدي ٥
و ابو عبد الله محمد بن جابر الوادياشي ٥
و محمد بن مسعود بن محمد النجار [illegible] ٥
و الحافظ صلاح الدين ابو سعيد خليل بن كيكلدي العلائي ٥
و الكمال محمد بن سالم بن ابرهيم بن علي [illegible] ٥
و ابرهيم بن عبد الرحمن بن ابرهيم بن سعد الله بن جماعة ٥
و ابو الثناء محمود بن خليفة المنبجي ٥
و الجمال يوسف بن محمد بن مسعود السرمري وهي عشرة احاديث [illegible]
و ابو الحسن علي بن احمد بن اسمعيل [illegible] ٥
و الشمس ابو الخير محمد بن محمد بن محمد الجزري المقرئ [illegible] منها اشياء في بعض [illegible]
و الحافظ ابو عبد الله محمد بن ابي بكر عبد الله بن محمد بن ناصر الدين الدمشقي ٥
و صاحبنا محدث الحجاز ومسند الحجاز النجم ابو القسم عمر بن فهد الهاشمي المكي ٥
و ممن جمعها ايضا ابو المحاسن [illegible] المالكي [illegible] ابي العلاء ٥

هـ

الحديث الحادي بعد المائة ... :

انشدنا الامام ابو الفتح المراغي انشدنا الامامان ابو الطاهر الخجندي الحنفي والمجد الشيرازي الشافعي قالا انشدنا الحافظ صلاح الدين العلائي ثم انشدنا عاليا الزين عبد الرحمن القبابي عن العلائي قال انشدنا ابو محمد القسم بن المظفر ابن عساكر عن ... انشدنا عمي ابي ابو محمد ... انشدنا عمي الحافظ ابو القسم علي بن الحسن الدمشقي لنفسه

واطلب على حمل الحديث وكتبه ... واجهد على التصحيح في كتبه

واسمعه من اربابه نقلا كما ... سمعوه من اشياخهم تسعد به

واعرف ثقات رواته من غيرهم ... كيما تميز صدقه من كذبه

فهو المفسر للكتاب وانما ... نطق النبي لنا به عن ربه

وتفهم الاخبار تعرف حله ... من حرمه مع فرضه من ندبه

وهو المبين للعباد بشرحه ... سير النبي المصطفى مع صحبه

وتتبع العالي الصحيح فانه ... قرب الى الرحمن تحظ بقربه

وتجنب التصحيف فيه فربما ... ادى الى تحريفه بل قلبه

واترك مقالة من لحاك بجهله ... عن كتبه او بدعة في قلبه

فكفى المحدث رفعة ان يرتضى ... ويعد من اهل الحديث وحزبه

قال الشيخ ابقاه الله ... [illegible]

[illegible] الاذن المسلسلات [illegible]

[illegible] وسائر المسلمين وصلى الله على سيدنا محمد وسلم [illegible]

[illegible]

[illegible] سنة [illegible]

ARCHIVE http://archivebeta.sakhrit.com

و

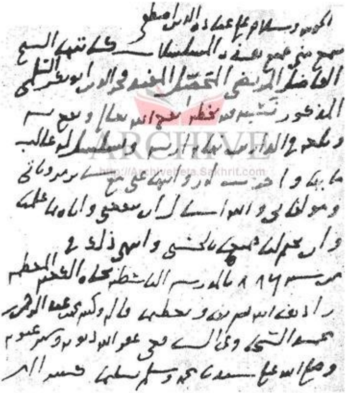
الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما [illegible]

ز

الحمد لله الذي شرح صدور أهل السنة لأبي بكر وعمر
المشتري عمر أفضل ... بالعلم والفخر والصلاة
والسلام على سيدنا محمد سيد ولد آدم وأهل الفخر
وبعد فقد قال العبد الفقير إلى مولاه والمفتقر
إلى لطفه فيما قدره علمه وقضاه الشيخ الأفضل
والفخر الأكمل المشتهر العمدة الواصل الأكبر
الواصل إلى الحضرة المرتضى الرضي المفتي المستفيد
ذا الهمة الجالس والنهج الواضح والفتوة
والمروءة فخر الدين أبا بكر بن المرحوم علم الدين أبي
الربيع سليمان بن عبد الله أبي الحسن الشبلي المكي
الذي عرف والده بالشبلي أعزه الله تعالى
وأبقاه، ومن السوء وقاه، وإلى السعادة الدنيوية
والأخروية رقاه، بمن حل علم نظر الجلال والإكرام
ووصل ... السادات الى ... من المآثر

ح

ولما صنف معظم المشروح ... وما كان لازمني
مجالس التحديث ... أو سمع من لفظي وعلم من بعض تصانيفي
وغير ذلك اشياء كثيرة وكتبت بخطي من تصانيفي القول
البديع والاحاديث المشتهرة والمسلسلات
وفضل الرمي بالسهام وغير ذلك وقال بعض [illegible]
بخطه وكان ممن سمع من بعض تصانيفي القول البديع في
فضل الصلاة على الحبيب الشفيع والجواهر
المكللة في الاحاديث المسلسلة والبلدانيات والحلبيات
والمنهل العذب الروي في ترجمة النووي وفتح المغيث
بشرح الفية [illegible] وتفقه بالفارسي والشيخ
في ختم صحيح البخاري الجامع والابتهاج باذكار المسافر الحاج
والتبر المسبوك في [illegible] المحمود والمذموم
وغنية المحتاج في ختم صحيح مسلم بن الحجاج والمجلس الاحمدي
شرحها [illegible] في علوم الحديث [illegible] اعظم
الصلاة والسلام واشتغل منها ما كتبت في اجازة

ط

الشيخين المذكورين رحمهما الله اذا عرفا طريقه
الى انه لم يعرف بينهما شك ولو لصحبهما من ذكرهما
واحد [illegible] لصحيح اسناده وصحيح الاسانيد من
الكتب [illegible] روايات الاعلى ورواية
جميع مروياتي ومؤلفاتي مصاحبا في ذلك كله
التحري والضبط والاتقان فذلك من افضل
ما ادى الانسان واعمال [illegible] الاعلى
وسوال [illegible] الصلاح والخير
[illegible] والسنة صلى الله عليه وآله
[illegible] ذلك في مدة اخرها في ذي
القعدة الحرام سنة ثمانين وثلاثمائة [illegible]
[illegible] زاده الله [illegible]
[illegible] عبد الرحمن [illegible]
[illegible] عبد الله [illegible] وصلى الله على
سيدنا محمد وآله وصحبه [illegible]

عبد الغني النابلسي

١٠٥٠ — ١١٤٣ هـ

١٦٤١ — ١٧٣١ م

صاحب كتاب « الحقيقة والمجاز في رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز »

الشيخ عبد الغني النابلسي بن اسماعيل بن أحمد بن ابراهيم المعروف كأسلافه بالنابلسي الدمشقي النقشبندي القادري الشيخ العلامة الشهير . ولد بدمشق سنة ١٠٥٠ هـ ١٦٤١ م وتوفي سنة ١١٤٣ هـ ١٧٣١ م .

قال المرادي في « سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر » « هو أعظم من ترجمته علماً وولاية وزهداً وشهرة ودراية وهو أستاذ الأساتذة . وجهبذ الجهابذة . الولي العارف . ينبوع العوارف والمعارف . قطب الأقطاب العارف بربه ، الفائز بقربه وحبه . ذو الكرامات الظاهرة ، والكاشفات الباهرة . توفي والده وهو ابن اثنتي عشرة سنة فنشأ يتيما واشتغل بقراءة العلم ، فقرأ الصرف والنحو والمعاني والبيان والفقه والتفسير وسائر العلوم على مشاهير علماء عصره . كالشيخ محمود الكردي ، والشيخ عبد الباقي الحنبلي ، والشيخ محمد المحاسني ، والنجم الغزّي ، والشيخ ابراهيم الفتال . وكثيرين غيرهم .

وأجاز له من مصر الشيخ علي الشبراملسي . وأخذ طريق القادرية عن الشيخ السيد عبد الرزاق الحموي الكيلاني . وأخذ طريق النقشبندية عن الشيخ سعيد البلخي . وابتدأ في إلقاء الدروس والتصنيف لما بلغ العشرين . وأكثر المطالعة في كتب الشيخ محيي الدين بن العربي (١) . وكتب السادة الصوفية ،

(١) المشهور ابن عربي .

كابن سبعين ، والعفيف التلمساني . فنظم بديعية في مدح النبي ﷺ فاستبعد بعض المنكرين أن تكون من نظمه ، فاقترح عليه أن يشرحها فشرحها في مدة شهر شرحاً لطيفاً في مجلد ، ثم نظم بديعية أخرى والتزم فيها تسمية النوع . وشرع في إلقاء الدروس في الجامع الأموي . قال : وصدر له في أول أمره أحوال غريبة ، وأطوار عجيبة ، واستقام في داره بقرب الجامع الأموي في سوق العنبرانيين مدة سبع سنوات لم يخرج منها .

وأسدل شعره ، ولم يقلم أظفاره ، وبقي في حالة عجيبة ، وصارت تعتريه السوداء ، وتكلم الحساد فيه بكلام لا يليق به ، من أنه يترك الصلوات الخمس ، وإنه يهجو الناس بشعره . وهو رضي الله عنه بريء من ذلك . وقامت عليه أهالي دمشق وأساؤوا إليه حتى أنه هجاهم ، وتكلم بما فعلوه معه ، ولم يزل حتى أظهره الله للوجود ، وأشرقت به الأيام ، ورفل في حلل الإقبال والسعود .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من الكتب والرسائل المفيدة الممتعة ، التي ألفها الشيخ عبد الغني النابلسي ـ رحمه الله ـ رحلته في بلاد الشام وإلى مصر والحجاز . وهو كتاب جمع كثيراً من المعلومات التاريخية والجغرافية ومن « أبحاث علمية ، ومسائل فقهية ، واصطلاحات حديثة ، ومطارحات أدبية ، ومساجلات شعرية ، وكلام نافع ونصائح إيمانية ، وإرشادات إلهية ، ومذكرات وتفسيرات في العلوم الدينية [1] .

هذا ، إلى وصف ما زاره ، أو مرّ به في رحلته هذه من مشاهد ومعابد ، وجوامع ومساجد ، ودور وقصور ، ومن مراسم ومعالم ، ومزارات ورباطات . وذكر من لقيهم من رجالات أهل البلاد ، ذوي العلم والمكانة ، أو من سمع بهم ، أو جرى الحديث عنهم ، وما قالوه فيه ، وما قاله فيهم من شعر . دوّن ذلك بلغة أكثرها سهل يغلب عليها السجع ، بعضه مقبول .

(١) هذا ما قاله المؤلف نفسه .

غير أن ما أورده من الشعر جله ان لم يكن كله يجري صاحبه ـ وسط المعمة ـ ومنه ما لا تشتهي أن تسمعه . شعر عصر الركود اللغوي ، والانحطاط الشعري .

وبعد هذا ، فالرحلة على ما وصفها صاحبها في كلامه الذي وضعناه بين قوسين (١) وعقبنا عليه بالموافقة ، رحلة جامعة ، وهي سجل حقائق ، وديوان وثائق ، فيها القيم المفيد ، وفيها النوادر والأقاصيص .

وقد رأى المجمع العربي ان تنشر هذه الرحلة لما فيها من فرائد وفوائد ، جرياً على ما أخذ به نفسه من إحياء آثار السلف تنويهاً بفضلهم ، وتخليداً لذكرهم ، وكلفني أن أتولى هذا العمل ، بالإشراف عليه ، والتدقيق فيه . وها أنا نزولا عند هـــذه الرغبة المخلصة ، أبدأ بترجمة المؤلف نقلاً عن « سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر للمرادي » .

وبادرت الناس للتملي باجتلاء بركاته ، والترجي لصالح دعواته . ووردت عليه أفواج الواردين ، وصار كهف الحاضرين والوافدين ، واستجيز من سائر الأقطار والبلاد . وارتحل أولاً إلى دار الخلافة سنة ١٠٧٥ هـ فاستقام بها قليلاً ، وسنة ١١٠٠ هـ ذهب إلى زيارة البقاع ، وجبل لبنان . وسنة ١١٠١ هـ ذهب إلى زيارة القدس والخليل ، وسنة ١١٠٥ ذهب إلى مصر ، ومن ثمة إلى الحجاز وهي رحلته الكبرى ، ولكل من هذه الزيارات رحلة سيجيء ذكرها . وسنة ١١١٢ ذهب إلى طرابلس الشام ، نحو أربعين يوماً ، وصنف فيها رحلة صغيرة لم تشتهر . وانتقل من دمشق من دار أسلافه إلى صالحيتها ، سنة ١١١٩ وبقي فيها إلى أن مات . وتآليفه ومصنفاته كثيرة ، وكلها حسنة متداولة مفيدة ونظمه لا يحصى لكثرته .

(١) لا أدري : لماذا درج بعضهم على استعمال « الحاصرة » بدلاً من القوس . وكانت القوس قد اشتهرت وصحت لفظاً ومعنى .

وكان عالماً ، مالكاً أزمّة البراعة والبراعة ، غواصاً في المسائل ، ذا طبع منقاد ، وبديهة مطواعة مصون اللسان عن اللغو والشتم . لا يخوض في ما لا يعنيه ، ولا يحقد على أحد . يحب الصالحين والفقراء وطلبة العلم يكرمهم ويحبهم ويبذل جاهه بالشفاعات ، رحيب الصدر ، كثير السخاء ، وله كرامات لا تحصى . وكان لا يحب أن تظهر عليه ولا أن تحكى عنه ، هذا مع إقبال الناس عليه ومحبتهم له ، واعتقادهم فيه . ورأى في أواخر عمره من العزّ والجاه ورفعة القدر ما لا يوصف . ومتعه الله بقوته وعقله فكان يصلي النافلة من قيام ، ويصلي التراويح في داره إماماً بالناس إلى أن مات . ويقرأ في الخط الدقيق ، ويكتب في تصانيفه بعد أن جاوز التسعين . وشعره ينشد في المحافل ، ويحفظه الناس . وتوفي على أثر داء اعتراه بضعة أيام . وأغلقت أسواق البلد يوم موته . واقتبرت الناس في جبل الصالحية . وبنى حفيده الشيخ مصطفى النابلسي إلى جانب ضريحه جامعاً حسناً ، والآن يتبرك به ويزار سيما في صبيحة السبت ، وقد صنف ابن سبطه العالم كمال الدين محمد الغزي العامري في ترجمته كتاباً مستقلاً سماه « الورد القدسي والوارد الانسي في ترجمة العارف عبد الغني النابلسي » .

عارف الحكمي

أبو عبد الرحمن السُّلمي

كنا نشرنا في الجزء الثالث من سلسلة «رسائل ونصوص» التي ننشرها كتاب «تنزيل القرآن» لابن شهاب الزُّهري المتوفى سنة ١٢٤ هـ [1]. وهذا الكتاب من أقدم النصوص التي وصلت إلينا من القرن الثاني الهجري.

وكنا ذكرنا أن نص الكتاب وصل الينا عن طريق راويه أبي عبد الرحمن السُّلمي، المتوفى سنة ٤٠٢ هـ. وهو رواه عن ابراهيم بن الحسين الهمذاني عن عبد الله بن محمد الهذلي عن الوليد بن محمد الوقري المتوفى سنة ١٨٢ هـ عن الزهري.

وقد شككنا يومئذ بهذا السند، إذ لا يمكن أن يكون بين السلمي المتوفى سنة ٤١٢ هـ، والوليد المتوفى سنة ١٨٣ هـ رجلان فقط.

ثم تبيّن لنا أن السلمي راوي الكتاب هو رجل غير الذي كان في القرن الخامس. بل كان رجلاً من رجال القرن الأول، ومن معاصري الزهري. فقد نبّهنا صديقنا العلامة الدكتور ماخ مدير المخطوطات العربية في جامعة برنستون إلى أن السلمي هذا مذكور في كتاب «مشاهير علماء الأمصار» لابن حبّان البستي. ففي ص ١٠٣ من الكتاب المذكور جاء ما يلي:

أبو عبد الرحمن السلمي عبد الله بن حبيب. من قرّاء القرآن وأهل الورع في السرّ والاعلان. مات سنة أربع وسبعين».

وقد أوضح لنا هذا النصّ الابهام الذي وقعنا فيه. وتبين أن السلمي هذا كان من قراء القرآن، وروى كتاب تنزيل القرآن من الزهري المعاصر له.

وقد أحببنا نشر هذا التوضيح تنويهاً بعون الدكتور ماخ وتصحيحاً لما سبق أن ذكرناه في مقدمة الكتاب.

(بيروت) صلاح الدين المنجد

(١) انظر رسائل ونصوص، الجزء الثالث. دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٦٣.

المرتضى كالمهنّد : لاينكر معدنه

كم ابتهجنا نحن معشر المشتغلين بالآداب العربية في البلاد النائية لإعادة طبع تاج العروس في حلّة قشيبة وشكرنا لوزارة الارشاد والانباء في الحكومة الكويتية سعيها الحثيث في نشر التراث العربي الاسلامي ، كما قدّرنا كلّ التقدير المجهود الذي بذله ولا يزال يبذله المحقق الأستاذ عبد الستار أحمد فراج في هذا الصدد ، الاّ أننا فوجئنا بمحاولة منه أثناء التقديم والتعريف لإنكار مولد السيد المرتضى ببلكرام (الهند) مع عدم استطاعته ذكر أي بلد آخر مسقطاً لرأسه ، ولما جرى الكلام عن هذه المحاولة في مجلس شيخي العلاّمة عبد العزيز الميمني استنكرها بشدّة وعهد إليّ بالردّ عليها دفاعاً عن الحق ونصرة للأمانة العلمية ، ثم تفضّل عليّ بتزويدي بجميع المصادر الهامة والمراجع النادرة من خزانة كتبه العامرة ، واتبع الدلو رشاءها فأنار الطريق أمامي بتوجيهاته حتى إذا امتثلت أمره وقدّمت بين يديه ماسوّدته شملني برضاه وأجاز لي تبييضه ونشره ، فهاكم ، أيّها القرّاء ، مايتعلق بنسب السيد المرتضى ومولده عسى أن ينكشف الغبار ويعود الأمر إلى نصابه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نسبه

السيد محمد المرتضى بن [أبي الفلام] (١) محمد بن [القطب الكامل أبي عبد الله] (١) السيد محمد القادري بن [الولي الصالح الخطيب أبي الضياء محمد] (١) السيد ضياء الله بن السيد خان محمد بن السيد عبد الغفار

(١) كذا في إجازات المرتضى بخطه ، انظر فهرس الفهارس . وزاد فيها « أبي الضياء محمد بن عبد الرزاق » لعلّ عبد الرزاق هو جدّ القبيلة (السيد تاج الدين) إلا اني لم أجد هذا الاسم في المصادر الأخرى - توفى السيد ضياء الله سنة ١١٠٣ هـ والسيد القادري سنة ١١٤٥ هـ .

ابن السيد تاج الدين (جدّ القبيلة) . إحدى القبائل الأربعة النازلة بحيّ سيد وارة (= حيّ السادات) بن السيد حسين المعروف بسيد دُولا رِه[١] ابن السيد حسن بن السيد محمود بُدهن بن السيد بدُه بن السيد جمال الدين ابن السيد إبراهيم بن السيد ناصر بن السيد مسعود بن السيد سالار بن السيد محمد صغرى[٢] بن السيد علي بن السيد حسين بن السيد أبي الفرج الثاني بن السيد أبي الفراس (؟ فراس أو الفوارس) بن السيد أبي الفرج الواسطي بن السيد داود بن السيد حسين بن السيد يحيى بن السيد زيد بن السيد علي بن السيد حسن بن السيد علي العراقي بن السيد حسين بن السيد علي بن السيد محمد بن عيسى مُؤتم الأشبال[٣] بن زيد الشهيد بن الإمام زين العابدين بن الإمام حسين الشهيد السبط بن الإمام الهمام أسد الله الغالب علي بن أبي طالب زوج فاطمة الزهراء بنت محمد رسول الله ﷺ (مآثر الكرام ١ / ١١ و ٢٢٥ و ٢٣٩ و ٢٦٩ — ٢٢٠) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مولده

إنّ مير غلام علي آزاد (١١١٦ — ١٢٠٠ هـ) أعرف الناس بمآثر أجداده وأهل بيته من سادات بلكرام ومن حسن الحظّ أنه معاصر للسيد المرتضى (١١٤٥ - ١٢٠٥ هـ) وبلديّه له اذن هو أوثق مصدر للخبر بشأن نسب السيد المرتضى ومولده وحياته إلى مغادرته بلگرام وتنقله بين اليمن

---

(١) أي المحبوب باللغة الهندية .

(٢) أي صاحب الدعوة الصغرى - مآثر الكرام (ط حيدر آباد دكن ، ١٣٢٨ هـ) ١ / ١٢ - وهو أول من نزح إلى بلگرام من جهة خراسان ومعه صاحبه جدّ الشيوخ القرشورية الذين ينتهي نسبهم إلى أبي بكر الصديق - المصدر نفسه ص ١٥ .

(٣) في اجازات المرتضى بخطه . « من قبيل أبي عبد الله محمد المحدث الكبير بن أحمد المختفي بن عيسى مُوتم الأشبال » - فهرس الفهارس .

والحجاز في طلب العلم ـ وقد سجّل في مآثر الكرام تاريخ بلگرام (بالفارسية) ص ١٤٩ كما يلي :

« ومن أبنائه [١] (أي أبناء السيد القادري) السيد محمد المرتضى [٢] بن السيد محمد بن السيد القادري المترجم له ، درس الكتب العربية ووُفّق في حداثة سنّه لزيارة الحرمين الشريفين حتى سعد بها في سنة ١١٦٤ ، ودرس علم الحديث في المقامات المقدسة ، وهو في أيامنا هذه نازل بزَبيد اليمن ، يتخرّج في فن الحديث على الشيخ عبد الخالق الزبيدي . أطال الله عمره وأوصله إلى أعلى درجات الدين » . (انظر التعريب أيضاً في أبجد العلوم ص ٧٢١)

وجاء في نزهة الخواطر لعبد الحي (حيدر آباد ، ١٩٥٩ م) ٧/٤٧١ :

« ولد (السيد المرتضى) بمحروسة بلگرام سنة خمس وأربعين ومائة وألف واشتغل بالعلم على أساتذة بلدته زماناً ثم خرج منها فجاء إلى « سنديلة » و « خير آباد » وقرأ على أساتذتها ثم سافر إلى « دهلي » وأخذ عن الشيخ ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي ثم ذهب إلى « سورت » وأخذ عن الشيخ خير الدين بن زاهد السورتي وأقام عنده سنة ثم سافر إلى الحجاز سنة أربع وستين وأقام بزبيد ... [٣] » .

(١) في أبجد العلوم « نبائره » جمع « نبيرة » أي الحفيد بالفارسية .

(٢) المرتضى « على الصواب في أبجد العلوم مكان « مقتدى » مصحفاً في طبعة مآثر الكرام التي رجعت إليها .

(٣) هكذا قال السيد باسط علي ، ابن أخي المرتضى ، عن عمّه بعد زيارته له بمصر . انظر « قضاء الارب من ذكر علماء النحو والأدب » (بالأردوية) لذي الفقار الفوي . آكره ، ١٣١٦ هـ ص ١٩٣ ـ ١٩٤ ـ دلّني على هذا المرجع زميلي الأستاذ محمد جبل بالقسم العربي بجامعة كراتشي فله الشكر على ذلك .

وفي المرجع نفسه ٤٧٦/٧ وقد ذكر المرتضى بن محمد المترجم له في «برنامجه» الذي كتبه للسيد باسط علي بن علي بن محمد بن القادري البلگرامي بمصر نحواً من ثلاث مائة شيخ له الذين أخذ عنهم العلم وممّن منهم من علماء الهند: الشيخ فاخر بن يحيى العباسي الاله آبادي والشيخ المسند ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي. قال وحضرت بمنزله في دهلي ...» (وهكذا أيضاً في أبجد العلوم ٧٢١).

هذا وقد صرّح عبد الحيّ الكتاني في فهرس الفهارس ١ / ٩٩ - ٣٩٨ بأنّه ابن السيد المرتضى: «الواسطي العراقي أصلاً، الهندي مولداً، الزبيدي علماً وشهرة، المصري وفاة، الحنفي مذهباً، القادري ارادة، النقشبندي سلوكاً، الأشعري عقيدة، هكذا يصف نفسه في كثير من إجازاته التي وقفت عليها بخطه، (مسقط رأسه) أصله من بلگرام قصبة على خمسة فراسخ من قنوج وراء نهر جنج الهندو بها ولد سنة ١١٤٥ كما أرخ هو نفسه ولادته في آخر إجازته لعمر بن حمودة الصفتار التونسي وهي عندي بخطه، واشتغل على المحدث محمد فاخر بن يحيى الإله آبادي والشاه ولي الله الدهلوي فسمع عليه الحديث وأجازه ثم ارتحل لطلب العلم فدخل زبيد ... ».

ثم هو أي السيد المرتضى ذكر في معجمه الصغير ضمن شيوخه الذين لقيهم:

١ - محمد فاخر بن محمد يحيى العباسي.

٢ نور الحق بن عبد الله الحسني نزيل مكة.

٣ - ولي الله الدهلوي.

٤ — ياسين العباسي نزيل أكبر آباد (١) .

(فهرس الفهارس ١/٤٠٣)

ومما وقف عليه الشيخ أحمد أبو الخير المكّي العطار من مشايخ آخرين للشيخ المرتضى : « العلامة المحدث نور الدين محمد القبولي نسبة إلى قبولة بالفتح حصن منيع بالهند ، لقيه بدهلي ، وبها توفي سنة ١١٩٠ .

(المرجع نفسه ١/٤٠٤ نقلاً عن « النفح المسكي ») .

أما تلميذه الجبرتي فانما عني بحياة شيخه في مصر واتصالاته العلمية الوثيقة المستمرّة الباقية مع شيوخ اليمن ولذلك لا يُستغرب منه أن يقتصر في الإشارة إلى مولده ومنشأه على قوله : « ونشأ ببلاده وارتحل في طلب العلم وحجّ مراراً ... » وأيّ البلاد تكون هي غير الهند ؛ لا شك أنها كانت معلومة لدى الجبرتي وأقرانه .

على كلّ حال كان لغير المحققين في الزمن الغابر بعض العذر من عدم الاطلاع على المصادر والمراجع وما إلى ذلك في الجهل عن مولده ومنشأه حتى قال صاحب أبجد العلوم بهدوء وسماحة : « قلت وقد أقام رحمه الله بزبيد حتى قيل له الزبيدي واشتهر بذلك واختفى على كثير من الناس كونه من الهند ومن بلگرامها » (ص ٧٢١) .

١ — يقول المحقّق (الأستاذ عبد الستار فراج) . « فقد ذكروا أنه (المرتضى) ولد ببلد هندي هو بلجرام ... أو الواسطية التابعة لبلجرام »

---

(١) قرأها الأستاذ عبد الستار أحمد فراج « اكبر آباديس » مع أنّ « ليس » علم لشيخ آخر كما جاء في فهرس الفهارس على نسق . « ... نزيل اكبر آباد ليس ابن محمد الجيلي » أما « اكبر آباد » فقد سميت به متأخراً مدينة « اكره » المشهورة بشمال الهند لما اتخذها السلطان اكبر المغولي مقراً له .

(تقديم وتعريف) « والواسطية » ، ليست مدينة كبلجرام ، انما هم السادات الواسطية الذين نزحوا إلى بلجرام ثم يستغرب المحقق اهمال الزبيدي لذكر بلجرام في تاج العروس في المستدركات ، كأن الزبيدي التزم بذكر مولده مع انه لم يُمن بالإشارة إلى أنَّ أصله من واسط حينما عدَّد الأماكن المسماة من مادة وسط « وهو » الواسطي العراقي الأصل ، عند المحقق من غير شك . وهل يخفى على الباحث السليم أنَّ الزبيدي انما تعرّض لذكر الأمكنة التي يكثر ذكرها في الآداب العربية وليست بلجرام منها ؟ ـ كألوف من بلاد الهند وأنهارها وجبالها .

٢ ـ يخلص المحقق إلى القول . « نحن لا نجد نصّاً واضحاً في كلامه (المرتضى) يدلّ على أنه من الهند » (زبي) والنص مثبت في فهرس الفهارس (٣٩٨/١) كما مرّ ، إلا أنّه يغمض عينه ويجترىء على اتهام الكتاني ، بـ « مبالغة واستنتاج غير قوي لا لشيء إلا لأنه ذكر عالمين هنديّين ضمن شيوخ المرتضى بناءً على ما جاء في معجمه الصغير ، والأسماء الواردة هناك (فهرس الفهارس ٤٠٣/١) أربعة كما فصلنا آنفاً ، يجعل الأستاذ المحقق من (١) محمد فاخر ... و (٢) نور الحق ... نزيل مكة رجلاً واحـــداً ، كذلك من (٣) ولي الله الدهلوي و (٤) ياسين العباسي نزيل أكبرآباد. رجلاً واحداً أيضاً ، ليستطرد من ذلك إلى استنتاج واه لا أساس له . ثم قرأ « أكبر آباديس » مع أنّ ليس علم لشيخ آخر هو « ليس بن محمد الجبلي » .

٣ ـ وأخيراً يشك الأستاذ المحقق في كون « السيد القادري » جدّ المرتضى (حي) ، ولو أنه تحرّج من نقل كلام غلام على آزاد ناقصاً مبتوراً من الآخر لوجد فيه ما يقطع بذلك ، فان آزاد يتكلم عن فتى « يتخرج في فن الحديث على الشيخ عبد الخالق الزبيدي » .

(انظر تعريبنا أعلاه) ثم انّ « السيد القادري » هو المعنيّ بـ « القطب أبي عبد الله محمد » في اجازات المرتضى بخطّه التي وقف عليها الكتاني (٣٩٨/١)

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

و « القطب الكامل السيد محمد » ، كما ورد في معجمه الصغير ، وانما لقب السيد القادري بذلك لأنه أخـــذ الطريقة القادرية عن شيخه السيد ليس الحموي ، قطب القادرية بحماه ، وحصل على الإجازة في التجويد والحديث من قبل سلطان بن ناصر بن أحمد الجابوري ، الذي يقول في اجازته . « لما كان في حدود سنة خمسة عشر (كذا) ومائة وألف قدم دار السلام بغداد الإمام العالم والحبر الهمام الكامل الزاهد الورع العابد ... السيد محمد القادري بن السيد ضياء الله الحسيني الواسطي ثم الهندي البلكرامي الحنفي عامله الله بلطفه الخفي وقد جاور حرم الغوث الصمداني والقطب الرباني السيد عبد القادر الجيلاني قدس الله سره العزيز ... » (عن مآثر الكرام ١٤٦/١) هـذا ولنقرن بذلك نسب السيد باسط علي بن غني بن محمد بن القادري البلكرامي وهو ابن أخي المرتضى ، زاره بمصر واستكتبه رسالته الذي اقتطف منه صاحب أبجد العلوم وصاحب نزهة الخواطر كما أوردناه من قبل .

فخلاصة القول أنّ السيد المرتضى من السادات الواسطية ، نزح جدهم السيد محمد صغرى إلى بلكرام وفتحها واستقر بها واستوطنها في سنة ٦١٤ هـ . ونبغ من ذريته عبر الأجيال المتعاقبة أقطاب وعلماء ورجال الحكم والفروسية حتى اشتهرت بلكرام كمعقل العز ومعدن للعلم ، وبها ولد السيد المرتضى في سنة ١١٤٥ هـ ، وأشرب حب العلم فتنقل دارساً بين مدن الهند حتى إذا لم يجد ما يشفي غلته رحل إلى الحجاز في سنة ١١٦٣/١٦٤:١ وبقي في الحجاز واليمن إلى أن ألقى عصا التسيار بمصر في سنة ١١٦٧ ـ فبلكرام أول أرض مسّ جلده ترابها وبالهند عقّ الشباب تميمته ، لم يخرج منها إلا في الثامنة عشرة من عمره ، وكذلك المهنّد يستخرج من معادن الهند ويطبع بها ثم لا يبقى منه للهند إلا نسبته إليها .

الدكتور محمد يوسف

القسم العربي بجامعة كراتشي
(الباكستان)

حول التأثيل اللغوي

ظاهرة في المعجم العربي

جديرة بالدراسة

(مادة الباء في ترتيب الصحاح ، تشتمل على أكثر مواد المعجم التي يدخل الماء عنصراً في تعريفها)

-٣-

ر ع ب رَعَبَ الحَوْضَ : مَلأَهُ ، ورَعَبَ السَّيْلُ الوَادِيَ : مَلأَهُ ،
وفي لسان العرب : رَعَبَ فِعلٌ مُتَعَدٍّ وغيرُ مُتَعَدٍّ ، تقولُ : رَعَبَ الوادي فهو راعِبٌ إذا امتلأ بالماء ، ورَعَبَ السَّيْلُ الوادي إذا مَلأَه ، ويقال : أصابهم مَطَرٌ راعِبٌ .
وفي الأساس : ومن المجاز : حَمامٌ راعِبِيٌّ : شديدُ الصَّوْتِ يَرُوعُ بِصَوْتِهِ أو يَملأُ به مَجارِيَه .

ر غ ب أرضٌ رَغابٌ : تأخذُ الماءَ الكثيرَ ، أو لا تسيلُ إلاَّ من مطرٍ كثيرٍ ؛ ويقال : وادٍ رَغيبٌ : واسعٌ كثيرُ الأخذِ للماء .
المِرْغابُ : نهرٌ بالبصرة ، ونهرٌ بِمَرْوٍ .
ورَغْباءُ : بئرٌ معروفة .

ر ق ب الرَّقُوبُ : النَّاقةُ التي لا تدنو إلى الماء من الزِّحام . سُمِّيَتْ بذلك لأنَّها تَرْقُبُ الإبل فإذا فرغت من شربها شربت .

ر ن ب أَرْيَنْبَةُ : اسم ماءٍ وبالقرب منها الأَوْدِيَة .

ر ه ب الإرْهابُ : قَدْعُ الإبل عن الحوض وذِيادُها .

ر و ب رابَ اللَّبَنُ : خَثُرَ ، ولبنٌ رَوْبٌ ورائبٌ : ما مخض وأخرج زبدُه . الرُّوبَةُ والرَّوبة : خميرة اللبن وجمام ماء الفحل . وراب دمُهُ : حانَ هلاكُهُ ، وفي الأساس : شبّه بلبن خثر وحان أن يُمخض .

ز أ ب زأبَ الرجلُ إذا شرب شرباً شديداً . وزَأبتُ : شربتُ . الزَّآنيبُ : القواريرُ .

ز ب ب زَبَّ القربةَ زَبّاً : ملأها إلى رأسها فازربّت ، وعامٌ أزَبُّ . مُخصب كثير النبات .

الزَّبَّاءُ : اسم لمياه وعيون عديدة .

الزَّبيبُ : يابس العنب ، وزبدُ الماء . وزبّب فمُ الرجل أي خرج الزبدُ منه .

الزَّبْزَبُ : ضربٌ من السُّفن .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ز ر ب زَرِبَ الماء : سال ، والزَّرْبُ : مسيل الماء .

والمِزْراب : الميزاب .

زَرْدَبَهُ : رماهُ في زرداب ، وهو ما انحدر من السُّيُول .

ز ع ب زَعَبَ الإناء : ملأه ، وزعبَ السَّيْلُ الوادي : ملأه ، وهو سَيلٌ زاعبٌ وزَعُوب .

ز غ ب أزْغَبَ الكَرْمُ : جرى فيه الماء وبدأ يُورق .

زُغَيْبَةُ : ماء .

الزَّغْدَبُ : من أسماء الزَّبد ، أو الزَّبدُ الكثير ، كالزَّغادب .

الزَّغْرَبُ : المـــاء الكثير . وبحرٌ زَغْرَب ، وبئر زغرَب وزَغْرَبة ، وعَيْنٌ زَغْرَبَةٌ ، كثيرة الماء .

ز ك ب زَكَبَ الإناءَ ، ملأه ، والزَّكْبُ : الملءُ .

ز ل ب ازْلَعبَّ السَّحابُ : كَثُفَ ، وازلعبَّ السَّيلُ : كثُرَ وتدافع .

ز ن ب زُنْقُبٌ : ماء .

ز و ب زابَ : انسل هَرَباً . وزاب الماء : جرى .

والزَّاب : اسم لأنهار عديدة .

ز ي ب الأزْيَبُ : المـــاء الكثيرُ ، يقال : جاشَ أزْيَبُ البحر وهو كثرةُ مائه .

س أ ب سَأَبَ : روي . وسأب السِّقاءَ : وسَّعَه . والسأبُ : الزِّقُّ .

والمِسْأَب : الرَّجلُ الكثير الشُّرب للماء .

س ب ب تَسَبْسَبَ الماء : جرى وسال . وسَبْسَبَ : أسال .

السَّبْسَب : الأرض القفر لا ماءَ بها .

س ح ب سَحَبَ : شرب شرباً شديداً ، فهو أسْحُوبٌ أي شَرُوبٌ .

السَّحَابَةُ : الغَيْمة التي يكون عنها المطر .

رجلٌ سَحْبَانٌ : جُرافٌ يجرف ما مَرَّ به .

والسُّحْبَةُ : المُوَيْهَةُ أو فَضْلَةُ ماء تبقى في الغدير كالسُّحابة .

س ر ب سَرِب : سال . والسَّرَبُ : الماء السائل . والسَّرابُ . ما يُرى نصف النهار لاطئاً بالأرض كأنّه ماء .

تَسَرَّبَ : تملأ .

السَّرَبُ : القناة يدخل منها الماء الحائطَ .

السِّرْداب : بناءٌ تحت الأرض للصَّيف ، وهو معرب عن سَرْدآب .

س ط ب المَسَاطيب : المياه السُّدْم المندفنة .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

س ع ب سعب وانسَعَبَ الماء إذا سال .

س غ ب سَغِب : عَطِش ، والسَّغَبُ : العَطَش .

س ك ب سَكَبَ : صَبَّ . وماء سَكْبٌ وساكِبٌ وسَكُوبٌ وسَيْكَبٌ : جارٍ ، والسَّكْبُ : الهَطْلانُ الدَّائِمُ كالأُسْكُوب .

س ل ب المُسْلَئِب : المطرُ الكثير .

س ه ب أسْهَبَ : إذا حفر بئراً فبلغ الماء . وبئرٌ سَهْبَةٌ : بعيدة القَعْر ، والسَّهْباء : بِئْرٌ ورَوْضَةٌ .

س ي ب ساب : جرى فانساب . والسيبُ : الماء يجرى أو مَجْري الماء ، والسَّيْبُ : نَهْرٌ . والمسيب : وادٍ .

ش أ ب الشُؤْبُوب : الدُّفْعَةُ من المطر وغيره .

ش ج ب الشَّجْبُ : السِّقاء اليابس .

ش خ ب الشَّخْبُ : السَّيَلان . والشُّخْبَةُ : الدُّفعة من لبن الضَّرْع

إنْشَخَبَ : سال وانفجر .

ش ر ب شَرِب : جَرَعَ . والشِّرْبَ : الماء يُشْرَب والمَوْرِد .

والشَّراب : اسمٌ لما يُشرب .

أشرَبَ الرجل : سقى إبلَه ، وأشرب : عطش .

الشَّارِبَةُ : القوم يسكنون على ضِفة النهر .

الشُّرْبَةُ : مقدار الرِّيِّ من الماء . والشَّرْبَةُ : الحويض حول الشجرة يُملأ ماءً . وشَرِبَ قَصَبُ الزَّرْع إذا سار الماء فيه .

ش ز ب شَزَب : يَبِس . والشَّازِبُ : اليابس .

ش س ب شسب يبس . والشَّاسِبُ : اليابس .

ش ص ب الشَّصْبُ والشُّصَبُ : اليُبْسُ .

الشَّصِيبَةُ : قَعْرُ البئر .

ش ط ب الشَّطْبُ : الأخضر الرَّطب من جريد النخل .

انشَطَبَ الماءُ وغيره : سال . والمُنْشَطِبُ : السائل .

ش ع ب الشِّعْبُ : مسيل الماء في بطن الأرض .

والشُّعْبَةُ : المسيل في الرَّمل ، أو صَدْعٌ في الجبل يأوي إليه المطر . شَعْبَانُ : شَهْرٌ ، من تَشَعَّبَ ، إذ كانوا يتشعَّبُون فيه في طلب المياه .

ش ن ب الشَّنَبُ ، ماءٌ ورقَّةٌ في الأسنان .

والشَّنْباءُ من الرُّمان : ليس لها حَبٌّ ، إنما هي ماءٌ في قِشْر .

الشُّنْظُبُ : كلُّ جُرْفٍ فيه ماءٌ .

ARCHIVE
http://ArchiveBeta.Sakhrit.com

ش و ب الشَّوْبُ : ما شُبْتَه من ماء أو لبن فهو شَوْبٌ ومَشِيبٌ .

ش ه ب أرضٌ شهباءُ : جَدْبَةٌ لا خُضْرة فيها لقلة المطر . وسنةٌ شهباءُ : لا مطر فيها .

الشُّهابُ : اللَّبَنُ الذي ثُلثاه ماء ، كالشُّهابة .

ش ي ب يوم أشيَبُ وشَيْبَانُ : فيه بَرْدٌ وغيمٌ وثَلْجٌ .

ص أ ب صَئِبَ : رَوِيَ وأكثَرَ من شرب الماء ، فهو مِصْأَبٌ .

ص ب ب صَبَّ : أراق وسكب ، فَصَبَّ وانصَبَّ واصطبَّ وتصبَّبَ .

والصُّبَّةُ : البَقِيَّةُ من الماء واللبن كالصُّبابة .

الصَّبَبُ : تَصَوُّبُ نهر أو طريق يكون فيه حَدُور .

الصَّبِيبُ : الماءُ أو الدَّمُ أو العَرَقُ المصبوب .

صحب اصْحَبَّ الماء : علاه الطُّحْلب ، فهو مُصْحِبٌّ .

المَصْحَبِيَّةُ : ماءٌ .

صخب صَخِبَ : جاش ، وعَيْنٌ صَخِبَةٌ : مُصْطَفِقَةٌ عند الجَيَشان .

صَخِبَ واصْطَخَبَ البحر تلاطمت أمواجُه .

صرب الصَّرْبُ : اللَّبَنُ الحامِضُ . وصَرِبَ اللَّبَن : اجتمع في الضَّرْع .

المِصْرَب : إناءٌ يُصْرَبُ فيه .

صعب الصَّعْبِيَّة : ماءٌ .

صلب صَلُبَ : غَلُظَ واشـــتد . وصَلَبَ اللحمَ : شواه . وصَلَبَه الحرُّ : أحرَقَه .

الصُّلْبُ والصُّلَّبُ من الأرض هي التي لم تُزرع زمناً .

صَلَّبَ : يبس . مطرٌ مُصَلِّبٌ شديدٌ .

تَصْلَبُ : ماءَةٌ .

صوب الصَّوْبُ : الانصبابُ والإراقةُ . صاب المطر وانصابَ : انصب .

يقال : مطرٌ صَوْبٌ وصَيِّبٌ وصَيُّوبٌ .

الصَّيِّبُ : السَّحاب ذو الصَّوْب .

التَّصَوُّب : الانحدارُ والمجيءُ من علٍ .

الصَّاب : شَجَرٌ إذا شُقَّ سال منه الماء .

صهب الصَّيْهَبُ : كل موضع تحمى عليه الشمس حتى ينشوي اللحم عليه .

الأصهب : عَيْنٌ . والأُصَيْهِبُ : ماءٌ .

ضبب ضَبَّ : سال . والضَّبُّ : السَّيَلان غير الشديد .

وضَبَّ الناقة : حلبها . والضَّبُّ : الحلبُ واللُّصوق بالأرض .

وأضَبَّ السِّقاءُ : هُرِيقَ ماؤه .

أضَبَّ اليوم : صار ذا ضباب يغشى الأرض .

ضُبَبْبٌ : ماء .

ض ر ب ضَرَبَ اللبنَ : خَلَطَه ، وضَرَبَ في الماء : سبح .

الضَّرْبُ : المطرُ الخفيف . الضَّرْبَةُ : الدفعة من المطر الخفيف .

اضطرب الموجُ : ضَرَبَ بعضُه بعضاً .

الضَّريب : الثلجُ والصَّقيعُ يقع بالأرض ، أو يضرب بالشهد .

ضَرَّبَ : شرب الضريب .

أضربت الريحُ الأرض : أنشفتها من الماء .

ط ب ب طَبْطَبَ الوادي : سالَ بالماء .

الطَّبْطَبَة : صوتُ الماء إذا اضطرب وتلاطم بعضه بعضاً .

ط ح ب الطُّحْلُبُ : خُضْرَةٌ تعلو الماء المُزْمِنَ . وعينٌ مُطْحَلِبَةٌ

وماءٌ مُطَحْلَبٌ : كثير طُحْلُبَةٍ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ط ر ب الطَّرْطَبَةُ : اضطرابُ الماء في جَوْف .

ط س ب المطاسِبُ : المياهُ السُّدُم المندفنة .

ط ل ب بئرٌ طَلُوبٌ : بَعيدةُ الماء . وأطْلَبَ الماء : إذا بَعُدَ . وماء مُطْلِبٌ : بَعيدٌ .

ط ن ب أطْنَبَ النهر : بَعُدَ ذَهابُه .

ط ي ب طابت الأرض : أخْصَبَتْ وأكْلَأَتْ .

واسْتَطابَ القومَ : سألهم ماءً عَذْباً .

الطَّابَةُ : الخَمْرُ والعَصير . واستطابَ الرجلُ . شربَ الطَّابَةَ .

ع ب ب العَبُّ : شُرْبُ الماء .

العُبابُ : معظم السيل ، وعباب البحر : موجُه .

العُنْبُبُ : كثرةُ الماء .

اليَعْبُوب : الجَدْوَل الكثير الماء أو الشَّديدُ الجِرْيَةِ ، أو المكان الحائرُ (١) .

العُبُبُ : المياه المُتدفّقة .

وعبَّتَ الدَّلو : صَوَّتَتْ عند غرف الماء .

عُباعِبُ : ماءٌ .

ع ث ب عَثْلَبَ الماءَ : جَرَعَه شديداً .

عَثْلَبُ : اسم ماء .

ع ذ ب العَذْبُ : الماء الطَّيِّب . وأعْذَبَ القومُ : عَذُبَ ماؤهم .

العَذَبُ : القَذَى يعلو الماء ، أو هو الطُّحْلُب نفسُه ، وماءٌ عَذِبٌ : مُطحلِبٌ .

وأعْذَبَ الحوضَ : نزع طُحلُبَه وما فيه من القذى .

اعذَوْذَبَ : احْلَوْلَى .

العَذيب والعذية : ماآن .

ع ر ب عَرِبَ النهر : غَمَرَ فهو عاربٌ ، وعَرِبَت البئر ، كثُر ماؤها .

العَرَبَةُ : النهرُ الشَّديدُ الجري .

العَرَبُ : الماء الكثير الصَّافي ، ويُكسر راؤُه وهو الأكثر ، يقال : ماءٌ عَرِبٌ : كثيرٌ . ونهر عَرِبٌ : غَمْرٌ . وبئرٌ عَرِبَةٌ : كثيرةُ الماء .

التَّعْريب : الإكثار من شُرْب العَرَب .

---

(١) الحائر : المكان المطمئن الوسط المرتفع الحروف ، يكون فيه الماء أو المطر ، وجمعُ حوران .

ARCHIVE

العِرْبُ : يَبيسُ البَقْل ، والواحدة : عِرْبَة .
عَرَبَةُ : ناحيةُ قربَ المدينة ، وأخرى في بلاد فلسطين .
قال الأزهري : وأقامت قُرَيشُ بعَرَبَة فنُسِبتِ العَرَبُ إليها (١) .
العَرَبات : بلاد العرب ، وسُفُنُ رواكدُ كانت في دَجْلَة .

(يتبع) عدنان الخطيب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) يؤكد كثير من العلماء في عصرنا هذا ، أن شبه الجزيرة العربية كانت في الأزمان الغابرة العريقة في القدم ، بلاداً ترويها مياه الأنهار التي تتدفق ينابيعها في مختلف أرجائها ، كما كانت جبالها مكسوة بالأحراج وسهولها عامرة مشجرة ، ثم أخذت الطبيعة تتحول ، والعيون تغور والمياه تنضب ، حتى أصبحت الجزيرة بلاداً جافة صحراوية وجناتها قفاراً قاحلة .
ولعل هذا ، الذي تؤكده الدراسات الطبقية (الجيولوجية) وبعض الكشوف الأثرية ، يعلل للعلماء المعاني التي أوردتها معاجم اللغة في مادة (ع ر ب) .

تسمية شارع باسم المرحوم الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي

اتخذت أمانة العاصمة قراراً مؤرخاً في ١٩٦٨/٨/٢٤ يحمل الرقم ١٩/١ بتسمية أحد شوارع العاصمة (دمشق) باسم العلامة المرحوم الأمير مصطفى الشهابي رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق. والشارع المسمى هو الممتد بين شارع الملك العادل وشارع جول جمال.

* * *

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شكر

كان المرحوم الأمير مصطفى الشهابي الرئيس الراحل لمجمع اللغة العربية بدمشق قد أوصى باهداء خزانة كتبه وأثاث مكتبه إلى مكتبة مجمع اللغة العربية بدمشق، وقد حفلت مكتبة الفقيد بالكتب العلمية والأدبية الثمينة كما وجد فيها بعض المخطوطات القيمة، ولقد قام ورثة الفقيد بتنفيذ هذه الوصية تنفيذاً كاملاً، والمجمع إزاء هذا العمل النبيل يرى من الواجب أن يستمطر شآبيب الرحمة على الفقيد الكبير وأن يسجل شكره الخالص لأسرة الفقيد التي قامت بتنفيذ الوصية خير قيام.

* * *

بشارة الخوري

(الأخطل الصغير)

(١٨٨٠ — ١٩٦٨ م)

امتدت يد المنون في صيف هذا العام ١٩٦٨ إلى الشاعر العربي الكبير والأديب الشهير الأستاذ بشارة الخوري عضو مجمع اللغة العربية في دمشق، وكانت وفاته بعد ضعف أصابه وألزمه الفراش حقبة طويلة من الزمن .

لقد فقد عالم الشعر بالأستاذ بشارة الخوري ـ الأخطل الصغير ـ شاعراً كبيراً طالما هز المنابر وصفق له الناس إعجاباً بشعره، وإكباراً لشاعريته .

اشتهر الأخطل الصغير برقة شعره وعاطفته وأسلوبه الأخاذ حتى كان شعره أشبه بالغناء ، ولقد بدأ حياته الأدبية في بيروت فصحب الأدباء ممن تقدموه ، ثم عمل في الصحافة فأسس جريدة «البرق» وأخذ ينظم القصائد التي اشتهر منها قصيدته : عروة وعفراء، والهوى والشباب، والمسلول، وشارك في الحفلات الكبرى وخاصة حفلات التأبين لعظماء العرب من مثل سعد زغلول وشوقي وحافظ وفوزي المعزي والياس فياض ، وقد أقيمت له منذ سنوات قليلة حفلة تكريم اعترف له الشعراء فيها بالتقدم والسبق في مضمار الشعر .

ولن ينسى هذا الجيل الأدبي قصائد الأخطل في : عمر ونعم، وفي : «الهوى والشباب» وفي : «جفنه علم الغزل» فقد تهافت عليها الملحنون يلحنونها كما تغنى بهـا المطربون لأن شعر الشاعر الكبير كان أقرب الشعر إلى الغناء والإنشاد .

ومجلة المجمع التي تربطها بالشاعر الكبير الفقيد صلة وثيقة لن تنسى مواقفه الشعرية الرائعة في قاعة المحاضرات من المجمع ، كما لا تنسى مشاركته القيمة في بناء المجد الأدبي للغة العربية .

رحم الله الفقيد الكبير وعوض الشعر العربي عنه خير العوض .

* * *

تصويبات لأخطاء وقعت في

الجزء الثاني من المجلد ٤٣

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٤٠٢	١	تعليلية	والصواب لعنوان البحث هو تحليلية
٤٠٢	٦	هي	زائدة وتلغى
٤٠٤	٨	بها	بها
٤٠٦	٥	يقضى	يفضى
٤٠٦	٧	والعتوة	والعنوة
٤٠٧	الهامش ٢	أبن جيش	ابن حبيش
٤١١	١	أساس	أسامي
٤١٢	٣	عشروية	عشورية
٤١٣	٩	خرّجت	خرجت
٤١٦	٩	سرر	سرد
٤١٧	١٣	لابن عبيد	لأبي عبيد
٤١٩	١٠	لاصطلاح	الاصطلاح
٤١٩	١٧	لوكفارد	لوكنارد
٤٢٢	٢	«	«
٤٢٣	١٩	«	«
٤٢٥	١١	«	«
٤٢٥	١	بقرض	بفرض
٤٢٦	هامش ٤	أغايندس	أغانيدس
٤٠٣	٢	تم	تتم

****

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فهرس المجلد الثالث والأربعين

الجزء الأول

صفحة

٣ ملاحظات شتى على معجمات حديثة . . . . الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي
١٤ مهمة رجال اللغة . . . . . . الأستاذ شفيق جبري . .
١٩ كلمات من الصحاح في عامية أهل الفرات . الدكتور عدنان الخطيب . .
٢٦ نظرة في معجم المصطلحات الطبية: استدراك وتعقيب (١٤) الدكتور حسني سبح . .
٣٨ أدب الفقهاء (١٣) . . . . . . الأستاذ عبد الله كنون . .
٥١ نظرة عيان وتبيان في مقالة أسماء أعضاء الإنسان (٣) الدكتور صلاح الدين الكواكبي
٧٩ المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها (٢) الأستاذ أحمد راتب النفاخ .
٨٨ بين الشعر والفلسفة . . . . . . الأستاذ أحمد الجندي . .
١٠٤ ملاحظات على الموسوعة العربية الميسرة (٣) . الدكتور علي جواد الطاهر .
١٢٤ مجتمع الهمذاني من خلال مقاماته (١) . الدكتور مازن المبارك . .
١٤٤ ابن القارح . . . . الأستاذ سامي الكيالي . .
١٦٦ على هامش « دعوى الصعوبة في تعلم العربية » (٢) الدكتور خليل سمعان . .

التعريف والنقد

١٧٩ القاموس التشريحي (لاتيني ، ألماني ، عربي) . الدكتور حسني سبح . .
١٨٢ العلم الحديث في المجتمع الحديث . . . . الدكتور عدنان الخطيب . .
١٨٦ مقام إبراهيم عليه السلام . . . . . . الأستاذ محمد بهجة البيطار . .
١٨٨ إننا بلا وطن . . . .
١٨٩ مطل الضياء . . . . الأستاذ أحمد الجندي . .
١٩٠ أغان صيفية . . . .
١٩١ معجم المخطوطات العربية . . . . . .
١٩٢ فهرس المخطوطات العربية بمكتبة رضا برامبور .
١٩٣ الذريعة الى تصانيف الشيعة . . . . . الأستاذ عمر رضا كحالة . .
١٩٤ الشعر والشعراء من الذريعة إلى تصانيف الشيعة
١٩٥ بحثان قيمان: الإنجيل والقرآن، الرحلة النجدية الحجازية الأستاذ محمد هادي الأميني .

آراء وأنباء

١٩٧ انتخاب رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق . . . .
١٩٩ أعضاء مجمع اللغة العربيـــة بدمشق في سنة ١٣٨٧ ـ ١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨ م . .
٢٠٢ أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق الراحلون . . . .
٢٠٦ فقيد المجمع نظير زيتون . . . . . الدكتور عدنان الخطيب .
٢٠٩ المعرض أم المعرض أو كلاهما . . . الأستاذ عارف النكدي .
٢١٢ كتاب التلخيص في معرفة أسماء الأشياء ونعوتها الدكتور عزة حسن .
٢١٩ مشروعات مجمع اللغة العربية لدورة سنة ١٩٦٦ ـ ١٩٦٧ و ١٩٦٧ ـ ١٩٦٨ .
٢٢٤ تصويبات لأخطاء وقعت في (الجزء ٤ المجلد ٤٢) ، وفي معجم المصطلحات الأثرية .

الجزء الثاني

صفحة		
٢٢٩	ملتقطات	الأستاذ شفيق جبري
٢٣٧	الاصطلاحات الفلسفية (٣٠)	الدكتور جميل صليبا
٢٦١	أدب الفقهاء (١٤)	الأستاذ عبد الله كنون
٢٧٢	فوات الوفيات في طبعته الجديدة (الجزء الأول)(١)	الدكتور مصطفى جواد
٢٩٦	نظرة عيان وتبيان في مقالة أسماء أعضاء الانسان(٤)	الدكتور صلاح الدين الكواكبي
٣٢٦	الشيخ ناصيف اليازجي	الأستاذ عبد اللطيف الطيباوي
٣٤١	ملاحظات على « الموسوعة العربية الميسرة » (٤)	الدكتور علي جواد الطاهر
٣٥١	شعر الوقوف على الأطلال (١)	الدكتور عزة حسن
٣٦٩	المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات (٣)	الأستاذ أحمد راتب النفاخ
٣٨٢	شخصية ذي القرنين	الدكتورة وديعة طه النجم
٤٠٢	نظرة تحليلية لبعض آراء المستشرقين	الدكتور عبد المنعم مختار

التعريف والنقد

٤٢٩	عبد الرحمن الأوزاعي	الأستاذ عارف النكدي
٤٣٤	عشر سنوات في الدبلوماسية	
٤٣٩	كتاب دعائم الإسلام	الأستاذ محمد بهجة البيطار
٤٤٤	تفسير أرجوزة أبي نواس	الأستاذ أبو طالب زيان
٤٤٦	احتفالات الموالد النبوية	
٤٤٧	أشعار أبي الشيص الخزاعي	
٤٤٩	قيم جديدة للأدب العربي القديم والمعاصر	الأستاذ أحمد الجندي
٤٥٠	الشاعرة العربية المعاصرة	
٤٥٢	أبو العلاء المعري	
٤٥٣	عقبة بن نافع الفهري	
٤٥٤	أعلام الجزائر	
٤٥٦	الأمثال البغدادية المقارنة	الأستاذ عمر رضا كحالة
٤٥٧	أسرار الحرب العالمية الثانية	
٤٥٨	عدن وجنوب اليمن	
٤٦٠	الاشتقاق	الأستاذ وجيه جبر

آراء وأنباء

٤٦٢	تعيين أعضاء عاملين جدد : مرسوم رقم (٧٥٣) بتعيين الأستاذ وجيه السمان	
٤٦٣	مرسوم رقم (٧٥٤) بتعيين الأستاذ عبد الهادي هاشم	
٤٦٤	ظاهرة في المعجم العربي جديرة بالدراسة (١)	الدكتور عدنان الخطيب
٤٧١	مدى كلمة العائبين (تعقيب على تعليق)	البطريرك أغناطيوس يعقوب الثالث
٤٧٥	تصحيح خبر	الأستاذ محمد بهجة البيطار

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الجزء الثالث

صفحة

٤٧٧ النسب إلى كيمياء وأشباهها . . . . . الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي

٤٨٢ بقايا النصاح . . . . الأستاذ شفيق جبري . .

٤٨٩ نظرة في معجم المصطلحات الطبية : استدراك وتعقيب (١٥) الدكتور حسني سبح . .

٥٠٢ في الترجمة . . . . الأستاذ وديع فلسطين . .

٥٠٩ الاصطلاحات الفلسفية (٣١) . . . . . الدكتور جميل صليبا . .

٥٤٤ اللغة اللبنانية ! . . . . الأستاذ عارف النكدي .

٥٥٣ فوات الوفيات في طبعته الجديدة (الجزء الأول) (٢) الدكتور مصطفى جواد . .

٥٨٠ صفحات من تاريخ الاستشراق (٤) . . الدكتور كامل عياد . .

٥٨١ نظرة عيان وتبيان في مقالة أسماء أعضاء الإنسان (٥) الدكتور صلاح الدين الكاكي .

٦٠٥ مجتمع الهمذاني من خلال مقاماته (٢) . . الدكتور مازن المبارك . .

٦٢٧ ملاحظات على الموسوعة العربية الميسرة (٥) . . الدكتور علي جواد الطاهر . .

٦٣٥ شعر الوقوف على الأطلال (٢) . . . الدكتور عزة حسن . .

التعريف والنقد

٦٤٣ الغابة المنسية . . . . الأستاذ أحمد الجندي . .

٦٤٤ ديوان الكعبي . . . . الأستاذ أحمد الجندي

٦٤٥ ديوان السيد موسى الطالقاني . . . . الأستاذ أحمد الجندي

٦٤٧ شوقي وإمارة الشعر . . . . الأستاذ أحمد الجندي

٦٤٩ ديوان الشيخ أحمد تقي الدين . . . . . الأستاذ أحمد الجندي

٦٥٠ آرا الجيل . . . . الأستاذ أحمد الجندي

٦٥٢ خمس رسائل ليوسف يعقوب المسكوني . . الأستاذ عمر رضا كحالة .

٦٥٣ النار في حياتنا وتراثنا . . . . . . الأستاذ عمر رضا كحالة

٦٥٥ المكتبات العربية العامة ونصف العامة . . الأستاذ عمر رضا كحالة

آراء وأنباء

٦٥٧ فقيد العربية الأستاذ الرئيس الأمير مصطفى الشهابي الدكتور عدنان الخطيب .

٦٧٤ انتخاب رئيس جديد لمجمع اللغة العربية بدمشق ومرسوم رقم ١٤٠٦ بتعيينه . .

٦٧٦ فقيد العربية الأستاذ أحمد حسن الزيات . . الدكتور عدنان الخطيب .

٦٨٣ ظاهرة في المعجم العربي جديرة بالدراسة (٢) الدكتور عدنان الخطيب

٦٩١ ضبط الكتب المدرسية بالشكل . . . .

٧٠٠ تصويبات لأخطاء وقعت في الجزء الأول والثاني من المجلد الثالث والأربعين .

صفحة

الجزء الرابع

٧٠١ لغة الفناء . . . . الأستاذ شفيق جبري

٧٠٩ الاصطلاحات الفلسفية (٣٢) . . . . الدكتور جميل صليبا

٧٤٠ أدب الفقهاء (١٥) . . . . . الأستاذ عبد الله كنون

٧٤٩ فوات الوفيات في طبعته الجديدة (الجزء الثاني) . الدكتور مصطفى جواد

٧٦٥ اليرموك يوم خالد في تاريخ العروبة . . . الدكتور عبد المنعم مختار أمين

٧٨٦ نظرة عيان وتبيان في مقالة أسماء أعضاء الإنسان (٦) الدكتور صلاح الدين الكواكبي

٨١٠ وصف الطبيعة في شعر الصنوبري (١) . . الأستاذ نواز أحمد طوقان

٨٢٦ مجتمع الهمذاني من خلال مقاماته (٣) . . . الدكتور مازن المبارك

٨٤٩ شعر الوقوف على الأطلال (٣) . . . الدكتور عزة حسن

التعريف والنقد

٨٦٤ كتاب الديانة . . ٨٦٥ رسالة: صحح صلاتك

٨٦٦ كتاب القضاء والقدر . ٨٦٨ أبو بكر الصديق (رض) — الأستاذ محمد بهجة البيطار

٨٧٠ المختار من أحاديث سيد الأبرار . . . . .

٨٧٣ عصر النبي عليه السلام وبيئته قبل البعثة . . الدكتور صلاح الدين الكواكبي

٨٨٣ ذكرياتي عن وادي الفرات . ٨٨٥ بلاد العرب

لحسن الأصفهاني . ٨٨٦ تاريخ خليفة بن خياط — الأستاذ عمر رضا كحالة

٨٨٩ الدر المنتثر . ٨٩١ الإسلام والثقافة العربية

٨٩٣ كتاب النساء الحاكمات في الدول الإسلامية . . الدكتور عزة حسن

٨٩٦ حول ديوان ابن النقيب . . . . . الدكتور عبد الله الجبوري

آراء وأنباء

٩٠٢ المُعْرِض حَسْبُ . . . . . الدكتور مصطفى جواد

٩٠٥ تعليقات واستدراكات . . . . الأستاذ عباس العزاوي

٩٠٦ رأي حول الجالية والجزية . . . الدكتور عبد المنعم مختار

٩١٠ الرباعيات أو الدوبيتات . . . . الدكتور عمر موسى باشا

٩١٣ نسخة فريدة من الجواهر المكللة في الأخبار المسلسلة للسخاوي الدكتور محمد يوسف

٩٢٥ عبد الغني النابلسي . . . . . الأستاذ عارف النكدي

٩٢٩ أبو عبد الرحمن السلمي . . . . الدكتور صلاح الدين المنجد

٩٣٠ المرتضى كالهند: لا ينكر معدنه . . . الدكتور محمد يوسف

٩٣٧ ظاهرة في المعجم العربي جديرة بالدراسة (٣) . الدكتور عدنان الخطيب

٩٤٦ تسمية شارع في العاصمة باسم الأستاذ الرئيس المرحوم الأمير مصطفى الشهابي . شكر

٩٤٧ وفاة بشارة الخوري (الأخطل الصغير) . . . .

٩٤٨ تصويبات لأخطاء وقعت في الجزء الثاني من المجلد ٤٣ . . . . . .

http://Archivebeta.Sakhrit.com